الملل والنحل

للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني

المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

صححه وعلق عليه

الأستاذ أحمد فهمي محمد

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما هو أهله وصلى الله على محمد المصطفى رسول الرحمة خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة دائمة بركتها إلى يوم الدين، كما صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنه حميد مجيد.

لما وفقني الله تعالى إلى مطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنِّحل [1]، والوقوف على مصادرها وموارداها واقتناص أوانسها وشواردها، أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون، عبرة لمن استبصر واستبصارا لمن اعتبر، وقبل الخوض فيما هو الغرض، لا بد من أن أقدم خمس مقدمات.

المقدمة الأولى: في بيان أقسام أهل العالم جملة مرسلة.

المقدمة الثانية: في تعيين قانون يبتنى عليه تعديل الفرق الإسلامية.

المقدمة الثالثة: في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها ومن مظهرها.

المقدمة الرابعة: في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية وكيف انشعابها [2] ومن مصدرها ومن مظهرها.

المقدمة الخامسة: في السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب.

---

(١) جمع نحلة، والنحلة بالكسر: الدعوى والديانة، ومنه الانتحال وهو ادعاء ما لا أصل له.

(٢) انشعب: تباعد وتفرق كتشعب.

المقدمة الأولى

في بيان تقسيم أهل العالم جملة مرسلة

١ - من الناس من قسم أهل العالم بحسب الأقاليم السبعة، وأعطى أهل كل إقليم حظه من اختلاف الطبائع والأنفس التي تدل عليها الألوان والألسن.

٢ -ومنهم من قسمهم بحسب الأقطار الأربعة التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال، ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع.

٣ -ومنهم من قسمهم بحسب الأمم ، فقال كبار الأمم الأربعة: العرب والعجم والروم والهند، ثم زاوج بين أمة وأمة فذكر أن (العرب والهند) يتقاربان على مذهب واحد، وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية (والروم والعجم) يتقاربان على مذهب واحد، وأكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء والحكم بأحكام الكيفيات والكميات، واستعمال الأمور الجسمانية.

ومنهم من قسمهم بحسب الآراء والمذاهب، وذلك غرضنا في تأليف هذا الكتاب، وهم منهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الأولى إلى أهل الديانات والملل وأهل الأهواء والنِّحل.

(أ) فأرباب الديانات مطلقاً مثل المجوس واليهود والنصارى والمسلمين.

(ب) وأهل الأهواء والآراء مثل الفلاسفة الدُهرية [1] والصابئة وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة ويفترق كل منهم فرقاً، فأهل الأهواء ليست تنضبط مقالاتهم في عدد معلوم، وأهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها، فافترقت المجوس على سبعين فرقة، واليهود عل إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة، والناجية أبداً من الفرق واحدة، إذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة، ولا يجوز أن يكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائع التقابل، إلا وأن تقتسما الصدق والكذب، فيكون الحق في

---

(١) الدهري بضم الدال: الملحد الذي لا يؤمن بالآخرة القائل ببقاء الدهر وهو مولد.

أحديهما دون الأخرى، ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين في أصول المعقولات بأنهما محقان صادقان، وإذا كان الحق في كل مسألة عقلية واحداً فالحق في جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة، وإنما عرفنا هذا بالسمع وَعنهُ أخبر التنزيل في قوله عز وجل ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ [الأعراف: ١٨١] وأخبر النبي عليه السلام: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة والباقون هلكى». قيل: ومن الناجية؟ قال: « أهل السنة والجماعة». قيل: وما السنة والجماعة؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي». وقال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة». وقال عليه السلام: «لا تجتمع أمتي على الضلالة».

المقدمة الثانية

في تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الإسلامية

اعلم أن لأصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفرق الإسلامية لا على قانون مستند إلى نص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود، فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق، ومن المعلوم الذي لا مراء فيه أن ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما في مسألة ما عد صاحب مقالة، فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعدد، ويكون من انفرد بمسألة في أحكام الجوهر مثلاً معدوداً في عداد أصحاب المقالات ، فلا بد إذاً من ضابط في مسائل هي أصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافاً يعتبر مقالة، ويعد صاحبه صاحب مقالة، وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط، إلا أنهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف اتفق، وعلى الوجه الذي وجد لا قانون مستقر ولا أصل مستمر، فاجتهدت على ما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير حتى حصرتها في أربع قواعد هي الأصول الكبار:

القاعدة الأولى: الصفات والتوحيد فيها وهي تشتمل على مسائل الصفات الأزلية إثباتاً عند جماعة ونفياً عند جماعة، وبيان صفات الذات وصفات الفعل وما يجب لله تعالى وما يجوز عليه وما يستحيل، وفيها الخلاف بين الأشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة.

القاعدة الثانية: القدر والعدل وهي تشتمل على مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب في إرادة الخير والشر والمقدور والمعلوم إثباتاً عند جماعة ونفياً عند جماعة، وفيها الخلاف بين القدرية والنجارية والجبرية والأشعرية والكرامية.

القاعدة الثالثة: للوعد والوعيد والأسماء والأحكام، وهي تشتمل على مسائل الإيمان والتوبة والوعيد والإرجاء والتكفير والتضليل إثباتاً على وجه عند جماعة ونفياً عند جماعة، وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والأشعرية والكرامية.

القاعدة الرابعة: السمع والعقل والرسالة والأمانة، وهي تشتمل على مسائل التحسين والتقبيح والصلاح والأصلح واللطف والعصمة في النبوة وشرائط الإمامة نصاً عند جماعة واجماعاً عند جماعة، وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص وكيفية إثباتها على مذهب من قال بالإجماع والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والأشعرية، فإذا وجدنا انفراد واحد من أئمة الأمة بمقالة من هذه القواعد عددنا مقالته مذهباً وجماعته فرقة وإن وجدنا واحداً انفرد بمسألة فلا نجعل مقالته مذهباً وجماعته فرقة بل نجعله مندرجاً تحت واحد ممن وافق سواها مقالته ورددنا باقي مقالته إلى الفروع التي لا تعد مذهباً مفرداً، فلا تذهب المقالات إلى غير النهاية، وإذا تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف تبينت أقسام الفرق وانحصرت كبارها في أربع بعد أن تداخل بعضها في بعض.

كبار الفرق الإسلامية أربع

(١)القدرية (٢) الصفاتية (٣) الخوارج (٤)الشيعة.

ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة أصناف فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة، ولأصحاب كتب المقالات طريقان في الترتيب أحدهما: أنهم وضعوا المسائل أصولاً ثم أوردوا في كل مسألة مذهب طائفة طائفة وفرقة فرقة. والثاني: أنهم وضعوا الرجال وأصحاب المقالات أصولاً ثم أوردوا مذاهبهم في مسألة مسألة وترتيب هذا المختصر على الطريقة الأخيرة، ولأني وجدتها أضبط للأقسام وأليق بأبواب الحساب، وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون أن أبين صحيحه من فاسده وأعين حقه من باطله وإن

كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل.

المقدمة الثالثة

في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها في الأول ومن مظهرها في الآخر. اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة (شبهة إبليس) لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين، وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليقة وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة: إنجيل لوقا ومارقوس[1] ويوحنا ومتّى، ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه قال كما نقل عنه أني سلمت أن الباري تعالى إلهي وإله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيئته فانه مهما أراد شيئاً قال له: كن فيكون وهو حكيم، إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة قالت الملائكة: ما هي؟ وكم هي؟ قال لعنه الله: سبع.

الأول منها: أنه علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني ويحصل مني فلم خلقني أولاً وما الحكمة في خلقه إياي؟

الثاني: أن خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية.

والثالث: إذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي.

والرابع: إذ خلقني وكلفني على الإطلاق وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فإذا لم أسجد فلم لعنني وأخرجني من الجنة، وما الحكمة في ذلك بعد أن لم أرتكب قبيحاً إلا قولي لا أسجد إلا لك؟

---

(١) مارقوس: مرقس.

والخامس: إذ خلقني وكلفني مطلقاً وخصوصاً فلم أطع فلعنني وطردني فلم طرّقني [1] إلى آدم حتى دخلت الجنة ثانياً وغررته بوسوستي فأكل من الشجرة المنهى عنها وأخرجه من الجنة معي، وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم وبقي خالداً فيها؟

والسادس: إذا خلقني وكلفني عموماً وخصوصاً ولعنني ثم طرقني إلى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم، فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني وتؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم، وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم [2] عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بهم وأليق بالحكمة؟

والسابع؛ سلمت هذا كله خلقني وكلفني مطلقاً ومقيداً وإذا لم أطع لعنني وطردني وإذا أردت دخول الجنة مكنني وطرّقني وإذا عملت عملي أخرجني ثم سلطني على بني آدم فلم إذا استمهلته أمهلني فقلت انظرني[3] إلى يوم يبعثون ، قال: إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح آدم والخلق مني وما بقي شر ما في العالم، أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر؟ قال: فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة . قال شارح الإنجيل: فأوحى الله تعالى إلى الملائكة عليهم السلام قالوا له: إنك في تسليمك الأول إني الهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص إذ لو صدقت إني إله العالمين ما احتكمت عليّ بلِمَ فأنا الله الذي لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل والخلق مسؤولون، هذا الذي ذكرته مذكور في التوراة ومسطور في الإنجيل على الوجه الذي ذكرته، وكنت برهة من الزمان أتفكر وأقول أن من المعلوم الذي لا مراء فيه أن كل شبهة وقعت لبني آدم فإنما وقعت من إضلال الشيطان الرجيم ووساوسه نشأت من شبهاته، وإذا كانت الشبهات محصورة في سبع عادت كبار البدع والضلالات إلى سبع ، ولا يجوز أن يعدو شبهات فرق الزيغ والكفر هذه الشبهات وإن اختلفت العبارات وتباينت الطرق فانها بالنسبة إلى أنواع

---

(١) طرقه: جعل له طريقاً.

(٢) يحتالهم: يحولهم ويزحزحهم عنها.

(٣) أنظره أخره.

الضلالات كالبذور، ويرجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص، هذا ومن جادل نوحاً وهوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله عليهم أجمعين كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته وحاصلها يرجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم وجحد أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم إذ لا فرق بين قولهم أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا وبين قوله أأسجد لمن خلقت طيناً وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحز الاقتراف، ما هو في قوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدي إلا أن قالوا: ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ [الإسراء: ٩٤] فبين أن المانع من الإيمان هو هذا المعنى كما قال في الأول: ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك؟ قال: أنا خير منه. وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم: أنا خير من هذا الذي هو مهين، وكذلك لو تعقبنا أحوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل.

فاللعين الأول لما أن حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق أو حكم الخلق في الخالق، والأول غلو والثاني تقصير، فثار من الشبهة الأولى مذاهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض حيث غلوا في حق شخص من الأشخاص حتى وصفوه بصفات الجلال، وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسِّمة حيث قصدوا وصفه تعالى بصفات المخلوقين، فالمعتزلة مشبهة الأفعال والمشبهة حلولية الصفات، وكل واحد منهم أعور بأيّ عينيه شاء، فان من قال: إنما يحسن منه ما يحسن منا ويقبح منه ما يقبح منا فقد شبه الخالق بالخلق، ومن قال: يوصف الباري تعالى بما يوصف به الخلق، أو يوصف الخلق بما يوصف به الباري تعالى عز اسمه فقد اعتزل عن الحق، وسِنخ [1] القدرية طلب العلة في كل شيء وذاك من سِنخ اللعين الأول إذ طلب العلة في الخلق أولاً والحكمة في التكليف ثانياً، والفائدة في تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثاً وعنه نشأ (مذهب الخوارج) إذ لا فرق بين قولهم: لا حكم إلا لله ولا يحكم الرجال. وبين قوله: لا أسجد إلا لك أسجد لبشر خلقته من صلصال وبالجملة (كلا طرفي قصد الأمور ذميم) (فالمعتزلة) غلوا في التوحيد

---

(١) السنخ بالكسر الأصل.

بزعمهم حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات (والمشبهة) قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام (والروافض) غلوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا إلى الحلول (والخوارج) قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال، وأنت ترى أن هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول وتلك في الأول مصدرها وهذه في الآخر مظهرها وإليه أشار التنزيل في قوله تعالى : ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ [البقرة: ١٦٨] وشبه النبي ﷺ : «كل فرقة ضالة من هذه الأمة بأمة ضالة من الأمم السالفة» . فقال القدرية : مجوس هذه الأمة، وقال المشبهة : يهود هذه الأمة، والرافضة؛ نصاراها، وقال عليه السلام جملة : «لتكن سبل الأمم قبلكم حذو القذة[1] بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» .

المقدمة الرابعة

في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها، وكما قررنا أن الشبهات التي في آخر الزمان وهي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان ، كذلك يمكن أن يقرر في زمان كل نبي ، ودور كل صاحب ملة وشريعة، أن شبهات أمته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والمنافقين، وأكثرها من المنافقين وإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة لتمادى الزمان فلم يخف في هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي عليه السلام إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى ، وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه اعتبر حديث ذي الخويصرة [2] إذ قال: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل. حتى قال عليه السلام : «إن لم أعدل فمن يعدل»؟ فعاود اللعين وقال: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى، وذلك خروج صريح على النبي عليه السلام ولو صار من اعترض على الإمام الحق خارجياً أو ليس ذلك قولاً بتحسين العقل وتقبيحه وحكماً بالهوى في مقابلة النص

---

(١) القذة: ريش السهم.

(٢) ذو الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير شهد مع علي في صفين ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على علي وقتل سنة ٣٧ (أسد الغابة أول ص ٣٩٦).

واستكباراً على الأمر بقياس العقل حتى قال عليه السلام: «سيخرج [1] من ضئضىء [2] هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» الخبر بتمامه.

واعتبر حال طائفة من المنافقين يوم أحد إذ قالوا: (هل لنا من الأمر من شيء؟) وقولهم: (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا) وقولهم: (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) فهل ذلك إلا تصريح بالقدر، وقول طائفة من المشركين: ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ (النحل ٣٥] وقول طائفة: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ [يسّ ٤٧) تصريح بالجبر.

واعتبر حال طائفة أخرى حيث جادلوا في ذات الله تفكراً في جلاله وتصرفاً في أفعاله حتى منعهم وخوفهم بقوله تعالى: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال[3]﴾ [الرعد: ١٣] فهذا ما كان في زمانه عليه السلام وهو على شوكته وقوته وصحة بدنه والمنافقون يخادعون فيظهرون الإسلام ويبطنون النفاق وإنما يظهر نفاقهم في كل وقت بالاعتراض على حركاته وسكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهر منها الشبهات كالزروع.

وأما الاختلافات الواقعة في حال مرضه وبعد وفاته بين الصحابة رضي الله عنهم فهي اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم فيها إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين، فأول تنازع في مرضه عليه السلام فيما رواه محمد بن إسماعيل [4] البخاري بإسناده عن عبد الله بن عباس [5] قال: لما اشتد بالنبي ﷺ مرضه الذي مات فيه، قال:

---

(١) في مسلم أنه سيخرج من ضئضىء هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود (مسلم ثالث ص ١١١).

(٢) والضئضىء الأصل؛ وحكى بوزن قنديل ويروى بالصاد المهملة وهو بمعناه يريد أنه يخرج من نسله وعقبه خوارج الأمة.

(٣) شديد المحال: أي الوصول في خفية من الناس إلى مافيه حكمة.

(٤) حبر الإسلام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح والتصانيف سمع من ألف شيخ وكان من أوعية العلم يتوقد ذكاء، ولم يخلف بعده مثله. توفي سنة ست وخمسين ومائتين (شذرات ثان ص ١٣٤).

(٥) عبد الله بن عباس: حبر الأمة وربانيها وابن عم رسول الله ﷺ ترجمان القرآن كف بصره آخراً فقال:

أن يذهب الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وذهني غير ذي وكل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي سنة ثمان وستين (شذرات أول ص ٧٥).

«ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي» فقال عمر: ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط، فقال النبي عليه السلام: «قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع»، قال ابن عباس: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله.

الخلاف الثاني: في مرضه أنه قال جهزوا جيش أسامة [1] لعن الله من تخلف عنها، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة. وقال قوم: قد اشتد مرض النبي عليه السلام فلا تسع قلوبنا لمفارقته والحالة هذه فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره. وإنما أوردت هذين التنازعين، لأن المخالفين ربما عدوا ذلك من الخلافات المؤثرة في أمر الدين وهو كذلك، وإن كان الغرض كله إقامة مراسم الشرع في حالة تزلزل القلوب وتسكين نائرة الفتنة المؤثرة عند تقلب الأمور.

الخلاف الثالث: في موته عليه السلام قال عمر بن الخطاب [2]: من قال أن محمداً مات قتلته بسيفي هذا، وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى ابن مريم عليه السلام. وقال أبو بكر [3] بن قحافة: من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومَن كان يعبد إله محمد فإنه حي لا يموت وقرأ هذه الآية: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ فرجع القوم إلى قوله. وقال عمر: كأني ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر.

الخلاف الرابع: في موضع دفنه عليه السلام أراد أهل مكة من المهاجرين ردّه إلى مكة لأنها مسقط رأسه ومأنس نفسه وموطىء قدمه وموطن أهله وموقع رحله، وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه بالمدينة لأنها دار هجرته ومدار نصرته، وأرادت جماعة نَقْلَهُ إلى بيت المقدس لأنه موضع دفن الأنبياء ومنه معراجه إلى السماء، ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روي عنه عليه السلام: «الأنبياء يدفنون حيث يموتون».

---

(١) أسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه أمره على جلة أصحابه مع حداثة سنه وأمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ توفي سنة أربع وخمسين (شذرات أول ص ٥٩).

(٢) أبو حفص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؛ من أعز الله به الإسلام وقد اتسعت دائرة الإسلام في خلافته؛ وكان عادلاً صلباً في دين الله طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لليل بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وله ثلاث وستون سنة (شذرات أول ص ٣٣).

(٣) أبو بكر الصديق: الخليفة عبد الله بن عثمان ومناقبه وسوالفه في الإسلام لا تحصر وكان رئيساً في الجاهلية وإليه الديات ومعرفة الأنساب وأسلم على يده جماعة والاجماع منعقد على صحة خلافته توفي في السنة الثالثة عشرة عن ثلاث وستين سنة (شذرات أول ص ٢٤).

الخلاف الخامس: في الإمامة وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان، وقد سهل الله تعالى ذلك في الصدر الأول فاختلف المهاجرون والأنصار فيها وقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة [١] الأنصاري فاستدركه أبو بكر وعمر في الحال بأن حضرا سقيفة بني ساعدة [٢] وقال عمر: كنت أزور [٣] في نفسي كلاماً في الطريق، فلما وصلنا إلى السقيفة أردت أن أتكلم فقال أبو بكر: مه [٤] يا عمر فحمداً لله وأثنى عليه وذكر ما كنت أقدره في نفسي كأنه يخبر عن غيب، فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام، مددت يدي إليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت النائرة [٥]، إلا أن بيعة أبي بكر كانت ملتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، فأيما رجل بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين [٦] (فانه لا يؤمر واحد منهما) تغرة [٧] أن يقتلا، وإنما سكنت الأنصار عن دعواهم لرواية أبي بكر عن النبي عليه السلام: «الأئمة من قريش» وهذه البيعة هي التي جرت في السقيفة، ثم لما عاد إلى المسجد انثال [٨] الناس عليه وبايعوه عن رغبة، سوى جماعة من بني هاشم، وأبي سفيان من بني أمية، وأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه كان مشغولاً بما أمره النبي ﷺ من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره، من غير منازعة ولا مدافعة.

الخلاف السادس: في أمر فدك [٩] والتوارث عن النبي عليه السلام ودعوى فاطمة عليها السلام وراثة تارة، وتمليكاً أخرى، حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي عليه السلام: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

---

(١) سعد بن عبادة سيد الخزرج؛ وكان نقيب بني ساعدة، وكان وجيهاً في الأنصار وكان سيداً جواداً، وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، توفي سنة خمس عشرة من الهجرة (أسد الغابة ثان ص ٢٨٣).

(٢) بنوساعدة: قوم من الخزرج، وسقيفتهم بمكة بمنزله دار لهم.

(٣) زور الكلام: حسنه وقومه.

(٤) مه، كلمة بنيت على السكون وهو اسم سمي به الفعل معناه أكفف، لأنه زجر، فإن وصلت نونت قلت مهٍ مَهْ.

(٥) النائرة: نأرت نائرة هاجت هائجة.

(٦) ما بين القوسين كان ساقطاً من النسخ المطبوعة.

(٧) وتغرة: مصدر غررته، إذا ألقيته في الغرر.

(٨) انثال الناس عليه أي: اجتمعوا وانصبوا من كل وجه، وهو مطاوع. ثال: يثول ثولاً إذا صب ما في الإناء.

(٩) فدك، بالتحريك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً، فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة لرسول الله وفيها عين فوارة، ونخيل كثير (معجم سادس ص ٣٤٢).

الخلاف السابع: في قتال مانعي الزكاة، فقال قوم: لا نقاتلهم قتال الكفرة، وقال قوم: بل نقاتلهم، حتى قال أبو بكر: لو منعوني عقالاً[1] مما أعطوا رسول الله لقاتلتهم عليه، ومضى بنفسه إلى قتالهم، ووافقه الصحابة بأسرهم.

وقد أدى اجتهاد عمر في أيام خلافته إلى رد السبايا والأموال إليهم وإطلاق المحبوسين منهم.

الخلاف الثامن: في تنصيص أبي بكر على عمر بالخلافة وقت الوفاة، فمن الناس من قال: قد وليت علينا فظاً غليظاً، وارتفع الخلاف بقول أبي بكر: لو سألني ربي يوم القيامة لقلت: وليت عليهم خير أهلهم.

وقد وقع في زمانهم اختلافات كثيرة، في مسائل ميراث الجد والأخوة والكلالة [2] وفي عقل [3] الأصابع، وديات الأسنان، وحدود بعض الجرائم التي لم يرد فيها نص.

وإنما أهم أمورهم الاشتغال بقتال الروم وغزو العجم، وفتح الله الفتوح على المسلمين، وكثرت السبايا والغنائم، وكانوا كلهم يصدرون عن رأي عمر، وانتشرت الدعوة وظهرت الكلمة ودانت العرب ولانت العجم.

الخلاف التاسع: في أمر الشورى واختلاف الآراء فيها، حتى اتفقوا كلهم على بيعة عثمان[4] رضي الله عنه، وانتظم الملك واستقرت الدعوة في زمانه، وكثرت الفتوح وامتلأ بيت المال، وعاشر الخلق على أحسن خلق وعاملهم بأبسط يد، غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهابر [5] فركبته وجاروا فجير عليه، ووقعت اختلافات كثيرة، وأخذوا

---

(١) العقال: الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة، وقيل: ما يساوي عقالاً من الصدقة. وفي رواية عناقاً، والعناق الأنثى من أولاد المعز.

(٢) الكلالة: اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة. وقد سئل رسول الله ﷺ عن الكلالة فقال: «من مات وليس له ولد ولا والد».

(٣) العقل: الدية. والدية: تمنع وتمسك الدماء من أن تسفك.

(٤) عثمان بن عفان القرشي الأموي، ذو النورين، أمير المؤمنين، ثالث الخلفاء الراشدين، ومن العشرة المبشرين بالجنة، كان حيياً، سخياً، هنياً، ليناً، قتل سنة ٣٥ (أسد الغابة ثالث ص ٣٧٦).

(٥) النهابير، والنهابر المهالك، وغشي به النهابر: أي حمله على أمر شديد، والنهابر: جبال رمال مشرفة، وقال عمرو بن العاص لعثمان: إنك قد ركبت لهذه الأمة نهابير من الأمور فركبوها منك وملت بهم فمالوا بك اعدل أو اعتزل، يعني بالنهابر أموراً شداداً صعبة شبهها بنهابير الرمل لأن المشي يصعب على من يركبها.

عليه أحداثاً كلها محالة على بني أمية، منها رده الحكم[1] بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده النبي عليه السلام، وكان يسمى طريد رسول الله، وبعد أن تشفع إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أيام خلافتهما فما أجابا إلى ذلك، ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخاً، ومنها نفيه أبا ذر[2] إلى الرَبَذَة [3] وتزويجهُ مروان [4] بن الحكم بنته، وتسليمه خمس غنائم أفريقية له، وقد بلغت مائتي ألف دينار، ومنها أيواؤه عبد الله بن سعد بن أبي سرح [5] بعد أن أهدر النبي عليه السلام دمه، وتوليتـه عبد الله بن عامر [6] البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث، إلى غير ذلك مما نقموا عليه، وكان أمراء جنوده: معاوية بن أبي سفيان [7] عامل الشام، وسعد بن أبي وقاص [8] عامل الكوفة وبعده الوليد بن عقبة

---

(١) الحكم بن أبي العاص بن أمية، عم عثمان أسلم يوم الفتح، وهو طريد رسول الله ﷺ، نفاه من المدينة إلى الطائف، فإنه كان يتسمع سر رسول الله ﷺ ولم يزل منفياً زمن الخليفتين، وردّه عثمان وقال: كنت شفعت فيه إلى رسول الله فوعدني بردّه. توفي في خلافة عثمان (أسد الغابة ص ٣٣ ثان).

(٢) أبوذر جندب بن جنادة الغفاري: صادق الإسلام واللسان. قال ﷺ: «ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر» (ص ٣٩ شذرات أول).

(٣) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة وبها قبر أبي ذر الغفاري، وكان قد خرج إليها مغاضباً لعثمان وبها توفي سنة ٣٢ (معجم رابع ص ٢٢١).

(٤) مروان بن الحكم: كان فقيهاً، وكان كاتب السر لابن عمه عثمان، وقد ولي مصر وملكها واستعمل عليها ابنه عبد العزيز ومهّد قواعدها، وكان يلقب خيط باطل. قال أخوه عبد الرحمن:

لـحـا الله قـومـاً أمّـروا خيط بـاطـل على النـاس يعـطي مـا يشـاء ويـمنـع

وقد عاد إلى دمشق ومات في رمضان، وعهد بالأمر إلى إبنه عبد الملك. توفي سنة خمس وستين وله ثلاث وستون سنة (شذرات أول ص ٧٣ أول).

(٥) عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاع وكان يكتب الوحي، ثم ارتدّ مشركاً وأمر الرسول يوم الفتح بقتله، ثم أسلم فحسن إسلامه، وكان أحد العقلاء الكرماء ولاّه عثمان مصر، ففتح الله على يديه إفريقية وكان فتحاً عظيماً ثم غزا الأساود من النوبة توفي سنة ست وثلاثين (أسد الغابة ج٣ ص ١٧٣).

(٦) عبد الله بن عامر بن كريز ابن خال عثمان بن عفان، استعمله عثمان على البصرة سنة تسع وعشرين وهو في الخامسة والعشرين، ففتتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمـان، وقتل في ولايتـه كسرى يزدجرد واتخذ السوق بالبصرة، وهو أول من لبس الخز بها، وأول من اتخذ الحياض بعرفة، وأجرى إليها العين، وكان أحد الأجواد توفي سنة سبع وخمسين (أسد الغابة ثالث ص ١٩١).

(٧) معاوية، ولي الشام لعمر وعثمان، وولي الخلافة فسار بالرعية سيرة جميلة، وكان من دهاة العرب وحكمائها يضرب به المثل، وهو أحد كتبة الوحي، توفي سنة ستين (شذرات أول ص ٦٥).

(٨) سعد بين أبي وقاص، سعد بن مالك، أمه حمنة بنت أبي سفيان، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها وهو أول من أراق دماً ورمى بسهم في سبيل الله، ولاه عمر إمرة الجيش بالقادسية فهزم الفرس، وانتصر جيشه بجلولاء وقد فتح مدائن كسرى بالعراق =

[1] وعبد الله بن عامر عامل البصرة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل مصر، وكلهم خذلوه ورفضوه حتى أتى قدره عليه، وقتل مظلوماً في داره، وثارت الفتنة من الظلم الذي جرى عليه ولم تسكن بعد.

الخلاف العاشر: في زمان أمير المؤمنين علي[2] كرم الله وجهه بعد الاتفاق عليه، وعقد البيعة له فأول خروج خروج طلحة[3] والزبير[4] إلى مكة، ثم حمل عائشة[5] إلى البصرة، ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل، والحق أنهما رجعا وتابا إذ ذكرهما أمراً فتذكرا، فأما الزبير فقتله ابن جرموز[6] وقت الانصراف وهو في النار لقول النبي ﷺ: «بشر قاتل ابن صفية بالنار» وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم

= وبنى الكوفة ولي العراق لعمر، ثم لعثمان، ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ومناقبه كثيرة وتوفي سنة خمسة وخمسين (أسد الغابة ثان ص ٢٩٠).

(١) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أخو عثمان لأمه أسلم يوم الفتح، وقد ولّاه عثمان الكوفة؛ وكان من رجال قريش ظرفاً وحلماً وشجاعة وأدباً، وكان من الشعراء المطبوعين، ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ولكنه كان يحرض معاوية بكتبه وشِعره، توفي في خلافة معاوية (أسد الغابة خامس ٩٠).

(٢) علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، ابن عم الرسول وزوج البتول وأبو السبطين، وأمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين كان أقضى أصحابه وكان فصيحاً، بليغاً فتياً، شجاعاً، زاهداً، عادلاً، قتله ابن ملجم في رمضان سنة أربعين (أسد الغابة رابع ص ١٦).

(٣) طلحة بن عبيد الله القرشي التميمي، من السابقين الأولين ومن الأجواد يعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض وطلحة الجود. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى، شهد أُحداً وما بعدها وقتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين وقد مسح على التراب عن وجهه وقال عزيز على أبا محمد أن أراك مجدلاً تحت نجوم السماء وترحم عليه (أسد الغابة ٥٩ ثالث).

(٤) الزبير بن العوام بن صفية عمة رسول الله ﷺ وحواريه أول من سلّ سيفاً في سبيل الله. وشهد المشاهد مع الرسول ﷺ وشهد فتح مصر وكان من الستة أصحاب الشورى وكان جواداً. وانصرف عن قتال عليّ يوم الجمل فقتله ابن جرموز فبشره علي بالنار ولم يأذن له بمقابلته. قتل سنة ست وثلاثين (أسد الغابة ثان ١٩٦).

(٥) عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين زوج النبي ﷺ تزوجها بعد وفاة خديجة بثلاث سنين، كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض. قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة. وقال عروة ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة. توفيت سنة سبع وخمسين (أسد الغابة خامس ص ٥٠١).

(٦) ابن جرموز: ممن خرج مع علي. وقد استأذن عليه بعد أن قتل الزبير فلم يأذن له وقال للآذن: بشّره بالنار. فقال: أتيت علياً برأس الزبير أرجو لديه به الزلفة فبشرني بالنار إذ جئته فبئس البشارة والتحفة سيان عندي. قتل الزبير وضرطة عنز بذي الجحفة وعاش. حتى ولي مصعب بن الزبير البصرة فاختفى ابن جرموز فقال مصعب: ليخرج فهو آمن أيظن أني أقيده بأبي عبد الله؟ (يعني أباه) ليسا سواء فقتل نفسه (أسد الغابة ثان ص ١٩٩).

وقت الاعراض [1] فخر ميتاً، وأما عائشة وكانت محمولة على ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت، والخلاف بينه وبين معاوية، وحرب صفين، ومخالفة الخوارج، وحمله على التحكيم ومغادرة عمرو بن العاص [2] أبا موسى الأشعري [3] وبقاء الخلافة إلى الوفاة مشهور، كذلك الخلاف بينه وبين الشراة [4] المارقين بالنهروان [5] عقداً وقولاً، ونصب القتال معه فعلاً، وظاهر معروف، وبالجملة كان علي مع الحق والحق معه، وظهر في زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث [6] بن قيس ومسعود [7] بن فدكى التميمي وزيد بن حصن [8] الطائي وغيرهم وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه مثل عبد الله بن سبأ [9] وجماعة معه، ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبي ﷺ: «يهلك فيك اثنان محب غالٍ ومبغض قال» وانقسمت الاختلافات بعده إلى قسمين، أحدهما:

---

(١) وقت أن اعتزل في بعض الصفوف.

(٢) عمرو بن العاص. أسلم سنة ثمان. وكان من دهاة العرب ومن صالحي قريش سيّره أبو بكر أميراً إلى الشام فشهد فتوحه وولي فلسطين لعمر. وفتح له مصر. ووليها وهو أحد الحكمين واستعمله معاوية على مصر. توفي سنة ثلاث وأربعين (أسد الغابة رابع ص ١١٥).

(٣) أبو موسى الأشعري. عبد الله بن قيس. أسلم وهاجر إلى الحبشة وكان عامل رسول الله ﷺ على زبيد وعدن. واستعمله عمر على البصرة وكان أحد الحكمين، مات سنة أربع وأربعين (أسد الغابة ثالث ص ٢٤٥).

(٤) الشراة من شرى الشر إستطار لا من شرينا أنفسنا في الطاعة، وهم الخوارج.

(٥) نهروان. كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي. وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي مع الخوارج مشهورة (معجم ثامن ص ٣٤٧).

(٦) الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي. وفد مع كندة على النبي ﷺ سنة عشر وأسلم وارتدّ بعد وفاة الرسول. ثم رجع وحسن إسلامه وزوجه أبو بكر بأخته ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي، وكان ممن ألزم علياً بالتحكيم. توفي سنة أربعين (أسد الغابة أول ص ٩٧).

(٧) وفي الطبري وابن الأثير، وشرح نهج البلاغة، أنه مسعر بن فدكي التميمي وكان على رأس الخوارج ومن شجعانهم.

(٨) زيد بن حصن الطائي من رؤوس الخوارج وشجعانهم عرضت عليه إمرتهم فأباها، وقد خطبهم وهم في بيته، وحثّهم على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وحرّضهم على القتال، وقد قتله أبو أيوب يوم النهروان سنة ٣٧ وذكر لعلي أنه قال لزيد: أبشر يا عدو الله بالنار. فقال زيد: ستعلم غداً أيّنا أولى بها صلياً. فقال علي: هو أولى بها صلياً (ابن كثير سابع ص ٢٨٥ وابن الأثير ثالث ص ١٥٠).

(٩) عبد الله بن سبأ. تنسب إليه السبئية وهم الغلاة من الرافضة. وكان يهودياً من أمة سوداء فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويلقي بينهم الشر، وقد بدأ بالحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة، ثم دخل دمشق أيام عثمان وعنه أُخذ حلول الإله في الأئمة. وهو الذي أثار فتنة عثمان. تهذيب ابن عساكر (رابع ص ٤٢٨).

الاختلاف في الامامة. والثاني: الاختلاف في الأصول، والاختلاف في الإمامة على وجهين، أحدهما: القول بأن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار، والثاني: القول بأن الإمامة تثبت بالنص والتعيين.

فمن قال إن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار قال بإمامة كل من اتفقت عليه الأمة، أو جماعة معتبرة من الأمة، إما مطلقاً، وإما بشرط أن يكون قرشياً على مذهب قوم، وبشرط أن يكون هاشمياً على مذهب قوم، إلى شرائط أخر كما سيأتي، ومن قال الأول فقال بإمامة معاوية وأولاده، وبعدهم بخلافة مروان وأولاده.

والخوارج اجتمعوا في كل زمان على واحد منهم بشرط أن يبقى على مقتضى اعتقادهم ويجري على سنن العدل في معاملاتهم وإلا خذلوه وخلعوه وربما قتلوه.

ومن قال إن الإمامة تثبت بالنص اختلفوا بعد علي عليه السلام، فمنهم من قال: إنما نص على ابنه محمد ابن الحنفية [1] وهؤلاء هم الكيسانية [2] ثم اختلفوا بعده، فمنهم من قال: إنه لم يمت ويرجع فيملأ الأرض عدلاً، ومنهم من قال: انه مات وانتقلت الإمامة بعده إلى ابنه أبي هاشم[3] وافترقت هؤلاء، فمنهم من قال: الإمامة بقيت في عقبه وصية بعد وصية، ومنهم من قال: انتقلت إلى غيره واختلفوا في ذلك الغير.

فمنهم من قال: هو بيان [4] بن سمعان النهدي، ومنهم من قال: هو علي بن عبد الله [5] بن عباس، ومنهم من قال: هو عبد الله [6] بن حرث الكندي.

(١) محمد ابن الحنفية، وهو محمد بن علي، كان نهاية في العلم غاية في العبادة وكان شديد القوة، والكيسانية تقول أنه لم يمت. وأنه المهدي الذي يخرج آخر الزمان مات سنة إحدى وثمانين (شذرات أول ص ٨٨).

(٢) الكيسانية، هم أتباع المختار بن عبيد الثقفي الذي قام بثأر الحسين وقتل أكثر الذين قاتلوه، وكان المختار يقال له كيسان. وقيل: أنه أخذ مقالته عن مولى لعلي اسمه كيسان (٣٥ مختصر الفرق بين الفرق).

(٣) أبو هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية الهاشمي المدني وهو الذي أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس وصرف الشيعة إليه ودفع إليه كتباً. وأسرّ إليه أشياء توفي سنة ثمان وتسعين (شذرات أول ص ١١٣).

(٤) بيان النهدي هو بيان الزنديق، قتله خالد بن عبد الله القسري وأحرقه بالنار وهو بيان بن سمعان النهدي من بني تميم ظهر بالعراق بعد المائة، وقال بإلهية علي ثم ابنه محمد ثم أبي هاشم ثم من بعده بيان، وكتب إلى الباقر يدعوه إلى نفسه وأنه نبي (ميزان الاعتدال أول ص ١٦٦).

(٥) علي بن عبد الله بن عباس جد السفاح والمنصور، كان سيداً شريفاً وسيماً أجمل قرشي وأكثره صلاة ولذلك دعي بالسجاد، نفاه الوليد إلى الحميمة بالبلقاء فبقي بها إلى أن مات سنة أربع عشرة ومائة (شذرات أول ص ١٤٨).

(٦) عبد الله بن عمرو بن الحرث الكوفي الكندي ادّعى الإلهية وتبعه جماعة في دولة بني أمية، وكان يقول =

ومنهم من قال: هو عبد الله [1] بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهؤلاء كلهم يقولون ان الدين طاعة رجل ويتأولون أحكام الشرع كلها على شخص معين كما ستأتي مذاهبهم.

وأما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية قال بالنص على الحسن [2] والحسين [3]، وقال: لا إمامة إلا في الأخوين الحسن والحسين، ثم هؤلاء اختلفوا، فمنهم من أجرى الإمامة في أولاد الحسن، فقال بعده بإمامة ابنه الحسن [4] ثم ابنه عبد الله [5] ثم ابنه محمد [6] ثم أخيه ابراهيم [7] الإمام وقد خرجا في أيام

= بتناسخ الأرواح، وفرض على أتباعه كل يوم وليلة سبع عشرة صلاة في كل واحدة خمس عشرة ركعة، فناظره صفري فرجع عن معتقده وثبت على رأي الصفرية فتبرأ منه أتباعه ورجعوا إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وقيل: أنه عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي كان شيعته يدعون إلهيته، وكان يدّعى أن روح الإله انتقل من أبي هاشم إليه وكان يدّعي لنفسه الإلهية على معنى الحلول وهو من قتلهم القسري. (لسان الميزان ثالث ص ٢٧٠) (والتبصير ص ١٩ و ٧٣).

(١) عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي من فتيان قريش وأجوادهم وشعرائهم، ولم يكن محمود المذهب في دينه، وقد استولى عليه من يتهم بالزندقة، وقد طلب الخلافة وثار في أواخر دولة بني أمية وتابعه جماعة، مات سجيناً سنة إحدى وثلاثين ومائة. (لسان الميزان ثالث ص ٣٦٣).

(٢) الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ وريحانته، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه، فتمت بأيامه خلافة النبوة (وهي ثلاثون سنة) ثم نزل عنها سنة إحدى وأربعين وترك الأمر لمعاوية وسميت سنة الجماعة ومناقبه كثيرة، وتوفي بالمدينة سنة خمسين (شذرات أول ص ٥١ و٥٢ و٥٦).

(٣) الحسين بن علي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته جاءته كتب أهل العراق يستقدمونه فبلغ كربلاء واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، ومناقبه كثيرة (شذرات ص ٦٦ أول).

(٤) الحسن بن الحسن، الملقب بالمثنى، كان جليلاً مهيباً فاضلاً رئيساً ورعاً زاهداً ولي صدقات جده أمير المؤمنين علي، سأل عمه الحسين أن يزوجه إحدى ابنتيه سكينة وفاطمة، فاختار له فاطمة لشبهها بجدتها الزهراء، فقيل ان امرأة مردودتها سكينة لمنقطعة القرين في الجمال. توفي سنة سبع وتسعين وله خمس وثمانون سنة (نور الأبصار ص ١١٢ ومقاتل المطالبين ص ١٢٩).

(٥) عبد الله بن حسن بن حسن كان خيّراً فاضلاً، أخذه المنصور حين خرج ولداه وحبسه ومات في حبسه سنة أربع وأربعين ومائة (شذرات أول ص ٢١٥).

(٦) محمد بن عبد الله بن حسن ثار بالمدينة، وبايعه القوم، وأحبوه، وكان يشبه رسول الله ﷺ في خلقه، وفي خُلقه، وكان أهل المدينة يعدون فيه من الكمال ما لو جاز أن يبعث الله نبياً بعد محمد ﷺ لكان هو، أرسل إليه المنصور من قتله سنة خمس وأربعين ومائة (ص ٢١٣ أول شذرات).

(٧) إبراهيم بن عبد الله بن حسن خرج بالبصرة سنة أربع وأربعين ومائة ودعا إلى نفسه فتبعه كثير من القرّاء =

المنصور[1] فقتلا في أيامه، ومن هؤلاء من يقول برجعة محمد الإمام، ومنهم من أجرى الوصية في أولاد الحسين، وقال بعده بإمامة ابنه علي زين العابدين[2] نصاً عليه، ثم اختلفوا بعده، فقالت الزيدية بإمامة ابنه زيد[3] ومذهبهم أن كل فاطمي خرج وهو عالم زاهد شجاع سخي كان إماماً واجب الاتباع، وجوزوا رجوع الإمامة إلى أولاد الحسن، ومنهم من وقف وقال بالرجعة، ومنهم من ساق وقال بإمامة كل من هذا حاله في كل زمان وسيأتي تفصيل مذاهبهم. وأما الإمامية[4] فقالوا بإمامة محمد بن علي الباقر[5] نصاً عليه ثم بإمامة جعفر[6] بن محمد وصية إليه، ثم اختلفوا بعده في أولاده من المنصوص عليه وهم خمسة: محمد وإسماعيل وعبد الله وموسى وعلي، فمنهم من قال بإمامة محمد[7]

= والعلماء فبثّ المنصور عليه العيون. والأرصاد، حتى قتله المنصور بعد أخيه سنة خمس وأربعين ومائة (شذرات أول ص ٢١٣).

(١) المنصور، أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي، ثاني خلفاء بني العباس كان مهيباً ذا حزم وعزم، ودهاء ورأي وشجاعة وعقل وفيه جبروت وظلم لا يبالي أن يحرس ملكه بهلاك من كان ينافسه. توفي ببئر ميمون سنة ثمان وخمسين ومائة وهو محرم وخلافته قرابة اثنين وعشرين عاماً (شذرات أول ص ٢٤٤).

(٢) علي بن الحسين. زين العابدين: ما رؤي قرشي مثله في زمنه وكان له فضل ودين وكان يسمى زين العابدين لعبادته. كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم فلما مات علي فقدوا ما كانوا يؤتون به من الليل. توفي سنة ثلاث وتسعين (تهذيب التهذيب سابع ص ٣٠٥).

(٣) زيد بن علي بن الحسين، خرج فتبعه كثيرون وشايعه جماعة سموا بالزيدية، بويع بالخلافة سراً ثم ظهر. وقتل لثلاثة أيام من ظهوره سنة إحدى وعشرين ومائة ورفضته طائفة سميت بالرافضة (ص ١٥٨ شذرات أول)

(٤) الإمامية هم الذين قالوا بالنص الجلي على إمامة علي وكفروا الصحابة وهم الذين خرجوا على عليّ وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق واختلفوا في المنصوص عليه بعده، والذي استقر عليه رأيهم أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ علي ثم ابنه الحسن ثم أخوه الحسين ثم ابنه علي بن زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم إبنه جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم ابنه علي الرضا ثم ابنه محمد التقي الجواد ثم ابنه علي التقي الزكي ثم ابنه الحسن العسكري ثم ابنه أبو القاسم محمد القائم المنتظر المهدي. (دستور العلماء أول ص ١٨٨).

(٥) محمد الباقر بن علي بن الحسين من فقهاء المدينة، قيل له الباقر لأنه بقر العلم أي شقه وعرف أصله، وخفيه وتوسع فيه وهو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، له كلام نافع في الحكم والمواعظ توفي سنة أربع عشرة ومائة (شذرات أول ص ١٤٩).

(٦) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد بن الباقر وكان سيد بني هاشم في زمنه، وقد ألف تلميذه جابر بن حيان الصوفي كتاباً ينتظم رسائله وهي خمسمائة، (وهو عند الإمامية من الاثني عشر) توفي سنة ثمان وأربعين ومائة (شذرات أول ص ٢٢٠).

(٧) أبو جعفر محمد بن جعفر الصادق، الملقب بالديباج، خرج بمكة سنة مائتين، وخلع نفسه، ومات بجرجان =

وهم العمارية، ومنهم من قال بإمامة إسماعيل [1] وأنكر موته في حياة أبيه وهم المباركية، ومن هؤلاء من وقف عليه وقال برجعته ، ومنهم من ساق الإمامة في أولاده نصاً بعد نص إلى يومنا هذا وهم الاسماعيلية، ومنهم من قال بإمامة عبد الله الأفطح [2] وقال برجعته بعد موته لأنه مات ولم يعقب، ومنهم من قال بإمامة موسى [3] إذ قال والده سابعكم قائمكم إلا وهو سمي صاحب التوراة، ثم هؤلاء اختلفوا، فمنهم من اقتصر عليه وقال برجعته إذ قال لم يمت هو، ومنهم من توقف في موته وهم الممطورة، ومنهم من قطع بموته وساق الإمامة إلى ابنه علي [4] بن موسى الرضا وهم القطعية، ثم هؤلاء اختلفوا في كل ولد بعده فالاثنا عشريه ساقوا الإمامة من علي الرضا إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه علي ثم إلى ابنه الحسن ثم إلى ابنه محمد القائم المنتظر الثاني عشر، وقال هو حي لم يمت ويرجع فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وغيرهم ساقوا الإمامة إلى الحسن العسكري [5] ثم قالوا بإمامة أخيه جعفر [6] وقالوا بالتوقف عليه أو قالوا بالشك في حال محمد، ولهم خبط طويل في سوق الإمامة والتوقف والقول بالرجعة بعد الموت، والقول بالغيبة ثم بالرجعة بعد الغيبة، فهذه جملة اختلافات في الإمامة وسيأتي تفصيل ذلك عند ذكر المذاهب.

= ونزل المأمون في لحده، وكان عاقلاً شجاعاً يصوم يوماً ويفطر يوماً توفي سنة ثلاث ومائتين (شذرات ثان ص ٧).

(١) إسماعيل بن جعفر الصادق، أكبر إخوته وكان صالحاً، وكان أبوه شديد المحبة له توفي في حياة أبيه سنة ١٣٣ فوجد عليه فرق الشيعة ص ٦٧.

(٢) عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق أمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن وكان يجلس مجلس أبيه عند غيابه، وقد ادّعى الإمامة ووصية أبيه وسمي بالأفطح لأنه كان أفطح الرأس، والفطح عرض في وسط الرأس، توفي بعد أبيه بسبعين يوماً سنة ١٤٨ (فرق الشيعة ص ٧٨).

(٣) موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد علي الرضا كان صالحاً عابداً جواداً حليماً كبير القدر بلغه عن رجل الأذى له فبعث إليه بألف دينار وهو أحد الأئمة الاثني عشر المعصومين على اعتقاد الإمامية توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة (شذرات أول ص ٣٠٤).

(٤) أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم أحد الأئمة الاثني عشر زوجه المأمون بنته وجعله ولي عهده، وكان عالماً جواداً، ذا جلال وهيبة، توفي بطوس وصلى عليه المأمون ودفنه بجوار قبر الرشيد سنة ثلاث ومائتين (ابن خلكان أول ص ٤٠٣).

(٥) الحسن العسكري بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم أحد الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة فيهم العصمة وهو والد المنتظر محمد صاحب السرداب (ثان شذرات ص ١٤١).

(٦) جعفر بن علي بن محمد بن علي الرضا، حاد في أول أمره، ثم تاب وقد أعقب كثيراً ويقال لولده الرضويون نسبة لجده الرضا توفي سنة ٢٧١ (فرق الشيعة ص ٩٥).

وأما الاختلافات في الأصول فحدثت في آخر أيام الصحابة بدعة معبد الجهني [١]، وغيلان [٢] الدمشقي، ويونس [٣] الأسواري في القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر، ونسج على منوالهم واصل بن عطاء [٤] الغزال وكان تلميذ الحسن البصري[٥] وتلمذ له عمرو بن عبيد[٦] وزاد عليه في مسائل القدر، وكان عمرو من دعاة يزيد الناقص[٧] أيام بني أمية ثم والى المنصور وقال بإمامته، ومدحه المنصور يوماً فقال: نثرت الحب للناس فلقطوا غير عمرو، والوعيدية من الخوارج والمرجئة من الجبرية والقدرية ابتدأت بدعتهم في زمان الحسن، واعتزل واصل عنهم وعن أستاذه بالقول بالمنزلة بين المنزلتين وسمي هو وأصحابه معتزلة، وقد تلمذ له زيد بن علي[٨] وأخذ الأصول منه، فلذلك صارت الزيدية كلها معتزلة، ومن رفض زيد بن علي لأنه خالف

---

(١) معبد بن خالد الجهني كان أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم الفتح، وهو أول من تكلم بالبصرة بالقدر، وقيل إنه غيره، وفي سنة ثمانين صلبه عبد الملك وقيل بل عذبه الحجاج بـأنواع العذاب وقتله (أسد الغابة رابع ص ٣٩٠ ـ شذرات أول ص ٨٨).

(٢) غيلان بن أبي غيلان، وهو غيلان بن مسلم، في القدر ضال مسكين وكان من أصحاب الحارث الكذاب وممن آمن بنبوته فلما قتل الحرث قام مقامه وكان من بلغاء الكتّاب قتل سنة ثمانين (لسان الميزان ص ٤٢٤ رابع).

(٣) يونس الأسواري أول من تكلم بالقدر، وكان بالبصرة فأخذ عنه معبد الجهني ذكره الكعبي في طبقات المعتزلة وذكر أنه كان يلقب بسيبويه (لسان الميزان ص ٣٣٥ سادس).

(٤) واصل بن عطاء المعتزلي المتكلم، كان ألثغ يبدل الراء غيناً فتلافاها ولما قالت الخوارج بتكفير أهل الكبائر وقالت أهل السنّة بفسقهم قال واصل لا مؤمنون ولا كفار فطرده الحسن، وصار له شيعة توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة (شذرات أول ص ١٨٢).

(٥) الحسن البصري، أبو سعيد إمام أهل البصرة وخير أهل زمانه كان جامعاً رفيعاً فقيهاً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً توفي سنة عشر ومائة (شذرات أول ص ١٣٦).

(٦) عمرو بن عبيد البصري العابد الزاهد المعتزلي القدري صاحب الحسن ثم خالفه واعتزل حلقته فلذا قيل المعتزلة، توفي بمران على طريق مكة وهو راجع منها ورثاه المنصور، كما مدحه في حياته توفي سنة اثنتين وأربعين ومائة (شذرات أول ص ٢١٠).

(٧) يزيد بن الوليد الملقب بالناقص، وكان فيه زهد وعدل وخير ولكنه قدري؛ ولي الخلافة فدعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وولايته خمسة أشهر، وله عقب كثير توفي سنة ست وعشرين ومائة (شذرات أول ص ١٦٧).

(٨) زيد بن علي بن الحسين. الإمام الشهيد، بايعه خلق كثير، فأمر بالتوجه للحجاز ففعل فلحقته بالعذيب الشيعة وأخبروه أن الناس مجمعة عليه وما زالوا به حتى رجع إلى الكوفة يبايع سراً، وبايعه وأرسل إليه أبو حنيفة ثلاثين ألف درهم وحثّ الناس على نصره، وكان مريضاً وكان قد أخذ عنه كثيراً قتل سنة إحدى وعشرين ومائة (شذرات أول ص ١٥٨).

مذهب آبائه في الأصول وفي التبري والتولي وهم من أهل الكوفة وكانوا جماعة سميت رافضة، ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المأمون[1] فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وأفردتها فناً من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام اما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها، وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام، فسمي النوع باسمها، واما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان، فكان أبو الهذيل العلاف[2] شيخهم الأكبر وافق الفلاسفة، في أن الباري تعالى عالم بعلم، وعلمه ذاته، وكذلك قادر بقدرة، وقدرته ذاته، وأبدع بدعاً في الكلام والإرادة وأفعال العباد، والقول بالقدر والآجال والأرزاق كما سيأتي في حكاية مذهبه، وجرت بينه وبين هشام بن الحكم[3] مناظرات في أحكام التشبيه، وأبو يعقوب الشحام[4] والأدمي[5] صاحبا أبي الهذيل وافقاه في ذلك كله، ثم إبراهيم بن[6] سيار النظام في أيام المعتصم[7] كان في تقريره على مذاهب الفلاسفة، وانفرد عن السلف ببدع في الرفض والقدر عن أصحابه بمسائل نذكرها.

(١) المأمون: عبد الله أبو العباس بن الرشيد، قرأ العلم في صغره وسمع الحديث من أبيه وعلماء عصره وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن وكان من أفضل بني العباس حزماً وعزماً وحلماً ورأياً ودهاء توفي سنة ٢١٨ (تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤).

(٢) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصري أبو الهذيل العلاف، شيخ المعتزلة ومصنف الكتب الكثيرة في مذاهبهم؛ كان خبيث القول فارق الاجماع ورد نص كتاب الله وجحد صفات الله تعالى عما يقول علواً كبيراً وكان كذاباً أفّاكاً مات سنة سبع وعشرين ومائتين (لسان الميزان جزء خامس ص ٤١٣).

(٣) هشام بن الحكم أبو محمد الشيباني من أهل الكوفة سكن بغداد، وكان من كبار الرافضة ومشهوريهم وكان مجسماً، وكان من الغلاة، يقول بالجبر الشديد، وكان ينقطع إلى يحيى بن خالد وكان عارفاً بصناعة الكلام. له فيه مصنفات كثيرة، وكان من أصحاب جعفر الصادق مات بعد نكبة البرامكة بمديدة مستتراً وقيل عاش إلى خلافة المأمون (لسان الميزان ج ٦ ص ١٩٤).

(٤) يوسف بن عبد الله الشحام أبو يعقوب البصري شيخ أبي علي الجبائي انتهت إليه رئاسة المعتزلة بالبصرة في وقته، أخذ عن أبي الهذيل وكان على ديوان الخراج أيام الواثق، وأنه كان قد وعظ العلوي صاحب الزنج لما خرج بالبصرة فأراد قتله ثم تركه (لسان الميزان سادس ص ٣٢٥)

(٥) الأدمي نسبة لمن يبيع الأدم، وكان من تلاميذ أبي الهذيل، من المعتزلة.

(٦) إبراهيم بن سيار بن هانىء النظام أبو إسحاق البصري من رؤوس المعتزلة متهم بالزندقة وكان شاعراً أديباً بليغاً وله كتب كثيرة في الاعتزال والفلسفة، وكان شاطراً من الشطار مشهوراً بالفسق وكان أشد الناس إزراء على الحديث مات في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين (لسان الميزان أول ص ٦٧).

(٧) المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن الرشيد كان ذا شجاعة وقوة وهمة، ولي الخلافة بعد المأمون، وقد غزا الروم، فأنكاهم مات سنة سبع وعشرين ومائتين (تاريخ الخلفاء ص ٢٢٢).

ومن أصحابه محمد بن شبيب [1] وأبو شمر [2] وموسى بن [3] عمران والفضل الحدثي [4] واحمد [5] بن حابط ووافقه الأسواري في جميع ما ذهب إليه من البدع.

وكذلك الإسكافية [6] أصحاب أبي جعفر [7] الاسكافي والجعفرية أصحاب الجعفرين، جعفر [8] بن مبشر، وجعفر [9] بن حرب.

ثم ظهرت بدع بشر [10] بن المعتمر من القول بالتولد والإفراط فيه والميل إلى الطبيعيين من الفلاسفة، والقول بأن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل، وإذا فعل ذلك فهو ظالم، إلى غير ذلك مما تفرد به عن أصحابه وتلمذ له أبو موسى [11] المردار راهب

(١) محمد بن عبد الله بن شبيب البصري من تلاميذ النظام ومن شيوخ المعتزلة ممن جمع بين الأرجاء في الإيمان وبين القول بنفي القدر: وهو من رجال منتصف القرن الثالث (التبصير ص ١٥ والفرق بين الفرق ص ٩٦).

(٢) أبو شمر، ممن جمع بين الارجاء في الإيمان ونفي القول بالقدر: وهو من تلاميذ النظام فهو من رجال منتصف القرن الثالث (التبصير ص ١٥).

(٣) موسى بن عمران، في ابن حزم مونس وفي الانتصار مويس وفي الخطط يونس بن عمرو، وهو ممن جمع بين الارجاء والقول بنفي القدر وترجع عندي أنه مويس بن عمران وهو من رجال القرن الثالث.

(٤) الفضل الحدثي، نسبة إلى الحديثة بلد على الفرات وهو من أصحاب النظام وكان على شاكلة موسى بن عمران، وكلاهما من رجال منتصف القرن الثالث. وفي الانتصار ص ١٤٩ أنه فضل الحذاء وكان معتزليا نظامياً إلى أن خلط وترك الحق فنفته المعتزلة.

(٥) أحمد بن حابط من أصحاب النظام وينتسب إليه ويقول بالطفرة وبنفي الجزء الذي لا يتجزأ وذهب إلى التناسخ مات أيام الواثق (التبصير ص ٨٠ الانتصار ص ١٤٨).

(٦) الاسكافية، طائفة من المعتزلة وهم أصحاب أبي جعفر الاسكافي الذي يزعم أن الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء وإنما يقدر على ظلم المجانين تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (ص ٤٥ اللباب أول).

(٧) محمد بن عبد الله الاسكافي البغدادي أبو جعفر أحد متكلمي المعتزلة له مناظرات مع الكرابيسي كان عجيب الشأن في العلم والذكاء، والصيانة ونبل الهمة وكان المعتصم يعظمه جداً توفي سنة أربعين ومائتين (لسان الميزان خامس ٢٢١).

(٨) جعفر بن مبشر الثقفي من رؤوس المعتزلة وله تصانيف كثيرة في الكلام وهو أخو الفقيه حسين، وكان جعفر متكلماً صاحب حديث وله خطابة وبلاغة وزهد وعفة توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين (لسان الحيزان ثان ص ١٢١).

(٩) جعفر بن حرب الهمداني من كبار معتزلة بغداد له تصانيف أخذ العلم عن أبي هذيل، وكان زاهداً عفيفاً ورعاً مات سنة ست وثلاثمائة (لسان الميزان ثان ص ١١٣).

(١٠) بشر بن المعتمر كوفي؛ ويقال بغدادي من كبار المعتزلة انتهت إليه رئاستهم؛ وكان يقع في أبي الهذيل وخالف المعتزلة في مسألة القدر توفي سنة عشر ومائتين (لسان الميزان ثان ص ٣٣).

(١١) أبو موسى، عيسى بن صبيح الملقب مردار من كبار المعتزلة أخذ عن بشر بن المعتمر، توفي سنة ست وعشرين ومائتين (لسان الميزان رابع ص ٣٩٨ والتبصير ص ٤٧).

المعتزلة، وانفرد عنه بابطال إعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة، وفي أيامه جرت أكثر التشديدات على السلف لقولهم، بقدم القرآن، وتلمذ له الجعفران وأبو زفر [1] ومحمد بن سويد صاحب المردار وأبو جعفر الاسكافي وعيسى بن الهيثم [2] صاحبا جعفر بن حرب والأشج [3].

وممن بالغ في القول بالقدر هشام[4] بن عمرو الفوطي والأصم [5] من أصحابه، وقدحا في إمامة علي، بقولهما، إن الإمامة لا تنعقد إلا باجماع الأمة عن بكرة أبيهم [6]، والفوطي والأصم اتفقا على أن الله تعالى يستحيل أن يكون عالماً بالأشياء قبل كونها، ومنعا كون المعدوم شيئاً، وأبو الحسين [7] الخياط وأحمد [8] بن علي الشطوي صحبا عيسى الصوفي ثم لزما أبا مجالد [9] وتلمذ الكعبي[10] لأبي الحسين الخياط، ومذهبه

---

(١) أبو زفر، من مصنفي المعتزلة (لسان الميزان سادس ص ٣٧٩).

(٢) عيسى بن الهيثم الصوفي أبو موسى؛ كان من جلة المعتزلة ثم خلط وعنه أخذ ابن الراوندي مات سنة خمس وأربعين ومائتين (لسان الميزان رابع ص ٤٠٨).

(٣) الأشج، زعيم من زعماء المعتزلة عاصر الاسكافي (التبصير ص ٥٥).

(٤) هشام بن عمرو الفوطي بضم الفاء وإسكان الواو وكان من أصحاب أبي الهذيل وكان داعية إلى الاعتزال (لسان الميزان سادس ص ١٩٥).

(٥) الأصم، عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي صاحب المقالات في الأصول وكان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم، وله تفسير عجيب، وهو من طبقة العلاف وأقدم منه (لسان الميزان ثالث ص ٤٢٧).

(٦) الصحيح على بكرة أبيهم وفي الحديث جاءت هوازن على بكرة أبيها، يراد بها الكثرة وتوفير العدد وأنهم جاؤوا جميعاً وعلى طريقة واحدة.

(٧) عبد الرحيم بن محمد بن عثمان أبو الحسين الخياط أحد متكلمي المعتزلة كان رئيساً متقدماً عالماً بالكلام فقيهاً صاحب حديث واسع الحفظ يتقدم سائر المتكلمين من أهل بغداد وروى عن يوسف بن موسى القطان، وقد توفي بعد سنة ٣٠٠ بقليل (لسان الميزان ٤ ص ٨ وتهذيب التهذيب ١١ ص ٤٢٥) والانتصار ص ١٩.

(٨) أحمد بن علي الشطوي أبو الحسن، كان من جلة المعتزلة مات سنة سبع وتسعين ومائتين (لسان الميزان أول ص ٢٣٣).

(٩) أبو مجالد الضرير أحمد بن الحسين كان متكلماً فقيهاً، صحب جعفر بن مبشر الثقفي وعنه أخذ علم الكلام وكان يفتي على مذهبه وإليه انتهت رئاسة المعتزلة ببغداد وكان ورعاً زاهداً سمي الداعية توفي سنة ٢٦٨ (لسان الميزان أول ص ١٦٢).

(١١) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي أبو القاسم الكعبي من كبار المعتزلة وله تصنيف في الطعن على المحدثين وقد انتهت إليه رئاسة المعتزلة والي أبي علي الجبائي وإلى أبي بكر بن الاخشيد، وذكر ابن النديم له كتباً في التفسير توفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة (لسان الميزان ثالث ص ٢٥٥).

بعينه مذهبه، وأما معمر [1] بن عباد السلمي، وثمامة بن أشرس النميري [2] وعمرو بن بحر [3] الجاحظ كانوا في زمان واحد، متقاربين في الرأي والاعتقاد، منفردين عن أصحابهم بمسائل نذكرها، والمتأخرون منهم أبو علي الجبائي [4] وابنه أبو هاشم [5] والقاضي عبد الجبار [6] وأبو الحسين البصري قد لخصوا طرق أصحابهم، وانفردوا عنهم بمسائل كما سيأتي، وأما رونق علم الكلام فابتداؤه من الخلفاء العباسية، وهارون والمأمون، والمعتصم، والواثق والمتوكل.

وأما انتهاؤه فمن الصاحب [7] بن عباد، وجماعة من الديالمة [8] وظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين، مثل ضرار [9] بن عمرو .....

---

(١) معمر بن عباد السلمي معتزلي من أهل البصرة، ثم سكن بغداد وناظر النظام مات سنة خمس عشرة ومائتين (لسان الميزان ٦ ص ٧١).

(٢) ثمامة بن أشرس أبو معن النميري البصري من كبار المعتزلة ومن رؤوس الضلالة كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون، وكان ذا نوادر وملح وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه مات سنة ثلاث عشرة ومائتين (لسان الميزان ثان ص ٨٣).

(٣) عمرو بن بحر الجاحظ صاحب التصانيف، من أئمة البدع: وكان لا يصلي وكان ممن يرمى بالزندقة وكتبه مائة ونيف وسبعون كتاباً في فنون مختلفة وقد أوتي بسطة في القول وبياناً عذباً في الخطاب ومجالاً في الفنون، توفي سنة خمسين ومائتين وكان موته بسقوط مجلدات العلم عليه (لسان الميزان ٤ ص ٣٥٥ وشذرات ثان ص ١٢١).

(٤) محمد بن عبد الوهاب الجبائي أبو علي، رأس المعتزلة ومن انتهت إليه رئاستهم وله مصنفات منها الرد على تلميذه الأشعري وله الرد على أبي الحسين الخياط والنظام وغيرهما من المعتزلة فيما خالفهم فيه توفي سنة ثلاث وثلاثمائة (لسان الميزان خامس ص ٢٧١).

(٥) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب أبو هاشم الجبائي، شيخ المعتزلة بعد أبيه، وله تصانيف وكان بصيراً بالنحو واللغة توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة (لسان الميزان رابع ص ١٦).

(٦) عبد الجبار بن أحمد الهمداني القاضي المتكلم، له تصانيف وكان من غلاة الشيعة بعد الأربعمائة، ولي قضاء الري وقزوين وغيرهما من الأعمال التي كانت لفخر الدولة ابن بويه مات سنة خمس عشرة وأربعمائة (لسان الميزان ثالث ص ٣٨٦).

(٧) إسماعيل بن عباد الصاحب أبو القاسم الطالقاني المشهور بالفضائل والمكارم والآداب وأملى مجالس في أيام وزارته، وقد اشتهر بمذهب المعتزلة وكان داعية إليه وهو شافعي المذهب شيعي النحلة، وكان يبغض من يميل إلى الفلسفة وكان حاضر الجواب فصيح اللسان وشاع في أيامه المراء والإلحاد مات سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (لسان الميزان أول ص ٤١٣).

(٨) الديلم جيل من الأعاجم من بلاد الشرق سموا بأرضهم وهي، في الاقليم الرابع.

(٩) ضرار بن عمرو القاضي معتزلي جلد له مقالات خبيثة، وذكره ابن النديم، وذكر له ثلاثين كتاباً فيها الرد على المعتزلة والخوارج والروافض ولكنه كان معتزلياً له مقالات ينفرد بها وشهد عليه ابن حنبل فأمر القاضي =

وحفص[1] الفرد، والحسين[2] النجار، من المتأخرين خالفوا الشيوخ في مسائل، ونبغ جهم[3] بن صفوان في أيام نصر[4] بن سيار، وأظهر بدعته في الجبر بترمذ، وقتله سلم[5] بن أحوز المازني في آخر ملك بني أمية بمرو، وكان بين المعتزلة وبين السلف في كل زمان اختلافات في الصفات، وكانت السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامي بل على قول اقناعي ويسمون الصفاتية، فمن مثبت صفات الباري تعالى معاني قائمة بذاته ومن مشبه صفاته بصفات الخلق، وكلهم يتعلقون بظواهر الكتاب والسنة، ويناضلون المعتزلة في قدم الكلام على قول ظاهر، وكان عبد الله[6] بن سعيد الكلابي وأبو العباس[7] القلانسي والحارث المحاسبي[8] أشبههم اتقاناً وأمتنهم كلاماً، وجرت مناظرة بين

= بضرب عنقه فهرب، وأخفاه يحيى بن خالد فهو من رجال منتصف القرن الثالث (لسان الميزان ٣ ص ٢٠٣).

(١) حفص الفرد: مبتدع، قال النسائي صاحب كلام لا يكتب حديثه وكفره الشافعي في مناظرته (لسان الميزان ثان ص ٣٣٠).

(٢) الحسين النجار، رئيس النجارية، في اعتقادات فرق المسلمين أنه الحسين بن محمد النجار ص ٦٨ وفي مختصر الفرق بين الفرق، أبو الحسين النجار البصري ص ١٢٦ وفي التبصير ص ٦١ الحسين بن محمد النجار.

وهو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار وكان من جلة المجبرة ومتكلميهم وله مع النظام مجالس ومناظرات وله كتب، الاستطاعة والارجاء والقضاء والقدر وغيرها وقد أخذ عن بشر المريسي مذهبه فهرست ابن النديم ص ٢٥٤ (الجواهر المضية أول ص ١٦٤).

(٣) جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية قتله نصر بن سيار سنة ثمان وعشرين ومائة (لسان الميزان ثان ص ١٤٢).

(٤) نصر بن سيار ولاه هشام خراسان فأحسن الولاية والجباية فلم يزل والياً عليها عشر سنين حتى وقعت الفتنة فخرج يريد العراق فمات في الطريق سنة ١٢٠ (المعارف ص ١٤١ وابن الأثير خامس ص ٨٩).

(٥) سلم بن أحوز من أمراء الأجناد وكان على شرطة نصر بن سيار (الطبري تاسع ص ٦٦ وابن الأثير خامس ص ١٣٨).

(٦) عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب القطان البصري أحد المتكلمين أيام المأمون، ودمر المعتزلة في مجلس المأمون، وكان من آية الحشوية وله مع عباد بن سليمان مناظرات، وكان ابن حنبل من أشد الناس عليه، ووفاته بعد الأربعين ومائتين بقليل والسبكي يذكر أنه من متكلمي أهل السنة (لسان الميزان ثالث ص ٢٩٠ طبقات الشافعية ثان ص ٥١).

(٧) أبو العباس القلانسي من متكلمي أهل السنة في القرن الثالث؛ وله كتب ورسائل في الرد على النظام وهو ممن يجيز إمامة المفضول (طبقات الشافعية ثان ص ٥١ والفرق بين الفرق ١١٠ و ٣٤٤).

(٨) الحارث بن أسد المحاسبي الزاهد الناطق بالحكمة صاحب المصنفات في التصوف والأحوال، وله مصنفات نفيسة في السلوك والأصول، وهو أحد شيوخ الجنيد توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين (شذرات ثان ص ١٠٣)

أبي الحسن[1] علي بن إسماعيل الأشعري وبين أستاذه أبي علي الجبائي في بعض مسائل وألزمه أموراً لم يخرج عنها بجواب، فأعرض عنه، وانحاز إلى طائفة السلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية. فصار ذلك مذهباً منفرداً وقرر طريقته جماعة من المحققين مثل القاضي أبي بكر[2] الباقلاني والأستاذ أبي إسحاق[3] الاسفرائيني، والأستاذ أبي بكر[4] بن فورك وليس بينهم كثير اختلاف، ونبغ رجل متنمس[5] بالزهد من سجستان يقال له أبو عبد الله[6] ابن الكرام قليل العلم قد قمش[7] من كل مذهب ضغثا[8] وأثبته في كتابه وروجه على أغتام[9] غزنة[10] وغور[11] وسواد[12] بلاد خراسان، فانتظم

---

(١) أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل المتكلم البصري، صاحب المصنفات ناظر شيخه الجبائي فقصم ظهر كل مبتدع مرائي، واليه إنتهت رئاسة الدنيا في الكلام وكان الامام المقتدى به توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (شذرات ثان ص ٣٠٣).

(٢) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري المتكلم المشهور كان على مذهب الأشعري، ومؤيداً اعتقاده، وناصراً طريقته، سكن بغداد وصنف التصانيف الكثيرة، المشهورة في علم الكلام وكان أوحد زمانه وانتهت إليه الرئاسة في مذهبه، توفي سنة ثلاث وأربعمائة (ابن خلكان أول ص ٦٠٩).

(٣) أبو إسحاق الاسفرايني إبراهيم بن محمد الملقب بركن الدين الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي، تبحر في العلوم وجمع شرائط الإمامة له التصانيف الكثيرة ومنها كتابه جامع الحلى في أصول الدين والرد على الملحدين بنيت له المدرسة المشهورة بنيسابور توفي سنة ثماني عشرة وأربعمائة (ابن خلكان جزء أول ص ٤).

(٤) أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الأصبهاني وبلغت مصنفاته في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن قريباً من مائة مصنف توفي سنة ست وأربعمائة (ابن خلكان أول ص ٦١٠).

(٥) متنمس: محتال.

(٦) محمد بن كرام السجستاني العابد المتكلم شيخ الكرامية وقد ابتدع في المعبود أنه جسم لا كالأجسام وسجن لبدعته ثمانية أعوام بنيسابور ثم توجه إلى الشام ورجع ثانية إلى نيسابور فحبسه محمد بن عبد الله بن طاهر ثم أطلق وللكرامية رباط بيت المقدس توفي سنة خمس وخمسين ومائتين (لسان الميزان خامس ص ٣٥٣).

(٧) قمش: جمع أرذلها.

(٨) الضغث: قبضة حشيش مختلط الرطب باليابس.

(٩) الأغتم: من لا يفصح شيئاً ج: غتم وأغتام.

(١٠) غزنة: يقال لمجموع بلاد، هازابلستان، وغزنة قصبتها، وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة، وكانت منزل بني محمود بن سبكتكين (معجم سادس ص ٢٨٩).

(١١) غور: ولاية بين هراة وغزنة، وهي بلاد باردة واسعة موحشة (معجم سادس ص ٣١٣).

(١٢) سواد بلاد خراسان البلاد الآهلة التي بها الزروع والأشجار لما فيها من خضرة الزرع والأشجار والسواد يطلق على الخضرة.

ناموسه، وصار ذلك مذهباً قد نصره محمود[1] بن سبكتكين السلطان، وصب البلاء على أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم، وهو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج، وهم مجسمة حاشا غير محمد[2] بن الهصيم فإنه مقارب.

المقدمة الخامسة

في السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب، على طريق الحساب وفيها إشارة إلى مناهج الحساب، لما كان مبني الحساب على الحصر والاختصار، وكان غرضي من تأليف هذا الكتاب، حصر المذاهب مع الاختصار، اخترت طريق الاستيفاء ترتيباً، وقدرت أغراضي على مناهجه تقسيماً وتبويباً، وأردت أن أبين كيفية طرق هذا العلم، وكمية أقسامه، لئلا يظن بي أني من حيث أنا فقيه ومتكلم، أجنبي النظر في مسالكه ومراسمه، أعجمي القلم بمداركه ومعالمه، فآثرت من طريق الحساب أحكمها وأحسنها، وأقمت عليه من حجج البرهان أوضحها وأمتنها، وقدرتها على علم العدد، وكان الواضع الأول منه استمداد المدد فأقول مراتب الحساب تبتدىء من واحد وتنتهي إلى سبع، ولا تجاوزها البتة.

المرتبة الأولى: صدر الحساب وهو الموضوع الأول، الذي يرد عليه التقسيم الأول، وهو فرد لا زوج له باعتبار، وجملة يقبل التقسيم والتفصيل باعتبار، فمن حيث أنه فرد فهو لا يبتدعي أختاً تساويه في الصورة، والمدة من حيث هو جملة فهو قابل للتفصيل، حتى ينقسم إلى قسمين، وصورة المدة يجب أن يكون من الطرف إلى الطرف، ويكتب تحتها حشواً، مجملات التفاصيل، ومرسلات التقدير، والتقرير والنقل، والتحويل، وكليات وجوه المجموع، وحكايات الالحاق والموضوع بارزاً من الطرف الأيسر كميات مبالغ المجموع.

---

(١) أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة سبكتكين الملقب أولاً سيف الدولة ولقبه القادر بالله، بيمين الدولة وأمين الدولة، واشتهر به وقد انتظم له الأمر بعد أبيه، وقد انتصر على بني سامان، وملك خراسان، وغزا الهند وفتحها وملك سجستان ومناقبه كثيرة، وكانت سيرته من أحسن السير توفي بغزنة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة (ابن خلكان ثانٍ ص ١١٠).

(٢) محمد بن الهيصم شيخ الكرامية، ومتكلمهم وقد حكى في كرام التخفيف والفتح وذكر أنه المعروف في ألسنة مشايخهم وأنه بمعنى كرامه أو بمعنى كرام والثاني أنه كرام بالكسر على لفظ جمع كريم (لسان الميزان خامس ص ٣٥٤).

والمرتبة الثانية: منها الأصل وشكلها محقق، وهو التقسيم الأول الذي ورد على المجموع الأول، وهو زوج ليس بفرد، ويجب حصره في قسمين لا يعدوان إلى ثالث، وصورة المدة يجب أن تكون أقصر من الصدر بقليل، إذ الجزء أقل من الكل، ويكتب تحتها حشو ما يخصها من التوجيه والتنويع والتفصيل، ولها أخت تساويها في المدة وإن لم يجب أن تساويها في المقدار.

المرتبة الثالثة: من ذلك الأصل و شكله أيضاً محقق، وهو التقسيم الثاني ، الذي ورد على الموضوع الأول والثاني، وذلك لا يجوز أن ينقص عن قسمين ، ولا يجوز أن يزيد على أربعة أقسام ، ومن جاوز من أهل الصنعة فقد أخطأ ، وما علم وضع الحساب، وسنذكر السبب فيه وصورة مدته أقصر من مدة منها الأصل بقليل وكذلك يكتب تحتها ما يليق بها حشواً وبارزاً.

المرتبة الرابعة: منها المطموس وشكلها هكذا ط، وذلك يجوز أن يجاوز الأربعة، وأحسن الطرق أن يقتصر على الأقل ومدتها أقصر مما مضى.

المرتبة الخامسة: من ذلك الصغير وشكله هكذا ص ، وذلك يجوز إلى حيث ينتهي التقسيم والتبويب والمدة أقصر مما مضى.

المرتبة السادسة: منها المعوج وشكله هكذا، وذلك أيضاً يجوز إلى حيث ينتهي التفصيل.

المرتبة السابعة: من ذلك المعقد وشكله هكذا سللـ ولكن يمد من الطرف إلى الطرف لا على أنه أخت صدر الحساب، بل من حيث أنه النهاية التي تشاكل البداية، فهذه كيفية صورة الحساب نقشاً ، وكمية أبوابها جملة، ولكل قسم من الأبواب أخت تقابله، وزوج يساويه في المدة، لايجوز اغفال ذلك بحال، والحساب تاريخ وتوجيه.

والآن نذكر كمية هذه الصورة وانحصار الأقسام في سبع، ولم صار الصدر الأول فرداً لا زوج له في الصورة، ولم انحصرت منها الأصل في قسمين لا يعدوان إلى ثالث، ولم انحصرت من ذلك الأصل في أربعة، ولم خرجت الأقسام الأخر عن الحصر، فأقول:

إن العقلاء الذين تكلموا في علم العدد والحساب، اختلفوا في الواحد أهو من

العدد أم هو مبدأ العدد، وليس داخلاً في العدد، وهذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراك لفظ الواحد، فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد، فان الاثنين لا معنى له إلا واحد مكرر أول تكرير، وكذلك الثلاثة والأربعة، ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد أي هو علته، ولا يدخل في العدد أي لا يتركب منه العدد، وقد تلازم الواحدية جميع الأعداد، لا على أن العدد منها بل كل موجود فهو في خنسه أو نوعه أو شخصه واحد، يقال إنسان واحد، وشخص واحد، وفي العدد كذلك، فان الثلاثة في أنها ثلاثة واحدة، فالواحدة بالمعنى الأول داخلة في العدد وبالمعنى الثاني علة للعدد وبالمعنى الثالث ملازمته للعدد، وليس من الأقسام الثلاثة قسم يطلق على الباري تعالى معناه، فهو واحد لا كالآحاد، أي هذه الواحدات، والكثرة منه وحدات ويستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه القسمة.

وأكثر أصحاب العدد على أن الواحد لا يدخل في العدد، فالعدد مصدره الأول اثنان، وهو ينقسم إلى زوج وفرد، فالفرد الأول ثلاثة والزوج الأول أربعة، وما وراء الأربعة فهو مكرر، كالخمسة فإنها مركبة من عدد وفرد، ويسمى العدد الدائر، والستة مركبة من فردين ويسمى العدد التام، والسبعة مركبة من فرد وزوج ويسمى العدد الكامل، والثمانية مركبة من زوجين وهي بداية أخرى، وليس ذلك من غرضنا، فصدر الحساب في مقابلة الواحد الذي هو علة العدد، وليس يدخل فيه، ولذلك هو فرد لا أخت له، ولما كان العدد مصدره من اثنين صار منها المحقق محصوراً في قسمين، ولما كان العدد منقسماً إلى فرد وزوج ، صار من ذلك محصوراً في أربعة، فان الفرد الأول ثلاثة والزوج الأول أربعة وهي النهاية وما عداها مركب منها، فكان البسائط العامة الكلية في العدد واثنان وثلاثة وأربعة وهي الكمال، وما زاد عليها فمركبات كلها ولا حصر لها فلذلك لا تنحصر الأبواب الأخر في عدد معلوم، بل تتناهى بما يتناهى به الحساب، ثم تركيب العدد على المعدود وتقدير البسيط على المركب فمن علم آخر، واسنذكر ذلك عند ذكرنا مذاهب قدماء الفلاسفة، فإذا نجزت المقدمات على أوفى تقرير، وأحسن تحرير، شرعنا في ذكر مقالات أهل العالم، من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا لعله لا يشذ عن أقسامها مذهب ، ونكتب تحت كل باب وقسم ما يليق به ذكراً، حتى يعرف لم وضع ذلك اللفظ لذلك الباب، ونكتب تحت ذكر الفرقة المذكورة ما يعم أصنافها مذهباً،

واعتقاداً، وتحت كل صنف ما خصه وانفرد به عن أصحابه ونستوفي أقسام الفرق الإسلامية ثلاثاً وسبعين فرقة ونقتصر في أقسام الفرق الخارجة عن الملة الحنيفية على ما هو أشهر وأعرف أصلاً وقاعدة، فنقدم ما هو أولى بالتقديم ونؤخر ما هو أجدر بالتأخير، وشرط الصناعة الحسابية أن يكتب بازاء الممدود من الخطوط ما يكتب خشواً، وشرط الصناعة الكتابية أن يترك الحواشي على الرسم المعهود عفواً، فراعيت شرط الصناعتين ومددت الأبواب على شرط الحساب وتركت الحواشي على رسم الكتاب وبالله أستعين، وعليه أتوكل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مذاهب أهل العالم

من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنِّحل

من الفرق الإسلامية وغيرهم، ممن لهم كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصارى ، وممن له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية وممن ليس له حدود وأحكام دون كتاب، مثل الصابئة، وممن ليس له كتاب ولا حدود وأحكام شرعية، مثل الفلاسفة الأولى، والدهرية، وعبدة الكواكب والأوثان، والبراهمة، نذكر أربابها وأصحابها، ونقل مآخذها ومصادرها عن كتب طائفة طائفة على موجب اصطلاحها بعد الوقوف على مناهجها، والفحص الشديد عن مباديها وعواقبها.

ثم ان التقسيم الصحيح الدائر بين النفي والإثبات، هو قولنا أن أهل العالم انقسموا من حيث المذاهب إلى أهل الديانات، وإلى أهل الأهواء فان الإنسان إذا اعتقد عقداً، أو قال قولاً، فإما أن يكون فيه مستفيداً من غيره، أو مستبداً برأيه، فالمستفيد من غيره مسلم مطيع، والدين هو الطاعة والتسليم والمطيع هو المتدين، والمستبد برأيه محدث مبتدع، وفي الخبر عن النبي عليه السلام: ««ما شقي امرؤ عن مشورة ولا سعد باستبداد برأي»»، وربما يكون المستفيد من غيره مقلداً قد وجد مذهباً اتفاقياً، بأن كان أبواه أو معلمه على اعتقاد باطل فيتقلده منه، دون أن يتفكر في حقه أو باطله، وصواب القول فيه أو خطئه، فحينئذٍ لا يكون مستفيداً، لأنه ما حصل على فائدة وعلم، ولا اتبع الأستاذ على بصيرة ويقين، إلا من شهد بالحق وهم يعلمون، شرط عظيم فليعتبر، وربما يكون المستبد برأيه مستنبطاً مما استفاده، على شرط أن يعلم موضع الاستنباط وكيفيته ،

فحينئذٍ لا يكون مستبداً حقيقة، لأنه حصل العلم بقوة تلك الفائدة ﴿ لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء: ٨٣]، وهو ركن عظيم فلا تغفل.

فالمستبدون بالرأي مطلقاً هم المنكرون للنبوات، مثل الفلاسفة والصائبة. والبراهمة، وهم لا يقولون بشرائع وأحكام أمرية، بل يضعون حدوداً عقلية حتى يمكنهم التعايش عليها.

والمستفيدون هم القائلون بالنبوات، ومن قال بالأحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية، ولا ينعكس.

أرباب الديانات والملل من المسلمين وأهل الكتاب وممن له شبهة كتاب، نتكلم ها هنا في معنى الدين، [١].

والملة [٢] والشرعة [٣] والمنهاج [٤] والإسلام [٥] .....

---

(١) والدين، الاسلام وقد دنت به وفي حديث علي، محبة العلماء دين يدان به، والدين الجزا. وفي حديث ابن عمرو لا تسبوا السلطان فإن كان لا بد فقولوا اللهم دنهم كما يدينونا أي أجزهم بما يعاملونا به. والدين الحساب ومنه قوله: مالك يوم الدين. وقيل: معناه مالك يوم الجزاء. وقوله: ذلك الدين القيم أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوى والدين الطاعة. قال عمرو بن كلثوم:

وأياماً لنا غراً كراماً عصينا الملك فيها أن ندينا

والدين العادة والشأن تقول العرب ما زال ذلك ديني وديدني أي عادتي وفي التنزيل﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ قال قتادة: في قضاء الملك وفي الحديث، أنه عليه السلام كان على دين قومه، ليس به ما كانوا عليه من شرك وإنما أراد أنه كان على ما بقي منهم من إرث إبراهيم من الحج والنكاح وغير ذلك من أحكام الإيمان. وقيل: هو من الدين وهو العادة يريد به أخلاقهم الكريمة من الكرم والشجاعة وغير ذلك.

(٢) والملة الشريعة والدين. وفي الحديث: لا يتوارث أهل ملتين، الملة الدين، كملة الاسلام والنصرانية واليهودية، وقيل: هي معظم الدين وجملة ما تجيء به الرسل. وفي التنزيل: ﴿حتى تتبع ملتهم﴾ قال أبو إسحاق: الملة في اللغة السنة والطريقة أي سنتهم وطريقهم.

(٣) الشريعة، والشرعة ما سنّ الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر. ومنه قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾، وقوله: ﴿لكل جعلنا شرعة ومنهاجاً﴾. الشرعة في الدين والمنهاج في الطريق. وقيل: الشرعة والمنهاج جميعاً الطّريق والطريق ههنا الدين. وقيل: الشرعة معناها ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستقيم. وقال ابن عباس: شرعة ومنهاجاً سبيلاً وسنّة وقوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ شرع أي أظهر. وقوله: ﴿شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾، أي أظهروا لهم.

(٤) منهج الطريق وضحه والمنهاج كالمنهج. وفي التنزيل: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ والنهج الطريق المستقيم.

(٥) والاسلام والاستسلام الانقياد، والاسلام من الشريعة إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام لما أتى به النبي ﷺ. وقال ثعلب: الإسلام باللسان، والإيمان بالقلب.

والحنيفية[1] والسنة[2] والجماعة[3] فانها عبارات وردت في التنزيل، ولكل واحدة منها معنى يخصها، وحقيقة توافقها، لغة واصطلاحاً، وقد بينا معنى الدين أنه الطاعة والانقياد وقد قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩] وقد يرد بمعنى الجزاء يقال: كما تدين تدان، وقد يرد بمعنى الحساب يوم الميعاد والتناد، قال تعالى: ﴿ذلك الدين القيم﴾ [التوبة: ٣٦] فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والميعاد قال الله تعالى: ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣].

ولما كان نوع الإنسان محتاجاً إلى اجتماع مع آخر من بني جنسه في إقامة معاشه، والاستعداد لميعاده، وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون، حتى يحفظ بالتمانع ما هو له، ويحصل بالتعاون ما ليس له، فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هي الملة، والطريق الخاص الذي يوصل إلى هذه الهيئة، هو المنهاج، والشرعة والسنة، والاتفاق على تلك السنة هي الجماعة، قال الله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [المائدة: ٤٨].

ولن يتصور وضع الملة وشرع الشرعة، إلا بواضع شارع يكون مخصوصاً من عند الله، بآيات تدل على صدقه، وربما تكون الآية مضمنة في نفس الدعوى، وربما تكون ملازمة، وربما تكون متأخرة.

ثم اعلم أن الملة الكبرى هي ملة إبراهيم عليه السلام، وهي الحنيفية التي تقابل الصبوة[4] تقابل التضاد، وسنذكر كيفية ذلك إن شاء الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ [الحج: ٧٨].

---

(١) الحنيفية في الاسلام الميل إليه والإقامة على عقده، والحنيفية ملة الإسلام. وفي الحديث: «أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة» وتوصف به الملة فيقال ملة حنيفية.

(٢) السنّة، الأصل فيها الطريقة والسيرة وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه وندب إليه قولاً أو فعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع والكتاب والسنّة أي القرآن والحديث.

(٣) الجماعة: عدد كل شيء وكثرته، وهم من اجتمعوا على الدين ولم تفرقهم الأهواء ومنه حديث الحسن: اتقوا هذه الأهواء فإن جماعها الضلالة.

(٤) الصبوة: جهلة الفتوة. وفي حديث الفتن: لتعودن فيها أساود صُبيّ هي جمع صاب كغاز وغزى وهم الذين يصبون إلى الفتنة أي يميلون إليها. وفي الحديث: وشاب ليست له صبوة. أي ميل إلى الهوى.

والشريعة ابتدأت من نوح عليه السلام قال الله تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ [الشورى: ١٣].

والحدود والأحكام ، ابتدأت من آدم، وشيث، وإدريس عليهم السلام، وختمت الشرائع والملل، والمناهج والسنن، بأكملها وأتمها حسناً وجمالاً بمحمد عليه السلام، قال الله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [المائدة: ٣].

وقد قيل خص آدم بالأسماء، وخص نوح بمعاني تلك الأسماء وخص إبراهيم بالجمع بينهما، ثم خص موسى بالتنزيل، وخص عيسى بالتأويل، وخص المصطفى بالجمع بينهما، على ملة أبيكم إبراهيم، ثم كيفية التقرير الأول، والتكميل بالتقرير الثاني، بحيث يكون مصدقاً كل واحد ما بين يديه من الشرائع الماضية، والسنن السالفة تقديراً للأمر على الخلق، وتوفيقاً للدين على الفطرة، فمن خاصية النبوة أن لا يشاركهم فيها غيرهم.

وقد قيل أن الله عز وجل أسس دينه على مثال خلقه، ليستدل بخلقه على دينه، وبدينه على وحدانيته.

* * *

المسلمون، قد ذكرنا معنى الإسلام، ونفرق هاهنا بينه وبين الإيمان، والإحسان، ونبين ما البدء، وما الوسط، وما الكمال، والخبر المعروف في دعوة جبريل عليه السلام، حيث جاء على صورة أعرابي وجلس حتى ألصق ركبته بركبة النبي ﷺ، وقال يا رسول الله ما الإسلام؟ فقال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، قال: صدقت، ثم قال: ما الإيمان؟ قال عليه السلام: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره» ، قال: صدقت، ثم قال: ما الإحسان؟ قال عليه السلام: « أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: صدقت، ثم قال: متى الساعة؟ قال عليه السلام: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» ثم قام وخرج ، فقال النبي عليه السلام: «هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم»، ففرق في التفسير ، بين الإسلام، والإيمان، إذ الإسلام قد يرد بمعنى الاستسلام ظاهراً،

ويشترك فيه المؤمن والمنافق، قال الله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ (الحجرات: ١٤) ففرق التنزيل بينهما، فكان الإسلام بمعنى التسليم، والانقياد ظاهراً موضع الاشتراك فهو المبدأ ، ثم إذا كان الإخلاص معه، بأن يصدق الله وملائكتهُ وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويقر عقداً [1] بأن القدر خيره وشره من الله تعالى، بمعنى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه كان مؤمناً حقاً.

ثم إذا جمع بين الإسلام والتصديق، وقرن المجاهدة بالمشاهدة وصار غيبه شهادة فهو الكمال، فكان الإسلام مبدأ، والإيمان وسطا والإحسان كمالا؛ وعلى هذا شمل لفظ المسلمين الناجي والهالك، وقد يرد الإسلام وقرينه الإحسان، قال الله تعالى: ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ [البقرة: ١١٢] وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [المائدة: ٣] وقوله: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩] وقوله : ﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ [البقرة: ١١٣] وقوله: ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٢] وعلى هذا خص الإسلام بالفرقة الناجية.

* * *

أهل الأصول المختلفون في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل، نتكلم ها هنا في معنى الأصول والفروع، وسائر الكلمات.

قال بعض المتكلمين، الأصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم، و بالجملة كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين، فهي من الأصول، ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسماً إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل، والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصولياً، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعياً، والأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هو موضوع علم الفقه.

وقال بعض العقلاء، كل ما هو معقول ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال ، فهو من الأصول، وكل ما هو مظنون ويتوصل إليه بالقياس والاجتهاد، فهو من الفروع.

---

(١) عقده، عقداً أكدد، ومنه عقد العهد واليمين يعقدهما عقداً وعقدهما أكدهما ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾.

وأما التوحيد، فقد قال أهل السنة، وجميع الصفاتية إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم [1] له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له، فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله، ومحال وجود قديمين، ومقدور بين قادرين. وذلك هو التوحيد والعدل، وعلى مذهب أهل السنة، أن الله تعالى عدل في أفعاله، بمعنى أنه متصرف في مِلكه ومُلكه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فالعدل وضع الشيء موضعه، وهو التصرف في الملك على مقتضى المشيئة، والعلم، والظلم بضده، فلا يتصور منه جور في الحكم، وظلم في التصرف.

وعلى مذهب أهل الاعتزال، العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة.

وأما الوعد والوعيد فقال أهل السنة الوعد والوعيد كلامه الأزلي وعد [2] على ما أمر، وأوعد على ما نهى، فكل ما نجا واستوجب الثواب فبوعده، وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده، فلا يجب عليه شيء من قضية العقل.

وقال أهل العدل لا كلام في الأزل، وإنما أمر ونهي، ووعد وأوعد بكلام محدث[3]، فمن نجا فبفعله استحق الثواب، ومن خسر فبفعله واستوجب العقاب، والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك.

وأما السمع والعقل، فقال أهل السنة، الواجبات كلها بالسمع، والمعارف كلها بالعقل، فالعقل لا يحسن ولا يقبح ولا يقتضي، ولا يوجب، والسمع لا يعرف، أي لا يوجد المعرفة بل يوجب.

---

(١) لا قسيم له، أي لا شريك له، وقسيم المرء الذي يقاسمه أرضاً أو داراً أو مالاً بينه وبينه.

(٢) وعد في الخير وأوعد في الشر. قال عامر بن الطفيل:

ولا يرهب المولى ولا العبد صولتي ... ولا أحتني من صولة المتهدد
وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

قال ابن سيده وفي الخير الوعد والعدة وفي الشر الايعاد والوعيد فإذا قالوا أوعدته بالشر أثبتوا الألف مع الياء.

(٣) عقيدة أهل السنّة أن كلام الله قديم، وكلام واحد، أمر ونهي وخبر واستخبار، على معنى التقدير، وكل ما ورد في الكتب من الله تعالى باللغات المختلفة العبرية والعربية والسريانية كلها عبارات تدل على معنى كتاب الله تعالى ولو جاء أضعاف أضعافه لم تستغرق معاني كلامه فمعاني كلام الله لا تستغرقها عبارات المعبرين. ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾.

وقال أهل العدل، المعارف كلها معقولة بالعقل، واجبة بنظر العقل وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح، فهذه القواعد هي المسائل التي تكلم فيها الأصول، وسنذكر مذهب كل طائفة مفصلاً إن شاء الله تعالى، ولكل علم موضوع ومسائل قد ذكرناهما بأقصى الإمكان.

* * *

والمعتزلة وغيرهم من الجبرية والصفاتية، والمختلطة منهم الفريقان من المعتزلة والصفاتية متقابلتان تقابل التضاد، وكذلك القدرية والجبرية، والمرجئة والوعيدية، والشيعة والخوارج، وهذا التضاد بين كل فريق وفريق، كان حاصلاً في كل زمان، ولكل فرقة مقالة على حيالها وكتب صنفوها، ودولة عاونتهم، وصولة طاوعتهم.

* * *

المعتزلة

المعتزلة [1] ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً، وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى، احترازاً عن وصمة اللقب، إذا كان الذم به متفقاً عليه، لقول النبي عليه السلام: «القدرية مجوس هذه الأمة»، و كانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق، على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد، فكيف يطلق لفظ الضد على الضد، وقد قال النبي عليه السلام: «القدرية خصماء الله في القدر»، والخصومة في القدر، وانقسام الخير والشر على فعل الله، وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل، وإحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم.

فالذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد، القول بأن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلاً، فقالوا هو عالم لذاته، قادر لذاته، حي لذاته، لا بعلم وقدرة وحياة، هي صفات قديمة ومعاني قائمة به، لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية.

واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق، في محل، وهو حرف وصوت [2]، كتب

---

(١) المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء الغزال لما اعتزل مجلس الحسن البصري يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين فطرده، فاعتزله وتبعه جماعة سموا بالمعتزلة.

(٢) كلام الله ليس بحرف ولا صوت لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر وذلك مستحيل على =

أمثاله في المصاحف، حكايات عنه، فإنما وجد في المحل عرض فقد فني في الحال.

واتفقوا على أن الإرادة، والسمع، والبصر، ليست معاني قائمة بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها كما سيأتي.

واتفقوا على رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار، ونفي التشبيه عنه من كل وجه، جهة ومكاناً وصورة وجسماً، وتحيزاً، وانتقالاً؛ وزوالاً، وتغيراً، وتأثراً.

وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها، وسموا هذا النمط توحيداً.

واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله، خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثواباً، وعقاباً في الدار الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم، وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً. كما لو خلق العدل كان عادلاً.

واتفقوا على أن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد.

وأما الأصلح واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم وسموا هذا النمط عدلاً.

واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب، والعوض والتفضيل. ومعنى آخر وراء الثواب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها، استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط وعداً ووعيداً.

واتفقوا على أن أصول المعرفة وشكر النعمة واجب، قبل ورود السمع، والحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل، واعتناق الحسن واجتناب القبيح، أرسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء عليهم السلام، امتحاناً واختباراً ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة﴾ [الأنفال: ٤٢].

واختلفوا في الإمامة والقول فيها نصاً واختياراً كما سيأتي عند مقالة كل طائفة طائفة.

والآن نذكر ما يختص بطائفة طائفة من المقالة التي تميزت بها عن أصحابها.

= القديم سبحانه وما دل من كتاب الله تعالى على أن متعلقات الكلام لا نهاية لها دليل على أنه ليس بحرف ولا صوت لوجوب التناهي فيما صح وصفه به.

الواصلية

الواصلية أصحاب أبي حذيفة واصل [١] بن عطاء الغزال، كان تلميذ الحسن [٢] البصري، يقرأ عليه العلوم والأخبار، وكان في أيام عبد الملك [٣] وهشام [٤] بن عبد الملك، وبالمغرب الآن منهم شر ذمة قليلة، في بلد إدريس [٥] بن عبد الله الحسني، الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر [٦] المنصور، ويقال لهم الواصلية.

واعتزالهم يدور على أربع قواعد.

القاعدة الأولى: القول بنفي [٧] صفات الباري تعالى، من العلم، والقدرة والإرادة، والحياة، وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة، وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين، قال من أثبت معنى، وصفة قديمة أثبت إلهين، وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة، وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات، إلى كونه عالماً قادراً، ثم الحكم بأنهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة، كما قاله الجبائي [٨] أو حالتان كما

---

(١) واصل بن عطاء البصري الغزال المتكلم البليغ قديم المعتزلة وشيخها وأول من أظهر المنزلة بين المنزلتين، وقد اعتزل عن الحسن لما خالفه وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما معتزلون. توفي سنة ١٣١ وولد بالمدينة سنة ثمانين (لسان الميزان سادس ص ٢١٤ وابن خلكان ثان ص ٢٢٤).

(٢) أبو سعيد الحسن البصري من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، كان فصيحاً حكيماً. توفي في مستهل رجب سنة ١١٠ (ابن خلكان أول ص ١٦٠).

(٣) عبد الملك بن مروان الخليفة المرواني عدّ في الفقه في طبقة ابن المسيب وما رؤي شاب كان أشد تشميراً ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله منه. توفي سنة ست وثمانين (شذرات أول ص ٩٧).

(٤) هشام بن عبد الملك، الخليفة، كانت خلافته عشرين سنة إلا شهراً وكان ذا رأي وحزم وحلم شديد الجمع للمال، قليل البذل، وكان متيقظاً لا يغيب عنه شيء من أمر ملكه. توفي سنة خمس وعشرين ومائة (شذرات أول ص ١٦٣).

(٥) إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي خرج على المنصور سنة تسع وستين ومائة، وهرب إلى المغرب فقام معه أهل طنجة وهو جد الشرفاء الادريسيين وقد نشرت دعوته وبقي ولده يتوارثون ملك المغرب ومن سلالته أدارسة العصر الحاضر ومات أيام الرشيد سنة ١٩٣ (شذرات أول ص ٢٦٩ و ٣٣٩).

(٦) أبو جعفر عبد الله بن محمد ولي الخلافة في الحجة سنة ١٣٦ وتلقب بالمنصور بالله وهو أول من تلقب من الخلفاء وكان عالماً بليغاً حازماً، ذكياً سرياً توفي في ذي الحجة ١٥٨ (خلاصة الذهب المسبوك ص ٤٣).

(٧) الحق، أن علم الله تعالى وقدرته وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه، صفات له أزلية، ونعوت له أبدية. وإنما نقول للنافين، أنه في نفي الصفة نفي للموصوف.

(٨) أبو علي محمد بن عبد الوهاب المعروف بالجبائي أحد أئمة المعتزلة كان إماماً في علم الكلام أخذ هذا العلم عن يعقوب الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة توفي سنة ٣٠٣ (ابن خلكان أول ص ٦٠٨).

قاله أبو هاشم [1] ومال أبو الحسين [2] البصري، إلى ردهما إلى صفة واحدة، وذلك عين مذهب الفلاسفة، وسنذكر تفصيل ذلك، وكانت السلف تخالفهم في ذلك إذ وجدوا الصفات مذكورة في الكتاب والسنة.

القاعدة الثانية: القول بالقدر وإنما سلك في ذلك مسلك معبد [3] الجهني، وغيلان [4] الدمشقي، وقرر واصل بن عطاء هذه القاعدة أكثر ما كان يقرر قاعدة الصفات، فقال إن الباري تعالى حكيم عادل. لا يجوز أن يضاف إليه شر وظلم، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما بأمر، وأن يحكم عليهم شيئاً، ثم يجازيهم عليه، فالعبد هو الفاعل للخير والشر، والإيمان، والكفر والطاعة والمعصية، وهو المجازي على فعله، والرب تعالى أقدره على ذلك كله، وأفعال العباد محصورة في الحركات والسكنات، والاعتمادات. والنظر، والعلم.

وقال: يستحيل أن يخاطب العبد بافعل، وهو لا يمكنه أن يفعل وهو يحس من نفسه الاقتدار والفعل،ومن أنكره فقد أنكر الضرورة واستدل بآيات على هذه الكلمات[5].

---

(١) أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي، المتكلم كان هو وأبوه من كبار المعتزلة ولهما مقالات على مذهب الاعتزال وكتب الكلام مشحونة بمذهبهما، واعتقادهما وتوفي سنة ٣٢١ (ابن خلكان ص ٣٦٧).

(٢) أبو الحسين محمد بن علي الطيب البصري المتكلم المعتزلي وهو أحد أئمتهم المشار إليه وكان جيد الكلام مليح العبارة غزير المادة. توفي سنة ٤٠٣ (ابن خلكان أول ص ٦٠٩).

(٣) معبد بن عبد الله الجهني كان أول من تكلم في القدر ونهى الحسن البصري الناس عن مجالسته، صلبه عبد الملك في القدر، وقيل: بل عذبه الحجاج بأنواع العذاب وقتله سنة ثمانين (شذرات أول ص ٨٨ ـ ميزان ثالث ص ١٨٣).

(٤) غيلان بن مسلم، المقتول في القدر ضال مسكين وكان من بلغاء الكتاب ومن أصحاب الحرث الكذاب وممن آمن بنبوته فلما قتل الحرث قام مقامه وقد ناظره الأوزاعي فأفتى بقتله، قتل أيام هشام بن عبد الملك (لسان الميزان رابع ص ٤٢٤).

(٥) ذهب في هذا مذهب القدرية في أن الله تعالى غير خالق لاكساب العباد ولا لشيء من أعمال الحيوان والناس هم الذي يقدرون اكسابهم وليس لله عز وجل في اكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوان صنع ولا تقدير ومن ذهب إلى هذا فهو مشرك بربه، لدعواه أن العباد يخلقون مثل خلق الله من الاعراض التي هي الحركات والسكون، في العلوم والإرادات والأقوال والأصوات وقد قال الله تعالى في ذم أصحاب هذا القول: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾. ﴿والله خلقكم وما تعلمون﴾ والقدرية من أقدم الفرق والمعتزلة وريثتها.. ولما أظهر واصل =

ورأيت رسالة نسبت إلى الحسن البصري كتبها إلى عبد الملك بن مروان وقد سأله، عن القول بالقدر والجبر، فأجابه بما يوافق مذهب القدرية، واستدل فيها بآيات من الكتاب، ودلائل من العقل، ولعلها لواصل بن عطاء، فما كان الحسن، ممن يخالف السلف في أن القدر خيره وشره من الله تعالى، فان هذه الكلمة كالمجمع عليها عندهم، والعجب أنه حمل هذا اللفظ الوارد في الخبر على البلاء والعافية، والشدة، والراحة، والمرض، والشفاء، والموت، والحياة، إلى غير ذلك من أفعال الله تعالى، دون الخير، والشر، والحسن، والقبيح الصادرين من أكساب العباد، وكذلك أورده جماعة المعتزلة في المقالات من أصحابهم.

القاعدة الثالثة: القول بالمنزلة بين المنزلتين [1] والسبب فيه أنه دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر، يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجون، أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال: واصل بن عطاء أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة [2] من اسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا، واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة.

ووجه تقريره أنه قال، أن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمناً، وهو اسم مدح، والفاسق لم يستجمع خصال الخير، ولا استحق اسم المدح فلا

= بدعته في المنزلة بين المنزلتين، وضم دعواه إلى قول القدرية فقال الناس يومئذ لواصل أنه مع كفره قدري وجرى المثل بذلك في كل من جمع بين خصلتين فاسدتين.

(١) كان علماء التابعين، مع أكثر الأمة يقولون أن صاحب الكبيرة من أمة الإسلام مؤمن لاعتقاده بالرسل والكتب المنزلة ويقينه بأن ماجاء من عند الله حق ولكنه بكبيرته وفسقه لا ينفي عنه الإيمان والإسلام ولكن واصلاً زعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان.

(٢) الاسطوانة، السارية والغالب أنها تكون من بناء بخلاف العمود فإنه من حجر واحد وجمعها أساطين.

يسمى مؤمناً، وليس هو بكافر مطلق أيضاً، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه، لا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالداً فيها إذ ليس في الآخرة إلا الفريقان ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ [الشورى: ٧] لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار، وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد بعد أن كان موافقاً له في القدر وإنكار الصفات.

القاعدة الرابعة: قوله في الفريقين من أصحاب الجمل [١] وأصحاب صفين [٢]، أن أحدهما مخطىء لا بعينه، وكذلك قوله في عثمان وقاتليه وخاذليه، قال أحد الفريقين فاسق لا محالة، كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا بعينه، وقد عرفت قوله في الفاسق، وأقل درجات الفريقين أنه لا يقبل شهادتهما كما لا يقبل شهادة المتلاعنين، فلم يجوز قبول شهادة علي وطلحة والزبير على باقة بقل [٣] وجوز أن يكون عثمان وعلي على الخطأ، هذا قول رئيس المعتزلة، ومبدأ الطريقة في أعلام الصحابة، وأئمة [٤] العترة، ووافقه عمرو بن عبيد على مذهبه وزاد عليه في تفسيق أحد الفريقين لا بعينه، بأن قال لو شهد رجلان من أحد الفريقين، مثل علي، ورجل من عسكره أو طلحة والزبير لم تقبل شهادتهما وفيه تفسيق الفريقين، وكونهما من أهل النار [٥]، وكان عمرو من رواة الحديث معروفاً بالزهد وواصل مشهوراً بالفضل والأدب عندهم.

---

(١) أصحاب الجمل، عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم في قتالهم لعلي، وواقعة الجمل سنة ست وثلاثين، وسميت بالجمل المسمى عسكراً وكانت تركبه السيدة عائشة اشتراه عامل عثمان على البصرة عبد الله بن عامر من اليمن بمائتي دينار (مروج الذهب ثان ص ٢٤٢).

(٢) أصحاب صفين: معاوية، وعمرو بن العاص، في قتالهما لعلي وقد بدأ القتال في صفر سنة ٣٧ وقتل بصفين عمار بن ياسر (مروج ثان ص ٢٥٧).

(٣) الباقة من البقل حزمة منه أما من الزهر فطاقة والبقل من النبات ما كان ينبت في بزره ولا ينبت في أرومة ثابتة.

(٤) عترة الرجل وأسرته وفصيلته رهطة الادنون، وعترة النبي ﷺ ولد فاطمة البتول عليها السلام ويراد بالعترة هنا آل بيت رسول الله ﷺ.

(٥) وهذا غلواء منه فإن أهل السنة والجماعة يقولون بصحة إسلام الفريقين في حرب الجمل، وعلي، كان على الحق في قتالهم وأصحاب الجمل كانوا مخطئين في قتال علي، ولم يكن خطؤهم كفراً ولا فسقاً، يسقط شهادتهم وأجازوا الحكم بشهادة عدلين من كل فرقة من الفريقين.

الهذيلية

أصحاب أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة، ومقدم الطائفة، ومقرر الطريقة والمنظر عليها، أخذ الاعتزال عن عثمان [1] بن خالد الطويل، عن واصل بن عطاء، ويقال أخذ واصل عن أبي هاشم عبد الله بن حمد بن الحنيفية، ويقال أخذه عن الحسن بن أبي الحسن البصري، وإنما انفرد عن أصحابه بعشر قواعد.

الأولى: أن الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدرة، وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته [2]، وإنما اقتبس هذا من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه، وإنما الصفات ليست وراء الذات معاني قائمة بذاته، بل هي ذاته، وترجع إلى السلوب [3]، واللوازم [4] كما سيأتي، والفرق بين قول القائل عالم لذاته لا بعلم، وبين قول القائل عالم بعلم هو ذاته، أن الأول نفي الصفة، والثاني إثبات ذات هو بعينه صفة هي بعينها ذات.

وإن أثبت أبو الهذيل هذه الصفات وجودها للذات، فهي بعينها أقانيم [5] النصارى أو أحوال أبي هاشم.

---

(١) الظاهر أنه عثمان بن خاش البصري، وقد ذاكر عمرو بن عبيد في مسألة من الاعتزال فجرّه عمرو إلى بدعته فهي آفته (لسان الميزان رابع ص ١٣٤).

(٢) يرمي أبو الهذيل بقوله إلى أن علم الباري هو هو وقدرته هي هو: ولو كان كما قاله لم يكن عالماً ولا قادراً، ولكن علمه قدرته وقدرته علمه وكان لا يتحقق الفرق بينهما إذا كانا يرجعان إلى ذات واحدة، وعقيدتنا أن نعلم أن للباري حياة وقدرة وعلماً وإرادة وكلاماً وسمعاً وبصراً فالله يقول أنزله بعلمه، وقد أحاط بكل شيء علماً، وقال ذو القوة المتين، وقال: ﴿فعال لما يريد﴾، وقال: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾، فهذه آيات على العلم والقدرة والإرادة والمشيئة، ولا يجوز فيما ذكرناه من صفات القديم سبحانه أن يقال أنها هي هو وإنما هي صفات له موجودة به قائمة بذاته، مختصة به، وأن كل صفة له لم تكن إلا أزلية قديمة.

(٣) السلوب: ج سلب. وهو انتزاع النسبة تعريفات ص ٨٢ وفي دستور العلماء ثان ص ١٧٨ السلب ما يقابل الإيجاب أي انتزاع النسبة.

(٤) اللازم ما يمتنع انفكاكه عن الشيء وهو نوعان لازم الماهية ما يمتنع انفكاكه عن الماهية من حيث هي مع قطع النظر عن العوارض كالضحك بالقوة عن الانسان وكالزوجية للأربعة فإنه أينما تحقق ماهية الأربعة امتنع انفكاك الزوجية عنها ولازم الوجود ما يمتنع انفكاكه عن الماهية مع عارض مخصوص ويمكن انفكاكه عن الماهية من حيث هو هي كالسواد للحبشي

(٥) الأقانيم الأصول واحدها أقنوم. قال الجوهري وأحسبها رومية. وعند النصارى الأب، والابن وروح القدس.

الثانية: أنه أثبت إرادات لا محل لها يكون الباري تعالى مريداً بها، وهو أول من أحدث هذه المقالة وتابعه عليها المتأخرون.

الثالثة: قال في كلام الباري تعالى، أن بعضه لا في محل وهو قوله كن، وبعضه في محل كالأمر والنهي والخبر والاستخبار، وكان أمر التكوين عنده غير أمر التكليف[1].

الرابعة: قوله في القدر مثل ما قاله أصحابه إلا أنه قدري الأولى جبري الآخرة، فان مذهبه في حركات أهل الخلدين[2] في الآخرة أنها كلها ضرورية لا قدرة للعباد عليها، وكلها مخلوق للباري تعالى إذ لو كانت مكتسبة للعباد لكانوا مكلفين بها.

الخامسة: قوله إن حركات أهل الخلدين تنقطع، وأنهم يصيرون إلى سكون دائم خموداً، أو تجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة أو تجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار وهذا قريب من مذهب جهم إذ حكم بفناء الجنة والنار [3]، وإنما التزم أبو الهذيل هذا المذهب، لأنه لما ألزم في مسألة حدوث العالم، أن الحوادث التي لا أول لها كالحوادث التي لا آخر لها، إذ كل واحدة لا تتناهى، قال إني لا أقول بحركات لا تتناهى أولاً، بل يصيرون إلى سكون دائم، وكأنه ظن أن ما ألزم في الحركة لا يلزمه في السكون.

السادسة: قوله في الاستطاعة أنها عرض من الأعراض غير السلامة، والصحة وفرق بين أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فقال لا يصح وجود أفعال القلوب منه، مع عدم القدرة والاستطاعة معها في حال الفعل، وجوز ذلك في أفعال الجوارح، وقال بتقدمها فيفعل بها في الحال الأولى وإن لم يوجد إلا في الحالة الثانية، قال فحال يفعل

---

(١) فهو يزعم أن قول الله سبحانه للشيء كن، حادث لا في محل، وسائر كلامه حادث في جسم من الأجسام، وكل كلامه عنده أعراض وهذا خلط، إذ فرق بين عرضين من جنس واحد، في حاجة أحدهما إلى محل واستغناء الآخر عن المحل.

(٢) الخلد دوام البقاء في دار لا يخرج منها ودار الخلد الآخرة لبقاء أهلها فيها، وأهل الخلدين من يخلدون في الجنة ومن يخلدون في النار.

(٣) فأبو الهذيل، يريد بهذا القول بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادراً على شيء، وقوله في ذلك شر من قول جهم بفناء الجنة والنار لأن جهماً يقول أن الله قادر في ذلك الوقت على أن يخلق أمثالهما.

غير حال فعل، ثم ما تولد من فعل العبد فهو فعله غير اللون والطعم والرائحة، وكل ما لا يعرف كيفيته، وقال في الإدراك والعلم الحادثين في غيره عند اسماعه وتعليمه أن الله تعالى يبدعهما فيه، وليسا من أفعال العباد.

السابعة: قوله في الفكر قبل ورود السمع، أنه يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر، وأن قصر المعرفة استوجب العقوبة أبداً [1]، ويعلم أيضاً حسن الحسن، وقبح القبيح، فيجب عليه الإقدام على الحسن، كالصدق، والعدل، والإعراض عن القبيح، كالكذب، والجور، وقال أيضاً بطاعات لا يراد بها الله تعالى [2] ولا يقصد بها التقرب إليه، كالقصد إلى النظر الأول (ولا يمكنه قبل النظر) الأول (التعرف به إليه) فانه لم يعرف الله تعالى بعد، والفعل عبادة، وقال في المكره إذا لم يعرف التعريض والتورية فيما أكره عليه، فله أن يكذب ويكون وزره موضوعاً عنه.

الثامنة: قوله في الآجال والأرزاق أن الرجل إن لم يقتل مات في ذلك الوقت، ولا يجوز أن يزاد في العمر، أو ينقص، والأرزاق على وجهين:

أحدهما: ما خلق الله تعالى من الأمور المنتفع بها، يجوز أن يقال خلقها رزقاً للعباد، فعلى هذا من قال أن أحداً أكل وانتفع بما لم يخلقه الله رزقاً، فقد أخطأ، لما فيه آن في الأجسام ما لم يخلقه الله.

والثاني: ما حكم الله به من هذه الأرزاق للعباد، فما أحل منها فهو رزقه، وما حرم فليس رزقاً، أي ليس مأموراً بتناوله.

التاسعة: حكى الكعبي عنه أنه قال: إرادة الله غير المراد، فإرادته لما خلق هي

---

(١) مذهب أهل السنة والجماعة أنه لا يجب على الخلق شيء إلا بأمر يرد من قبل الله تعالى على لسان رسول مؤيداً بالمعجزة، إذ لا طريق في العقل إلى معرفة وجوب شيء على الخلق فالله سبحانه يقول: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾، ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً﴾ وقال: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾. فالعقل لا يكون طريقاً لمعرفة الوجوب، غير أنه ارتضى الأشاعرة وجوب معرفة الله قبل ورود الشرع.

(٢) رتب، على ضلالته هذه، أن ليس في الأرض دهري ولا زنديق إلا وهو مطيع لله تعالى في أشياء كثيرة وإن عصاه من جهة كفره، وقال أهل السنّة أن الطاعة لله عز وجل ممن لا يعرفه إنما تصح في شيء واحد وهو النظر والاستدلال الواجب عليه قبل وصوله إلى معرفة الله تعالى فإن يفعل ذلك يكن مطيعاً لله تعالى لأنه قد أمره به وإن لم يكن قصد بفعله لذلك النظر الأول التقرب إلى الله عز وجل ولا تصح منه طاعة لله سواها إلا إذا قصد بها التقرب إليه.

خلقه له، وخلقه للشيء عنده غير الشيء، بل الخلق عنده قول لا في محل، وقال أنه تعالى لم يزل سميعاً بصيراً بمعنى سيسمع وسيبصر، وكذلك لم يزل غفوراً رحيماً محسناً خالقاً رازقاً معاقباً موالياً معادياً آمراً ناهياً بمعنى أن ذلك سيكون.

العاشرة: حكي عنه جماعة أنه قال: الحجة لا تقوم فيما غاب إلا بخبر عشرين [1] فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر، ولا تخلوا الأرض عن جماعة هم أولياء الله معصومين لا يكذبون ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة لا التواتر، إذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لا يحصون عدداً، إذ لم يكونوا أولياء الله، ولم يكن فيهم واحد معصوم، وصحب أبا الهذيل أبو يعقوب الشحام والأدمي وهما على مقالته وكانت سنه مائة سنة توفي في أول خلافة المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين.

النظامية

أصحاب إبراهيم بن سيار النظام[2]، وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وانفرد عن أصحابه بمسائل.

الأولى منها: أنه زاد على القول بالقدر خيره وشره منا، قوله إن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي، وليست هي مقدورة للباري تعالى خلافاً لأصحابه فانهم قضوا بأنه قادر عليها لكنه لا يفعلها لأنها قبيحة.

ومذهب النظام أن القبح إذا كانت صفة ذاتية للقبيح، وهو المانع من الإضافة إليه فعلاً، ففي تجويز وقوع القبيح منه قبح أيضاً، فيجب أن يكون مانعاً، ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم [3] وزاد أيضاً على هذا الاختيار، فقال إنما يقدر على فعل ما

---

(١) استدل على أن العشرين حجة بقوله تعالى: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾، وهو لا يريد بهذا إلا تعطيل الأخبار الواردة في الأحكام الشرعية من فوائدها.

(٢) المعتزلة يموهون على الاغمار بدينه، ويوهمون أنه كان نظاماً للكلام المنثور والشعر الموزون وإنما كان ينظم الخرز في سوق البصرة، فقيل له النظام (الفرق بين الفرق ص ١١٣).

(٣) وقد كفرته البصرية من المعتزلة في هذا القول وقالوا أن القادر على العدل يجب أن يكون قادراً على الظلم والقادر على الصدق يجب أن يكون قادراً على الكذب وإن لم يفعل الظلم والكذب لقبحهما أو غناه عنهما وعلم بغناه عنهما لأن القدرة على الشيء يجب أن تكون قدرة على ضده، ولزم من قوله أن الله تعالى لا يقدر على الظلم والكذب أنه لا يقدر على الصدق والعدل والقول بهذا كفر فما يؤدي إليه مثله (الفرق بين الفرق ص ١١٦).

يعلم أن فيه صلاحاً لعباده، ولا يقدر على أن يفعل لعباده في الدنيا ما ليس فيه صلاحهم هـذا فـي تعلق قدرته بما يتعلق بأمور الدنيا، وأما أمور الآخرة فقال ، لا يوصف الباري تعالى بالقدرة على أن يزيد في عذاب أهل النار شيئاً ، ولا على أن ينقص منه شيئاً، وكذلك لا ينقص من نعيم أهل الجنة ، ولا أن يخرج أحداً من أهل الجنة، وليس ذلك مقدوراً له، وقد ألزم عليه أن يكون الباري تعالى مطبوعاً مجبوراً على ما يفعله، فان القادر على الحقيقة من يتخير بين الفعل والترك، فأجاب أن الذي ألزمتموني في القدرة، يلزمكم في الفعل، فان عندكم يستحيل أن يفعله وإن كان مقدوراً ، فلا فرق، وإنما أخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا ، بأن الجواد لا يجوز أن يدخر شيئاً (لا يبذله)، فما أبدعه وأوجده هو المقدور، ولو كان في علمه ومقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاماً وتركيباً وصلاحاً لفعل.

الثانية: قوله في الإرادة أن الباري تعالى ليس موصوفاً بها على الحقيقة [1] فإذا وصف بها شرعاً في أفعاله ، فالمراد بذلك أنه خالقها ومنشئها على حسب ما علم، وإذا وصف بكونه مريداً لأفعال العباد، فالمعنى به أنه آمر بها (وناه عنها) ، وعنه أخذ الكعبي مذهبه في الإرادة.

الثالثة: قوله أن أفعال العباد كلها حركات فحسب، والسكون حركة اعتماده، والعلوم والإرادات حركات النفس، ولم يرد بهذه الحركة حركة النقلة ، وإنما الحركة عنده مبدأ تغير ما، كما قالت الفلاسفة من إثبات حركات، في الكيف، والكم، والوضع، والأين، والمتى، إلى أحوالها.

الرابعة: ووافقهم أيضاً في قولهم، إن الإنسان في الحقيقة هو النفس والروح، والبدن آلتها وقابلها [2] (وهذه يعينها مقالة الفلاسفة)، غير أنه تقاصر عن إدراك مذهبهم.

---

(١) معتزلة البصريين وأهل السنّة يخالفونه في هذا، وهم يعتقدون أن الله عز وجل مريد على الحقيقة غير أن أهل السنّة قالوا أنه لم يزل مريداً بإرادة أزلية ومعتزلة البصرة أنه مريد بإرادة حادثة لا في محل وهم وأهل السنّة قد أكفروا من نفى إرادة الله عز وجل (الفرق بين الفرق ص ١٦٦).

(٢) يقتضي قوله: أن الإنسان لا يرى على الحقيقة وإنما يرى الجسد الذي فيه الانسان، فلزم أن لا يكون أحد رأى أباه وأمه وإنما رأى قالبيهما ولزم أن يكون الجماد والحيوان والملائكة والجن ليس هو حينئذ واحداً من أولئك وإنما هو روح في جسده وهو الحياة المشابكة للجسد، فيوجب أن لا يرى واحد وإنما المرئي قالبه وهذا خلط وخبط.

فمال إلى قوله الطبيعية منهم، أن الروح جسم لطيف مشابك للبدن، مداخل للقالب أجرائه المائية في الورد، والدهنية في السمسم، والسمنية في اللبن، وقال إن الروح هي التي لها قوة واستطاعة ، وحياة ، ومشيئة، وهي مستطيعة بنفسها، والاستطاعة قبل الفعل.

الخامسة: حكى الكعبي عنه أنه قال، إن كل ما جاوز محل القدرة من الفعل، فهو من فعل الله تعالى بإيجاب الخليقة، أي أن الله تعالى طبع الحجر طبعاً، وخلقه ، إذا دفعته اندفع، وإذا بلغ قوة الدفع مبلغها عاد الحجر إلى مكانه طبعاً، وله في الجواهر وأحكامها خبط مذهب، يخالف المتكلمين والفلاسفة.

السادسة: وافق الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزأ [1] وأحدث القول بالطفرة لما ألزم مشي نملة على صخرة من طرف إلى طرف، انها قطعت ما لا يتناهى، وكيف يقطع ما يتناهي ما لا يتناهى، قال يقطع بعضها بالمشي وبعضها بالطفرة [2] وشبه ذلك بحبل شد على خشبة معترضة وسط البئر خمسون ذراعاً وعليه دلو معلق وحبل طوله خمسون ذراعاً عليه معلاق [3] فيجر به لحبل المتوسط فان الدلو يصل إلى رأس البئر وقد قطع مائة ذراع بحبل طوله خمسون ذراعاً في زمان واحد وليس ذلك إلا أن بعض القطع بالطفرة ولم يعلم أن الطفرة قطع مسافة أيضاً موازية لمسافته فالإلزام لا يندفع عنه وإنما الفرق بين المشي والطفرة يرجع إلى سرعة الزمان وبطئه.

السابعة: قال ان الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت ووافق هشام بن الحكم في قوله أن الألوان والطعوم والروائح أجسام، فتارة يقضي بكون الأجسام أعراضاً، وتارة يقضي بكون الأعراض أجساماً.

---

(١) فهو يقول بانقسام كل جزء لا إلى نهاية وفي ضمن قوله، إحالة كون الله تعالى محيطاً بآخر العالم عالماً بها. والله تعلى يقول: ﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾، وإلى ما يلزم على هذا القول من قدم العالم، وهذا مستحيل لا يقبله العقل، وكلمه أبو الهذيل في أن أجزاء الجزء لا تتناهى، فقال: لو كان كل جزء من الجسم لا نهاية له لكانت النملة إذا دبت على البقلة لا تنتهي إلى طرفها فقال: إنها تطفر بعضاً، وتقطع بعضاً، وهذا منه كلام لا تقبله عقول العقلاء لأن ما لا يتناهى كيف يمكن قطعه بالطفرة فصار قوله مثلاً سائراً يضرب لكل من تكلم بكلام لا تحقيق له ولا يتقرر في العقل معناه (الفرق بين الفرق ص ١٢٣ ـ التبصير ص ٤٣).

(٢) الطفرة في اللغة الوثبة، والمراد هنا انتقال جسم من أجزاء المسافة إلى أجزاء أخرى منها من غير أن يحاذي ما بينهما من أجزائها؛ والنظام ممن قال بالطفرة.

(٣) المعلاق، ويقال له معلوق وهو ما يعلق عليه الشيء.

الثامنة: من مذهبه أن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليها الآن معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام (ع) خلق أولاده، غير أن الله تعالى أكمن بعضها في بعض، فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكانها دون حدوثها ووجودها [1]، وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة.

وأكثر ميله أبداً إلى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم دون الإلهيين.

التاسعة: قوله في إعجاز القرآن أنه من حيث الاخبار عن الأمور الماضية والاتية ومن جهة صرف الدواعي من المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظماً[2].

العاشرة: قوله في الإجماع فإنه ليس بحجة في الشرع وكذلك القياس في الأحكام الشرعية لا يجوز أن يكون حجة وإنما الحجة في قول الإمام المعصوم [3].

الحادية عشر: ميله إلى الرفض ووقيعته في كبار الصحابة [4] قال أولاً لا إمامة إلا بالنص والتعيين ظاهراً مكشوفاً، وقد نص النبي ﷺ على علي كرم الله وجهه في مواضع وأظهره إظهاراً لم يشتبه على الجماعة، إلا أن عمر كتم ذلك، وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة، ونسبه إلى الشك يوم الحديبية في سؤاله عن الرسول عليه السلام حين قال: ألسنا على الحق أليسوا على الباطل؟ قال: نعم. قال عمر: فلم نعطي الدنية في

---

(١) هذا، يخالف ما أجمع عليه سلف الأمة، مع أهل الكتاب، من أن الله تعالى خلق اللوح والقلم قبل خلق السموات والأرض وإنما يذهب بهذا إلى إنكار حدوث الأجساد والأعراض بدعواه وجود جميعها في كل حال على شريطة كون بعضها وظهور بعضها من غير حدوث شيء منها في حال الظهور وهذا إلحاد وكفر.

(٢) هذا عناد منه لقوله تعالى: ﴿لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾، وما غرضه إلا إنكار نبوة من تحدى العرب بأن يعارضوه بمثله.

(٣) دفعه لحجة الإجماع، والقياس يريد به إبطال أحكام فروع الشريعة لإبطاله طرقها.

(٤) ما وقيعته فيهم إلا لتوحيدهم وإيثارهم دينهم على هواهم وما مثله في طعنه مع ضلالته إلا كما قال حسان بن ثابت:

ما أبالي أنب بالحزن تيس ... أم لحاني بظهر غيب لئيم

وكما قال الفرزدق:

ما ضر تغلب وائل أهجوتها ... أم بلت حيث تناطح البحران

وكما قال العربي: هل يضر السحاب نبح الكلاب.

ديننا [1] ؟ قال: هذا شك في الدين ووجدان خرج في النفس مما قضى وحكم وزاد في الفرية . فقال: ان عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها وكان يصيح أحرقوا الدار بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين، وقال تغريبه نصر بن الحجاج من المدينة إلى البصرة، وإبداعه التراويح، ونهيهم عن متعة الحج، ومصادرته العمال، كل ذلك احداث [2].

ثم وقع في عثمان وذكر أحداثه، من رده الحكم بن أمية إلى المدينة وهو طريد رسوّل الله، ونفيه أبا ذر وهو صديق رسول الله، وتقليده الوليد بن عقبة الكوفة وهو من أفسد الناس، ومعاوية الشام وعبد الله بن عامر البصرة، وتزويجه مروان بن الحكم بنته وهم أفسدوا عليه أمره، وضربه عبد الله بن مسعود على إحضار المصحف وعلى القول الذي شافهه به كل ذلك احداثه، ثم زاد على خزيه ذلك بأن عاب علياً [3] وعبد الله [4] ابن مسعود لقولهما أقول فيها برأيي، وكذب ابن مسعود في روايته [5] (السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه) وفي روايته انشقاق القمر [6] ، وفي تشبيهه

---

(١) وعاد عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: «بلى» قال: ألسنا على الحق؟ قال: «بلى» قال: أليس عدونا على الباطل؟ قال: «بلى» قال: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا؟ فقال: «إني رسول الله ولن أعصيه ولين يضيعني». فانطلق إلى أبي بكر، فقال له مثل ذلك فأجابه بنحو ما أجاب رسول الله ثم قال: ودع عنك ما ترى ياعمر، فكان عمر يقول:

ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً (إمتاع الاسماع ص ٢٩٥ ـ وابن هشام ثالث ص ٣٦٦).

(٢) في الجزء الثالث من شرح ابن أبي الحديد من ص ١٤٧ إلى ص ١٨١ ردود قيمة على ما طعن به على عمر وتزييف تلك الطعون.

(٣) فقد زعم أن علياً سئل عن بقرة قتلت حماراً فقال: أقول فيها برأيي ثم قال يجهله من هو حتى يقضي برأيه (الفرق بين الفرق ص ١٣٤).

(٤) وعاب ابن مسعود في قوله في حديث بروع بنت واشق الرواسية الكلابية أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني، (مختصر الفرق ص ١٥٧ ـ الاصابة سابع ص ٢٩).

(٥) في رواية عن النبي ﷺ وإنما أنكر على ابن مسعود روايته لأن هذا خلاف قول القدرية في دعواها أن السعادة والشقاء ليستا من قضاء الله عز وجل وقدره.

(٦) وإنما أنكر انشقاق القمر مع ذكر الله تعالى في كتابه ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾. إمعاناً. في الإلحاد وهو شر من المشركين إذ أنهم لما رأوا انشقاقه زعموا أن ذلك واقع بسحر، ومنكر المعجزة شر ممن تأولها.

الجن بالزط، وقد أنكر (رؤية) الجن رأسا[1] إلى غير ذلك من الوقيعة الفاحشة في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

الثانية عشر: قوله في التفكر قبل ورود السمع إنه إذا كان عاقلاً متمكناً من النظر يجب عليه تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال، وقال بتحسين العقل وتقبيحه في جميع ما يتصرف فيه من أفعاله، وقال لا بد من خاطرين، أحدهما: يأمر بالإقدام والآخر بالكف ليصح الاختيار.

الثالثة عشر: تكلم في مسائل الوعد والوعيد، وزعم أن من خان في مائة وتسعة وتسعين درهماً بالسرقة أو الظلم لم يفسق بذلك، حتى تبلغ خيانته نصاب الزكاة وهو مائتا درهم فصاعداً، فحينئذٍ يفسق، وكذلك في سائر نصب الزكاة[2].

وقال في المعاد أن الفضل على الأطفال كالفضل على البهائم [3] ووافقه الأسواري [4] في جميع ما ذهب إليه، وزاد عليه بأن قال: ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على ما علم أنه لا يفعله ولا على ما أخبر أنه لا يفعله [5] مع أن الإنسان قادر على ذلك لأن قدرة العبد صالحة للضدين ومن المعلوم أن أحد الضدين واقع وفي المعلوم أنه سيوجد دون الثاني والخطاب لا ينقطع عن أبي لهب وان أخبر الرب تعالى بأنه سيصلى ناراً ذات لهب، ووافقه أبو جعفر الاسكافي وأصحابه من المعتزلة وزاد عليه بأن قال ان

---

(١) أن إنكاره رؤية الجن أصلاً، يلزمه أن لا يرى بعض الجن بعضاً وان أجاز رؤيتهم فليس ثمت ما يدعو إلى تكذيب ابن مسعود في دعواه رؤيتهم. اللهم إلا إمعانه في ضلاله وكفره.

(٢) ما رأى أحد رأيه بل قال قوم في نصاب القطع أنه ربع دينار أو قيمته وبه قال الشافعي وأصحابه وقال مالك: بربع دينار أو ثلاثة دراهم. وقال أبو حنيفة: في عشرة دراهم فصاعداً واعتبره قوم بأربعين درهماً أو قيمتها وأوجب الأباضية القطع في قليل السرقة وكثيرها ولو كان التفسيق بنصاب القطع لما فسق من يغصب الألوف من الدنانير إذ لا قطع عليه كما لا يفسق من سرق الألوف من غير حرز أو من الابن إذ لا قطع فيهما

(٣) فلقد زعم أن ليس لأطفال المؤمنين تفضيل بدرجة أو نعمة، على الحيات والعقارب، بل لقد اشتط فزعم أنه لا يفضل على الأنبياء عليهم السلام إلا بمثل ما يفضل به على البهائم؛ كافأه الله وحشره مع الكلاب والخنازير والحيات والعقارب.

(٤) عمرو بن فايد الأسواري يكنى أبا علي، كان يذهب إلى القدر والاعتزال ولا يقيم الحديث، وكان منقطعاً إلى محمد بن سليمان أمير البصرة وأخذ عن عمرو بن عبيد وله معه مناظرات ومات بعد المائتين سنة (لسان الميزان رابع ص ٣٧٢).

(٥) فهو يذهب إلى أن ما علم الله تعالى أن لا يكون لم يكن مقدوراً لله تعالى فقوله هذا يوجب أن تكون قدرة الله متناهية ومن كانت قدرته متناهية فذاته متناهية، والقول بهذا كفر.

الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء، وإنما يوصف بالقدرة على ظلم الأطفال والمجانين، وكذلك الجعفران: جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وافقاه، وما زاد عليه إلا أن جعفر بن مبشر قال في فساق الأمة من هو شر من الزنادقة والمجوس[1] وزعم أن اجماع الصحابة على حد شارب الخمر كان خطأ، إذ المعتبر في الحدود النص والتوقيف [2] وزعم أن سارق الحبة الواحدة فاسق منخلع من الإيمان [3]وكان محمد بن شبيب، وأبو شمر، وموسى بن عمران من أصحاب النظام إلا أنهم خالفوه في الوعيد وفي المنزلة بين المنزلتين، وقالوا صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بمجرد ارتكاب الكبيرة، وكان ابن مبشر يقول في الوعيد أن استحقاق العقاب والخلود في النار بالكفر يعرف قبل ورود السمع، وسائر أصحابه يقولون التخليد لا يعرف إلا بالسمع ، ومن أصحاب النظام: الفضل الحدثي، وأحمد بن خابط. قال ابن الراوندي [4] : انهما كانا يزعمان أن للخلق خالقين، أحدهما قديم وهو الباري تعالى، والثاني محدث، وهو المسيح عليه السلام لقوله تعالى : ﴿إذ تخلق من الطين كهيئة الطير[5] ﴾ [المائدة: ١١٠] وكذبه الكعبي في رواية الحدثي خاصة لحسن اعتقاده فيه.

الحابطية

الحابطية أصحاب أحمد بن حابط، وكذلك الحدثية أصحاب فضل بن الحدثي كانا من أصحاب النظام، وطالعا كتب الفلاسفة أيضاً، وضما إلى مذهب النظام ثلاث بدع.

---

(١) زعمة هذا، يجعل الموحد الذي ليس بكافر شراً من الثنوي الكافر.

(٢) شارك ببدعته هذه نجدات الخوارج فبإنكارها حدّ الخمر وقد أجمع فقهاء الأمة على تكفير من أنكر حسى الخمر النيىء وإنما اختلفوا في حدّ شارب النبيذ إذا لم يسكر منه، فإن سكر فعليه الحدّ عند فريقي الرأي والحديث.

(٣) أنه يخالف بذلك أسلافه الذين قالوا بغفران الصغائر عند اجتناب الكبائر.

(٤) أحمد بن يحيى ابن الراوندي الملحد، كان يلازم الرافضة والزنادقة. قال ابن الجوزي كنت أسمع عنه بالعظائم حتى رأيت في كتبه مالم يخطر على قلب عاقل، (شذرات ثان ص ٢٣٥). ويقول ابن خلكان، أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي العالم المشهور له مقال في علم الكلام وكان من الفضلاء في عصره وله فى الكتب المصنفة نحو مائة وأربعة عشر وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه أهل الكلام توفي سنة خمس وأربعين ومائتين (ابن خلكان أول ص ٣٣).
نقلها عنه أهل الكلام توفي سنة خمس وأربعين ومائتين (ابن خلكان أول ص ٣٣).

(٥) وكان ابن خابط يقول: إن عيسى ابن مريم ابن الله لا على معنى الولادة ولكن على معنى أنه تبناه.

الأولى: إثبات حكم من أحكام الإلهية في المسيح عليه السلام موافقة للنصارى على اعتقادهم أن المسيح عليه السلام هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ [الفجر: ٢٢] هو الذي يأتي في ظلل من الغمام [١] وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿ويأتي ربك﴾ [الأنعام: ١٥٨] وهو المراد بقول النبي عليه السلام: «إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن» وقوله: «يضع الجبار قدمه في النار»، وزعم أحمد بن خابط أن المسيح تدرع بالجسد الجسماني، وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى.

الثانية: القول بالتناسخ [٢] زعماً أن الله تعالى أبدع خلقه أصحاء سالمين، عقلاء بالغين، في دار سوى هذه الدار التي هن فيها اليوم، وخلق فيهم معرفته والعلم به، وأسبغ عليهم نعمه، ولا يجوز أن يكون أول ما يخلقه إلا عاقلاً ناظراً معتبراً، فابتدأهم بتكليف شكره، فأطاعه بعضهم في جميع ما أمرهم به، وعصاه بعضهم في جميع ذلك، وأطاعه بعضهم في البعض، دون البعض، فمن أطاعه في الكل أقره في دار النعيم التي ابتدأهم فيها، ومن عصاه في الكل أخرجه من تلك الدار إلى دار العذاب وهي النار، ومن أطاعه في البعض وعصاه في البعض أخرجه إلى دار الدنيا، فألبسه هذه الأجسام الكثيفة، وابتلاه بالبأساء والضراء، والشدة الرخاء، والآلام، واللذات، على صور مختلفة، من صور الناس، وسائر الحيوانات، على قدر ذنوبهم، فمن كانت معاصيه أقل، وطاعته أكثر، كانت صورته أحسن، وآلامه أقل، ومن كانت ذنوبه أكثر، كانت صورته أقبح، وآلامه أكثر، ثم لا يزال يكون الحيوان في الدنيا كرة بعد كرة، وصورة بعد أخرى، ما دامت معه ذنوبه، وطاعاته، وهذا عين القول بالتناسخ، وكان في زمانهما شيخ المعتزلة أحمد [٣] بن أيوب بن مانوس وهو أيضاً من تلامذة النظام، قال مثل ما قال

---

(١) في قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾.

(٢) قال بالتناسخ قوم من الفلاسفة قبل الإسلام وكان سقراط من جملتهم، وفي الإسلام فريق من القدرية وفريق من غلاة الروافض وماني الثنوي، إذ ذكر أن أرواح الصديقين إذا خرجت من أبدانهم اتصلت بعمود الصبح إلى أن تبلغ النور الذي فوق الفلك. ويكونون في السرور دائماً، أما أرواح أهل الضلال فإنها تتناسخ في أجسام الحيوان من حيوان إلى آخر حتى تصفو فتصل إلى النور الذي فوق الفلك (التبصير ص ٨٠).

(٣) في الفرق بين الفرق؛ أنه أحمد بن أيوب بن بانوش، وفي التبصير أنه أحمد بن بانوش وكان تلميذاً بن خابط وهو أرجاتي ليس بمرضي عنه (الفرق بين الفرق ص ٢٥٥ ـ التبصير ٨٠ ـ لسان الميزان أول ص ١٣٩).

أحمد بن خابط في التناسخ، وخلق البرية دفعة واحدة، إلا أنه قال متى صارت النوبة إلى البهيمة، ارتفعت التكاليف، ومتى صارت النوبة إلى رتبة النبوة والملك ارتفعت التكاليف أيضاً، وصارت النوبتان عالم الجزاء.

ومن مذهبهما أن الديار خمس، داران للثواب.

إحداهما: فيها أكل وشرب وبعال [1] وجنات وأنهار.

الثانية: دار فوق هذه الدار ليس فيها أكل ولا شرب ولا بعال بل ملاذ روحانية وريحان، غير جسمانية.

والثالثة: دار العقاب المحض وهي نار جهنم ليس فيها ترتب بل هي على نمط التساوي.

والرابعة: دار الابتداء وهي التي خلق الخلق فيها قبل أن تهبط إلى الدنيا وهي الجنة الأولى.

والخامسة: دار الابتلاء، وهي التي كلف الخلق فيها بعد أن اجترحوا في الأولى.

وهذا التكوين والتكرير لا يزال في الدنيا حتى يملأ المكيالان، مكيال الخير، ومكيال الشر، فاذا امتلأ مكيال الخير، صار العمل كله طاعة، والمطيع خيراً خالصاً، فينقل إلى الجنة، ولم يلبث طرفة عين، فان مطل الغنى ظلم، وفي الخبر (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) وإذا امتلأ مكيال الشر صار العمل كله معصية، والعاصي شراً محضاً، فينقل إلى النار، ولم يلبث طرفة عين، وذلك قوله تعالى: ﴿فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [الأعراف: ٣٤].

البدعة الثالثة: حملهما كل ما ورد في الخبر من رؤية الباري تعالى مثل قوله عليه السلام: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته» على رؤية العقل الأول، الذي هو أول مبدع وهو العقل الفعال، الذي منه تفيض الصور على الموجودات، وإياه عنى النبي عليه السلام: «أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر، فأدبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك بك أعز وبك أذل وبك أعطي وبك أمنع» فهو الذي يظهر يوم القيامة، وترتفع الحجب بينه وبين الصور

(١) البعال: الجماع وملاعبة الرجل أهله كالتباعل والمباعلة.

التي فاضت منه، فيرونه كمثل القمر ليلة البدر، فأما واهب العقل فلا يرى البتة، ولا يشبه إلا مبدع بمبدع.

وقال ابن خابط، إن كل نوع من أنواع الحيوانات أمة على حيالها لقوله تعالى: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾، وفي كل أمة رسول من نوعه لقوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ولهما طريقة أخرى في التناسخ، وكأنهما مزجا كلام التناسخية والفلاسفة والمعتزلة بعضها [1] ببعض.

البشرية

أصحاب بشر بن المعتمر كان من أفضل علماء المعتزلة، وهو الذي أحدث القول بالتولد [2] وأفرط فيه، وانفرد عن أصحابه بمسائل ست:

الأولى: منها أنه زعم أن اللون والطعم والرائحة والإدراكات كلها من السمع والرؤية يجوز أن تحصل متولدة من فعل الغير، في الغير، إذا كانت أسبابها من فعله، وإنما أخذ هذا من الطبيعيين، إلا أنهم لا يفرقون بين المتولد والمباشر بالقدرة، وربما لا يثبتون القدرة على منهاج المتكلمين، وقوة الفعل وقوة الانفعال غير القدرة التي يثبتها المتكلم.

الثانية: قوله أن الاستطاعة هي سلامة البنية، وصحة الجوارح وتخليتها من

(١) قال: إن الله خلق الخلق في أبدان صحيحة وعقول تامة في دار ليست دار الدنيا، وخلق لهم معرفته وأتمّ عليهم نعمته وأمرهم بشكره، والإنسان هو الروح، لا قالبه المشاهد، والروح عالم قادر، والحيوان كله جنس واحد وجميعها في محل التكليف فمن أطاعه أقره ومن عصاه أخرجه إلى النار، ومن عصاه في البعض وأطاعه في البعض بعثه إلى دار الدنيا وألبسه هذه القوالب، وابتلاه تارة بالشدة وتارة بالرحمة وتارة بالألم وتارة باللذة، وجعل قوماً في صورة الناس وقوماً في صورة الطيور، وقوماً في صورة السباع، وقوماً في صورة الدواب، وقوماً في صورة الحشرات، ودرجاتهم على قدر معاصيهم، فمن كانت معصيته أقل فصورته في الدنيا أحسن، أو أكثر فقالب روحه أقبح، والروح لا يزال في دنياه ينتقل من قالب إلى قالب، على قدر طاعته أو معصيته، من قوالب الناس والدواب حتى تتمحض طاعاته فينتقل إلى دار النعيم، أو معاصيه فإلى دار الجحيم. (الفرق بين الفرق ٢٥٦ - ٢٥٧، التبصير ٨٠و ٨١).

(٢) ما ذهب إليه بشر من التولد مخالف لإجماع المسلمين لأن أهل السنّة لا يقولون بالتولد أصلاً فالحوادث كلها لا بد لها من محدث صانع، أما المعتزلة فيقولون به لا يفرطون إذ لا يقولون بالتولد إلا في الحركات والاعتمادات ببدعة زائدة على بدعهم.

الآفاق، وقال: لا أقول يفعل بها في الحالة الأولى، ولا في الحالة الثانية، لكني أقول الإنسان يفعل، والفعل لا يكون إلا في الثانية.

الثالثة: قوله أن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ولو فعل كان ظالماً إياه، إلا أنه لا يستحسن أن يقال في حقه، بل يقال لو فعل ذلك كان الطفل بالغاً عاقلاً عاصياً بمعصية ارتكبها مستحقاً للعقاب، وهذا كلام متناقض[1].

الرابعة: حكى الكعبي عنه أنه قال، إرادة الله تعالى فعل من أفعاله وهي على وجهين، صفة ذات، وصفة فعل، فأما صفة الذات فهو جل وعز لم يزل مريداً لجميع أفعاله، ولجميع طاعات عباده، وأنه حكيم، ولا يجوز أن يعلم الحكيم صلاحاً وخيراً لا يريده، وأما صفة الفعل فان أراد بها فعل نفسه في حال إحداثه فهي خلق له، وهي قبل الخلق لأن ما به يكون الشيء لا يجوز أن يكون معه، وإن أراد بها فعل عباده فهو الآمر[2] به.

الخامسة: قال أن عند الله تعالى لطفاً لو أتى به، لآمن جميع من في الأرض إيماناً يستحقون عليه الثواب استحقاقهم لو آمنوا من غير وجوده، وأكثر منه، وليس على الله تعالى أن يفعل ذلك بعباده، ولا يجب عليه رعاية الأصلح، لأنه لا غاية لما يقدر عليه من الصلاح. فما من أصلح إلا وفوقه أصلح، وإنما عليه أن يمكن العبد بالقدرة والاستطاعة، ويزيح العلل بالدعوة والرسالة، والمفكر قبل ورود السمع يعلم الباري تعالى بالنظر والاستدلال، وإذا كان مختاراً في فعله فيستغني عن الخاطرين، فان الخاطرين لا يكونان من قبل الله تعالى، وإنما هما من قبل الشيطان، والمفكر الأول لم يتقدمه شيطان يخطر الشك بباله ولو تقدم فالكلام في الشيطان كالكلام فيه.

السادسة: قال من تاب عن كبيرة، ثم راجعها عاد استحقاقه العقوبة الأولى، فانه قبل توبته بشرط أن لا يعود[3].

---

(١) إلى أن أصحابنا يقولون أن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ولو فعل ذلك كان عدلاً منه.

(٢) يذهب في زعمه أن ليست لله تعالى إرادة على الحقيقة، فإذا قيل أن الله عز وجل أراد شيئاً من فعله فمعناه أنه فعله وإذا قيل إنه أراد من غيره فعلاً فمعناه أنه أمره به وزعم أن وصفه بالإرادة في الوجهين جميعاً مجاز كما أن وصف الجدار في قول الله تعالى: ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾ مجاز وقد أكفره البصريون مع أصحابنا في نفيه إرادة الله عز وجل. ويقيننا أن الله عز وجل مريد على الحقيقة، وأنه لم يزل مريداً بإرادة أزلية.

(٣) هذا منه قول بخلاف إجماع المسلمين لأن المعتزلة وإن قالوا بمنزلة بين المنزلتين وأن الفاسق يخلد في النار فإنهم لا يقولون أنه يعاقب في النار على ما تاب منه من الذنوب والأفعال (التبصير ص ٤٦).

المعمرية

أصحاب معمر بن عباد السلمي وهو أعظم القدرية في تدقيق القول بنفي الصفات، ونفي القدر خيره وشره من الله، والتكفير والتضليل على ذلك، وانفرد عن أصحابه بمسائل:

منها: أنه قال أن الله تعالى لم يخلق شيئاً غير الأجسام [1] فأما الأعراض فانها من اختراعات الأجسام، أما طبعاً كالنار التي تحدث الاحراق، والشمس الذي تحدث الحرارة والقمر الذي يحدث التلوين وأما اختياراً كالحيوان، يحدث الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق ومن العجب أن حدوث الجسم وفناءه عنده عرض، فكيف يقول أنهما من فعل الأجسام، وإذا لم يحدث الباري تعالى عرضاً، فلم يحدث الجسم وفناءه، فان الحدوث عرض، فيلزمه أن لا يكون لله تعالى فعل أصلاً، ثم ألزم أن كلام الباري تعالى إما عرض أو جسم، فان قال هو عرض، فقد أحدثه الباري، فان المتكلم من فعل الكلام أو يلزمه أن لا يكون لله تعالى كلام هو عرض، وإن قال هو جسم فقد أبطل قوله أنه أحدثه في محل، فان الجسم، فإذا لم يقل هو بإثبات الصفات الأزلية، ولا قال بخلق الأعراض فلا يكون لله تعالى كلام يتكلم به على مقتضى مذهبه، وإذا لم يكن له كلام لم يكن آمراً ناهياً، وإذا لم يكن أمر ونهي، لم تكن شريعة أصلاً، فأدى مذهبه إلى خزي [2] عظيم.

ومنها: أنه قال الأعراض لا تتناهى [3] في كل نوع، وقال كل عرض قام بمحل فإنما يقوم به لمعنى أوجب القيام، وذلك يؤدي إلى التسلسل [4]، وعن هذه المسألة

---

(١) هذا خلاف قوله تعالى: ﴿قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾. وخلاف قوله تعالى في صفة نفسه: ﴿له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير﴾.

(٢) فإذا لم يكن كلام لم يكن له أمر ونهي وتكليف، وهذا يؤدي إلى رفع التكليف وإلى رفع أحكام الشريعة وما أراد غيره لأنه قال بما يؤدي إليه.

(٣) قوله بحدوث أعراض لا نهاية لها يؤديه إلى القول بأنه أقدر من الله لأن الله عنده أنه ما خلق غير الأجسام وهي محصورة عندنا وعنده، والجسم إذا فعل عرضاً نقد فعل معه ما لا نهاية له من الأعراض ومن خلق ما لا نهاية له ينبغي أن يكون أقدر مما لا يخلق إلا متناهياً في العدد (الفرق بين الفرق ص ١٣٨).

(٤) بله، ما في هذا من إلحاد من وجهين، أحدهما قوله بحوادث لا نهاية لها، وهذا يوجب وجود حوادث لا يحصيها الله تعالى وذلك عناد لقوله: ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾. والثاني: أنه يؤدي إلى القول بأن الانسان أقدر من الله تعالى.

سمي هو وأصحابه أصحاب المعاني وزاد على ذلك فقال: الحركة إنما خالفت السكون بمعنى أوجب المخالفة لا بذاتها، وكذلك معايرة المثل ومماثلته وتضاد الضد، كل ذلك عنده لمعنى.

ومنها: ما حكى الكعبي عنه، أن الإرادة من الله تعالى للشيء غير الله، وغير خلقه للشيء، وغير الأمر، والأخبار، والحكم فأشار إلى أمر مجهول لا يعرف، وقال ليس للإنسان فعل سوى الإرادة مباشرة كانت أو توليداً، وأفعاله التكليفية من القيام والقعود والحركة والسكون في الخير والشر كلها مستندة إلى إرادته، لا على طريق المباشرة، ولا على التوليد وهذا عجب، غير أنه إنما بناه على مذهبه في حقيقة الإنسان، وعنده الإنسان معنى أو جوهر غير الجسد وهو عالم قادر مختار حكيم ليس بمتحرك ولا ساكن ولا متلون ولا متمكن ولا يرى ولا يلمس ولا يحس ولا يحل موضعاً دون موضع ولا يحويه مكان، ولا يحصره زمان [1]، لكنه مدبر للجسد، وعلاقته مع الجسد علاقة التدبير والتصرف، وإنما أخذ هذا القول من الفلاسفة حيث قضوا بإثبات النفس الإنساني أمراً ما هو جوهر قائم بنفسه ولا متحيز ولا متمكن، وأثبتوا من جنس ذلك موجودات عقلية، مثل العقول المفارقة، ثم لما كان ميل معمر بن عباد إلى مذهب الفلاسفة ميز بين أفعال النفس التي سماها إنساناً، وبين القالب الذي هو جسده فقال فعل النفس والإرادة فحسب، والنفس إنسان، ففعل الإنسان هو الإرادة، وما سوى ذلك من الحركات والسكنات والاعتمادات فهي من فعل الجسد.

ومنها: أنه يحكى عنه أنه كان ينكر القول بأن الله تعالى قديم، لأن القديم أخذ من قدم يقدم فهو قديم، وهو فعل كقولك أخذ منه ما قدم وما حدث، وقال أيضاً هو يشعر بالتقادم الزماني، ووجود الباري تعالى ليس بزماني.

ويحكى عنه أنه قال، الخلق غير المخلوق والأحداث غير المحدث.

وحكى جعفر بن حرب عنه، أنه قال: إن الله تعالى محال أن يعلم نفسه، لأنه

---

(١) وصف الانسان بما يوصف به الإله سبحانه لأنه وصفه بأنه عالم قادر مختار حكيم وهذه الأوصاف واجبة لله تعالى، ثم نزه الانسان عن أن يكون متحركاً أو ساكناً أو متلوناً إلى آخره والله سبحانه منزه عن هذه الأوصاف فقوله، يؤدي إلى عبادة الانسان لوصفه إياه، بما يوصف به الإله، بله أن قوله إن الإنسان معنى أو جوهر غير الجسد، عالم قادر يلزم عليه أن لا يكون في الدنيامن رأى إنساناً قط، ومن هذه مقالته فلا يعد من جملة العقلاء إلى مافيه من كفر وإلحاد.

يؤدي إلى أن يكون العالم والمعلوم واحداً، ومحال أن يعلم غيره، كما يقال محال أن يقدر على الموجودات من حيث هو موجود، ولعل هذا النقل فيه خلل، فان عاقلاً ما لا يتكلم بمثل هذا الكلام غير المعقول [1]، ولعمري لما كان الرجل يميل إلى الفلاسفة، ومن مذهبهم أنه ليس علم الباري تعالى علماً انفعالياً، أي تبعاً للمعلوم، بل علمه علم فعلي فهو من حيث هو فاعل عالم، وعلمه هو الذي أوجب الفعل، وإنما يتعلق بالوجود حال حدوثه لا محالة ولا يجوم تعلقه بالمعدوم على استمرار عدمه وأنه علم وعقل، وكونه عقلاً وعاقلاً ومعقولاً شيء واحد، فقال ابن عباد لا يقال يعلم نفسه لأنه يؤدي إلى تمايز بين العالم والمعلوم ولا يعلم غيره يؤدي إلى أن يكون علمه من غيره تحصل، فإما أن لا يصح النقل، وإما أن يحمل على مثل هذا المحمل، ولسنا من رجال ابن عباد فنطلب لكلامه وجهاً.

المردارية

المردارية أصحاب عيسى بن صبيح، المكنى بأبي موسى الملقب بالمردار، وقد تلمذ لبشر بن المعتمر وأخذ العلم منه، وتزهد، و يسمى راهب المعتزلة وإنما انفرد عن أصحابه بمسائل.

الأولى: منها، قوله في القدر أن الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم ولو كذب وظلم، كان الهاً كاذباً ظالماً، تعال (الله) ـ عن قوله [2].

الثانية: قوله في التولد مثل قول أستاذه وزاد عليه بأن جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد[3].

الثالثة: قوله في القرآن أن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة [4] وهو الذي بالغ في القول بخلق القرآن، وكفر من قال بقدمه، فإنه قد أثبت قديمين

---

(١) يدفعه، أن يذكر الذاكر نفسه، ومتى جاز أن يذكر الذاكر نفسه جاز أن يعلم العالم نفسه.

(٢) فهذا القول لا يليق إلا بدينه الرقيق الذي ليس له تحقيق (التبصير ص ٤٧).

(٣) حكى أبو زفر عنه أنه أجاز وقوع فعل واجد من فاعلين مخلوقين على سبيل التولد مع إنكاره على أهل السنة ما أجازوه من وقوع فعل من فاعلين أحدهما خالق والآخر مكتسب وقد أكفره سائر المعتزلة في قوله بتولد فعل واحد من فاعلين، فهذا راهبهم قد أكفروه (الفرق بين الفرق ص ١٥٢).

(٤) هذا عناد منه لقول الله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله =

وكفر أيضاً من لابس السلطان وزعم أنه لا يرث ولا يورث، وكفر من قال أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى، ومن قال أنه يرى بالأبصار وغلا في التكفير، حتى قال هم جميعاً كافرون في قولهم لا إله إلا الله، وقد سأله إبراهيم السندي [1] مرة عن أهل الأرض جميعاً فكفرهم، فأقبل عليه إبراهيم، وقال: الجنة التي عرضها السموات والأرض لا يدخلها إلا أنت وثلاثة وافقوك فخذي، ولم يجد جواباً، وقد تلمذ له الجعفران وأبو زفر ومحمد بن سويد وصحبه أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي وعيسى بن الهيثم وجعفر ابن حرب والأشج، وحكى الكعبي عن الجعفرين أنهما قالا إن الله تعالى خلق القرآن في اللوح المحفوظ، ولا يجوز أن ينتقل، إذ يستحيل أن يكون الشيء الواحد في مكانين في حالة واحدة، وما نقرؤه فهو حكاية عن المكتوب الأول في اللوح المحفوظ، وذلك فعلنا وخلقنا. قال وهو الذي أختاره من الأقوال المختلفة في القرآن، وقالا في تحسين العقل وتقبيحه أن العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع، وعليه أن يعلم أنه إن قصر ولم يعرفه ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة، فأثبت التخليد واجباً بالعقل.

الثمامية

الثمامية أصحاب ثمامة بن أشرس النميري، كان جامعاً بين سخافة الدين، وخلاعة [2] النفس مع اعتقاده بأن الفاسق مخلد في النار إذا مات على فسقة من غير توبة، وهو في حال حياته في منزله بين المنزلتين.

وانفرد عن أصحابه بمسائل:

منها قوله: الأفعال المتولدة لا فاعل لها إذ لم يمكنه إضافتها إلى فاعل أسبابها،

= ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾، ولا غرض له إلا إنكار نبوة من تحدى العرب بأن يعارضوه بمثله (الفرق بين الفرق ص ١٢٨).

(١) إبراهيم بن السندي بن شاهك، ولي الكوفة والجاحظ يروي عنه كثيراً في كتبه، وأبوه كان على الجسرين، وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه مولى أمير المؤمنين (الجهشياري ص ٢٣٦ ـ عيون الأخبار ص ١٢١ ـ رسائل الجاحظ ص ٤٧).

(٢) قال أبو محمد، ثم نصير إلى ثمامة فنجده من رقة الدين، وتنقص الاسلام والاستهزاء به وإرساله لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله تعالى ومن المحفوظ عنه المشهور أنه رأى قوماً يتعادون يوم الجمعة إلى المسجد لخوفهم فوت الصلاة فقال: انظروا إلى البقر، انظروا إلى الحمير ثم قال لرجل من إخوانه، ما صنع هذا العربي بالناس (تأويل مختلف الحديث ص ٦٠).

حتى يلزم أن يضيف القول إلى ميت، مثل ما إذا فعل السبب ومات ووجد المتولد بعده، ولم يمكنه إضافتها إلى الله تعالى، لأنه يؤدي إلى الفعل القبيح، وذلك محل فتحير فيه، وقال المتولدات أفعال لا فاعل لها [1].

ومنها قوله في الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة يصيرون في القيامة تراباً. وكذلك قوله في البهائم والطيور وأطفال المؤمنين.

ومنها قوله، الاستطاعة، هي السلامة وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وهي قبل الفعل.

ومنها قوله، أن المعرفة متولدة من النظر وهو فعل لا فاعل له كسائر المتولدات.

ومنها قوله، في تحسين العقل وتقبيحه، وإيجابه المعرفة قبل ورود السمع مثل أصحابه، غير أنه زاد عليهم، فقال من الكفار من لا يعلم خالقه وهو معذور [2]، وقال ان المعارف كلها ضرورية، وإن من لم يضطر إلى معرفة الله تعالى فهو مسخر للعباد كالحيوان [3].

ومنها قوله لا فعل للإنسان إلا الإرادة، وما عداها فهو حدث لا محدث له، وحكى ابن الرواندي [4] عنه أنه قال، العالم فعل الله تعالى بطباعه، ولعله أراد بذلك ما تريده الفلاسفة من الإيجاب بالذات دون الإيجاب على مقتضى الإرادة لكن يلزمه على اعتقاده

---

(١) إن هذا القول يؤدي إلى القول بنفي الصانع إذ لو جاز أن يكون فعل بلا فاعل لجاز أن يكون كل فعل بلا فاعل كما لو جاز أن تكون كتابه بلا كاتب جاز أن كل كتابة بلا كاتب وهذا ما لا يقبله العقلاء.

(٢) وكان يحرم السبي، لأن المسبي عنده ما عصى ربه إذ لم يعرفه، ويقول: لا يجوز سبي النساء من دار الكفر وإن من سبى امرأة ثم ألمّ بها فهو زان وأن ولده ولد زنا، وثمامة من أولاد السبايا (الفرق بين الفرق ص ١٥٨، التبصير ص ٥٨).

(٣) فكان يقول: إن من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ضرورة فليس عليه أمر ولا نهي، وإن الله خلقه للسخرة والاعتبار، لا للتكليف والاختبار كما خلق البهائم لذلك ثم رتب على هذا فقال عوام الدهرية والزنادقة في الآخرة لا تكون في جنة ولا في نار وأن الله يجعلهم في الآخرة تراباً وكذلك كان يقول فيمن مات في حال الطفولة (التبصير ص ٤٨).

(٤) أبو الحسين أحمد بن يحيى الراوندي، العالم المشهور، له مقالة في علم الكلام، وكان من الفضلاء في عصره وله من الكتب نحو مائة وأربعة عشر كتاباً، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب، وكان في أول أمره جميل المذهب ثم انسلخ لأن علمه كان أكثر من عقله وقيل إنه تاب عند موته وقد توفي سنة خمس وأربعين ومائتين (ابن خلكان أول ص ٣٣ ـ تكملة الفهرست ص٤).

ذلك ما لزم الفلاسفة من القول بقدم العالم إذا الموجب لا ينفك عن الموجب، وكان ثمامة في أيام المأمون وعنده بمكان.

الهشامية

الهشامية أصحاب هشام بن عمرو الفوطي، ومبالغته في القدر أشد وأكثر من مبالغة أصحابه، وكان يمتنع من إطلاق إضافات أفعال إلى الباري تعالى، وإن ورد بها التنزيل.

منها قوله ان الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين بل هم المؤتلفون باختيارهم، وقد وَرد في التنزيل: ﴿ ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ [الأنفال: ٦٣].

ومنها قوله ان الله تعالى لا يحبب الإيمان إلى المؤمنين ولا يزينه في قلوبهم، وقد قال تعالى: ﴿ حبب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ [الحجرات: ٧] .

ومبالغته في نفي إضافة الطبع والختم والسد وأمثالها أشد وأصعب، وقد ورد جميعها في التنزيل قال الله تعالى: ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ [البقرة: ٧] وقال: ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ [النساء: ١٥٥] وقال: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ [يَس : ٩].

وليت شعري ما يعتقده الرجل من إنكار ألفاظ التنزيل وحياً من الله تعالى، فيكون تصريحاً بالكفر أو إنكار ظواهرها من نسبتها إلى الباري، ووجوب تأويلها، وذلك غير مذهب أصحابه.

ومن بدعه في الدلالة على الباري تعالى قوله، ان الأعراض لا تدل على كونه خالقاً، ولا تصلح الأعراض دلالات، بل الأجسام تدل على كونه خالقاً وهذا أيضاً عجب (١).

ومن بدعه في الامامة قوله، انها لا تنعقد في أيام الفتنة واختلاف الناس، وإنما يجوز عقدها في حال الاتفاق والسلامة، وكذلك أبو بكر الأصم من أصحابهم كان يقول، الإمامة لا تنعقد إلا باجماع الأمة على بكرة أبيهم، وإنما أراد بذلك الطعن في

(١) وقد رتب على هذا أن قال: إن انشقاق القمر، وفلق البحر؛ وقلب العصا حية، لا يدل على شيء من المعجزات ولا على صدق الرسول في دعواه الرسالة.

إمامة علي رضي الله عنه، إذ كانت البيعة في أيام الفتنة من غير اتفاق من جميع الصحابة إذ بقي في كل طرف طائفة على خلافه [1].

ومن بدعه أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن، إذ لا فائدة في وجودهما ، وهما جميعاً خجاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما، وبقيت هذه المسألة منه اعتقاداً للمعتزلة [2].

وكان يقول بالموافاة، وإن الإيمان هو الذي يوافي الموت، وقال من (أطاع) الله جميع عمره وقد علم أنه يأتي بما يحبط أعماله ولو بكبيرة لم يكن مستحقاً للوعد، وكذلك على العكس، وصاحبه [3] عباد من المعتزلة، وكان يمتنع من إطلاق القول بأن الله تعالى خلق الكافر لان الكافر (كفر وإنسان) والله لا يخلق الكفر، وقال النبوة جزاء على عمل وأنها باقية ما بقيت الدنيا.

وحكى الأشعري عن عباد أنه زعم أنه لا يقال أن الله لم يزل قائلاً ولا غير قائل، ووافقه الإسكافي على ذلك قالا ولا يسمى متكلماً، وكان الفوطي يقول إن الأشياء قبل كونها معدومة ليست أشياء، وهي بعد أن تعدم عن وجود تسمى أشياء، ولهذا المعنى كان يمنع القول بأن الله تعالى قد كان لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها، فانها لا تسمى أشياء، وقال: وكان يجوز القتل والغيلة على المخالفين لمذهبه وأخذ أموالهم غصباً وسرقة، لاعتقاده كفرهم واستباحة دمائهم [4].

---

(١) إذ ثبت أن أهل الشام كانوا على خلافه إلى أن مات، ومن العجب أن يقول بإمامة معاوية لاجتماع الناس عليه بعد قتل علي.

(٢) وقال بتكفير من قال ان الجنة والنار مخلوقتان وأخلافه من المعتزلة شكوا في وجودهما اليوم ولم يقولوا بتكفير من قال أنهما مخلوقتان ومن أنكر كون النار مخلوقة يقال له يوم القيامة ما أخبر الله عنه وهو قوله ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾.

(٣) عباد بن سليمان الضمري من كبار المعتزلة وبينه وبين عبد الله بن سعيد مناظرة، وكان في أيام المأمون وقد زعم أن بين اللفظ والمعنى طبيعة مناسبة، فردوا عليه ذلك وقد أخذ هشام الفوطي وكان الجبائي يصفه بالحذق وقد ملأ الأرض كتباً وخلافاً، وخرج عن حدّ الاعتزال إلى الكفر والزندقة (لسان الميزان ثالث ص ٢٢٩ ـ التبصير ص ٤٦).

(٤) وكان أهل السنة يقولون في الفوطي وأتباعه أن دماءهم وأموالهم حلال للمسلمين وفيه الخُمس، وليس على قاتل الواحد منهم قود ولا دية ولا كفارة بل لقاتله عند الله القربى والزلفى (الفرق بين الفرق ص ١٥١).

الجاحظية

أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة، والمصنف لهم، وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة، وخلط وروج بعبارته البليغة وحسن براعته اللطيفة، وكان في أيام المعتصم والمتوكل [1]، وانفرد عن أصحابه بمسائل.

منها قوله إن المعارف كلها ضرورية طباع، وليس شيء من ذلك من أفعال العباد، وليس للعباد كسب سوى الإرادة، وتحصل أفعاله طباعاً [2] كما قال ثمامة.

ونقل عنه أيضاً أنه أنكر أصل الإرادة وكونها جنساً من الأعراض فقال، إذا انتفى السهو عن الفاعل وكان عالماً بما يفعله فهو المريد على التحقيق، وأما الإرادة المتعلقة بفعل الغير فهو ميل النفس إليه، وزاد على ذلك بإثبات الطبائع للأجسام كما قال الطبيعيون من الفلاسفة، وأثبت لها أفعالاً مخصوصة بها، وقال استحالة عدم الجوهر، فالأعراض تتبدل والجوهر لا يجوز أن يفنى.

ومنها قوله في أهل النار أنهم لا يخلدون فيها عذابا بل يصيرون إلى طبيعة النار، وكان يقول النار تجذب أهلها إلى نفسها دون أن يدخل أحد فيها [3].

ومذهبه مذهب الفلاسفة في نفي الصفات، وفي إثبات القدر خيره وشره من العبد مذهب المعتزلة.

وحكى الكعبي عنه في نفي الصفات أنه قال يوصف الباري تعالى بأنه مريد بمعنى أنه لا يصح عليه السهو في أفعاله ولا الجهل ولا يجوز أن يغلب ويقهر، وقال إن الخلق كلهم من العقلاء عالمون بأن الله تعالى خالقهم، وعارفون بأنهم محتاجون إلى النبي،

---

(١) المتوكل على الله جعفر بن المعتصم ولي الخلافة بعد موت الواثق فأظهر السنّة، نصر أهلها، ورفع المحنة واستقدم المحدثين إلى سامرا وأكرمهم وأجزل عطاياهم قتل سنة أربع وأربعين ومائتين (تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٩).

(٢) إذا كانت أفعاله طباعاً لا كسباً لزم أن لا يكون له عليها ثواب ولا عقاب إذ لا يثاب ولا يعاقب على ما لا يكون كسباً له كما لا يثاب ولا يعاقب على لونه وتركيب بدنه إذ لم يكن ذلك من كسبه، وهذا يخالف قوله تعالى: ﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾.

(٣) أنه يبطل برأيه الرغبة والرهبة والثواب والعقاب من الله تعالى حيث يقول: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾.

وهم محجوجون بمعرفتهم، ثم هم صنفان عالم بالتوحيد وجاهل به، فالجاهل معذور، والعالم محجوج.

ومن انتحل دين الإسلام فان اعتقد أن الله تعالى ليس بجسم ولا صورة، ولا يرى بالأبصار هو عدل لا يجوز ولا يريد المعاصي، وبعد الاعتقاد والتبيين أقر بذلك كله فهو مسلم حقاً، وإن عرف ذلك كله ثم جحده وأنكره، أو دان بالتشبيه والجبر فهو مشرك كافر حقاً، وإن لم ينظر في شيء من ذلك واعتقد أن الله ربه وأن محمداً رسول الله فهو مؤمن لا لوم عليه ولا تكليف عليه غير ذلك.

وحكى ابن الراوندي عنه أن القرآن جسد يجوز أن يقلب مرة رجلاً ومرة حيواناً وهذا مثل ما يحكى عن أبي بكر الأصم، أنه زعم أن القرآن جسم مخلوق، وأنكر الأعراض أصلاً، وأنكر صفات الباري تعالى.

ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة إلا أن الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيين منهم أكثر منه إلى الإلهيين.

الخياطية

أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط أستاذ أبي القاسم بن محمد الكعبي وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد، إلا أن الخياط غالى في إثبات المعدوم شيئاً، وقال الشيء ما يعلم ويخبر عنه، والجوهر جوهر في العدم، والعرض عرض، وكذلك أطلق جميع أسماء الأجناس والأصناف حتى قال، السواد سواد في العدم فلم يبق إلا صفة الوجود والصفات التي تلتزم الوجود والحدوث، وأطلق على المعدوم لفظ الثبوت [1] وقال في نفي صفات الباري مثل ما قاله أصحابه وكذا القول في القدر والسمع والعقل وانفرد الكعبي عن أستاذه بمسائل:

منها قوله أن إرادة الباري تعالى ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد لذاته، ولا

---

(١) قد زاد في قوله على جميع القدرية، فوصف المعدوم بأنه جسم فيلزمه أن يجوز كون المعدوم رجلاً راكباً جملاً وبيده سيف مسلط، يصول عليه ويلقنه مثل هذه البدع، والقدرية وإن قالوا في المعدوم أنه شيء وجوهر وعرض وسواد وبياض فإنهم لا يقولون أنه جسم وأنه قابل للاعراض وهذا القول منه يوجب كون الأجسام قديمة ويفضي به إلى نفي الصانع (التبصير ص ٥١).

إرادته حادثة في محل أو لا في محل، بل إذا أطلق عليه أنه مريد، فمعناه أنه عالم قادر غير مكره في فعله ولا كاره ، ثم إذا قيل أنه مريد لأفعاله فالمراد به أنه خالق لها على وفق علمه، وإذا قيل هو مريد لأفعال عباده، فالمراد به أنه آمر بها راض عنها.

وقوله في كونه سميعاً بصيراً راجع إلى ذلك أيضاً فهو سميع بمعنى أنه عالم بالمسموعات وبصير بمعنى أنه عالم بالمبصرات.

وقوله في الرؤية كقول أصحابه نفياً وإحالة [1] غير أن أصحابه قالوا يرى الباري تعالى ذاته ويرى المرئيات وكونه مدركاً لذلك زائداً على كونه عالماً، وقد أنكر الكعبي ذلك قال معنى قولنا يرى ذاته ويرى المرئيات أنه عالم بها فقط.

الجبائية والبهشمية

أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي وابنه أبي هاشم عبد السلام وهما من معتزلة البصرة انفردا عن أصحابهما بمسائل وانفرد أحدهما عن صاحبه بمسائل.

أما المسائل التي انفردا بها عن أصحابهما:

فمنها أنهما أثبتا إرادات لا في محل يكون الباري تعالى بها موصوفاً مريداً، وتعظيماً لا في محل إذا أراد أن يعظم ذاته، وفناء لا في محل إذا أراد أن يفني العالم، وأخص أوصاف هذه الصفات يرجع إليه من حيث أنه تعالى أيضاً لا في محل، وإثبات موجودات هي أعراض أو في حكم الأعراض لا محل لها، كإثبات موجودات هي جواهر أو في حكم الجواهر لا مكان لها، وذلك قريب من مذهب الفلاسفة حيث أثبتوا عقلاً هو جوهر، لا في محل ولا في مكان، وكذلك النفس الكلي والعقول المفارقة.

ومنها أنهما حكما بكونه تعالى متكلماً بكلام يخلقه في محل، وحقيقة الكلام عندهما أصوات مقطعة وحروف منظومة، والمتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام، إلا أن الجبائي خالف أصحابه خصوصاً بقوله يحدث الله تعالى عند قراءة كل قارىء كلاً

---

(١) قال كثير منهم أنه لا يرى شيئاً ولا يبصر بحال وليس معبودهم على هذا القول إلا كما نهى إبراهيم الخليل عليه السلام أباه عن عبادته حيث قال: ﴿إذ قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾. (التبصير ص ٣٧).

ما لنفسه في محل القراءة ، وذلك حين ألزم أن الذي يقرؤه القارىء ليس بكلام الله ، والمسموع منه ليس بكلام الله ، فالتزم هذا المحال من إثبات أمر غير معقول ولا مسموع ، وهو إثبات كلامين في محل واحد .

واتفقا على نفي رؤية [1] الله تعالى بالأبصار في دار القرار ، وعلى القول بإثبات الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً ، وإضافة الخير والشر والطاعة والمعصية إليه استقلالاً ، واستبداداً ، وأن الاستطاعة قبل الفعل ، وهي قدرة زائدة على سلامة البنية وصحة الجوارح ، وأثبتا البنية شرطاً في قيام المعاني التي يشترط في ثبوتها الحياة .

واتفقا على أن المعرفة وشكر المنعم ومعرفة الحسن والقبيح واجبات عقلية ، وأثبتا شريعة عقلية ورد الشريعة النبوية إلى مقدرات الأحكام وموقنات الطاعات التي لا يتطرق إليها عقل ولا يهتدي إليها فكر ، وبمقتضى العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصي ، إلا أن التأقيت والتخليد فيه يعرف بالسمع ، والإيمان عندهما اسم مدح وهو عبارة عن خصال الخير إذا استجمعت سمي المتحلي بها مؤمناً ، ومن ارتكب كبيرة فهو في الحال يسمى فاسقاً لا مؤمناً ولا كافراً وإن لم يتب ومات عليها فهو مخلد في النار .

واتفقا على أن الله تعالى لم يدخر عن عباده شيئاً مما علم إذا فعل فعل بهم أتوا بالطاعة والتوبة من الصلاح والأصلح واللطف لأنه قادر عالم جواد حكيم لا يضره الإعطاء ولا ينقص من خزائنه المنع ، ولا يزيد في ملكه الادخار ، وليس هو الأصلح أو هو إلا لذ ، بل هو الأجود في العاقبة ، والأصوب في العاجل ، وإن كان ذلك مؤلماً مكروهاً ، وذلك كالحجامة والفصد وشرب الأدوية ، ولا يقال أنه تعالى يقدر على شيء هو أصلح مما فعله بعَبده والتكاليف كلها الطاف ، وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وشرع الشرائع وتمهيد الأحكام والتنبيه على الطريق الأصوب ، كلها ألطاف .

---

(١) مذهب أهل السنّة ؛ أن القديم سبحانه يرى ، وتجوز رؤيته بالأبصار إذ أن ما صح وجوده جازت رؤيته كسائر الموجودات ، وآياته قوله تعالى : ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ ، واللقاء يقع لغة على الرؤية وبخاصة حيث لا يجوز التلاقي بالذوات والتماس بينهما ، وقوله : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وقوله : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ ، ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ . ولا زيادة على نعيم الجنة غير رؤية الله عز شأنه ، وهذا ما فسر به رسول الله ﷺ . وفي قصة موسى عليه السلام : ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾ ولو لم تكن الرؤية جائزة ما تمناها نبي ، وقد قال ﷺ لصحابته : «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون ولا تضارون في رؤيته» .

ومما تخالفا فيه أما في صفات الباري تعالى فقال الجبائي، عالم لذاته قادر حيّ لذاته، أي لا يقتضي كونه عالماً صفة هي حال علم أو حال يوجب كونه عالماً.

وعند أبي هاشم هو عالم لذاته، بمعنى أنه ذو حالة هي صفة معلومة وراء كونه ذاته موجوداً، وإنما يعلم الصفة على الذات لا بانفرادها فأثبت أحوالاً هي صفات، لا معلومة ولا مجهولة، أي هي على حيالها لا تعرف كذلك بل مع الذات، قال والعقل يدرك فرقاً ضرورياً بين معرفة الشيء مطلقاً، وبين معرفته على صفة، فليس من عرف الذات عرف كونه عالماً، ولا من عرف الجوهر عرف كونه متحيزاً قابلاً للعرض، ولا شك أن الإنسان يدرك اشتراك الموجودات في قضية، وافتراقها في قضية، وبالضرورة نعلم أن ما اشتركت فيه، غير ما افترقت به، وهذه القضايا العقلية لا ينكرها عاقل، وهي لا ترجع إلى الذات ولا إلى أعراض وراء الذات، فإنه يؤدي إلى قيام العرض بالعرض، فتعين بالضرورة أنها أحوال، فكون العالم عالماً حال هي صفة وراء كونه ذاتاً أي المفهوم منها غير المفعوم من الذات، وكذلك كونه قادراً حياً وخالفه والده وسائر منكري الأحوال، ثم أثبت للباري تعالى حالة أخرى أوجبت تلك الأحوال، وردوا الاشتراك والافتراق إلى الألفاظ وأسماء الأجناس، وقالوا: ليست الأحوال تشترك في كونها أحوالاً، وتفترق في خصائص. كذلك نقول في الصفات وإلا فيؤدي إلى إثبات الحال للحال ويفضي إلى التسلسل، بل هي راجعة أما إلى مجرد الألفاظ إذا وضعت في الأصل على وجه يشترك فيها الكبير، لا أن مفهومها معنى أو صفة ثابتة في الذات على وجه يشمل أشياء ويشترك فيها الكبير، فإن ذلك مستحيل، ويرجع ذلك إلى وجوه واعتبارات عقلية هي المفهومة من قضايا الاشتراك والافتراق، وتلك الوجوه كالنسب والإضافات والقرب والبعد وغير ذلك مما لا يعد صفات بالاتفاق، وهذا هو اختيار، أبي الحسين البصري وأبي الحسن الأشعري، وبنوا على هذه المسألة (المعدوم شيء) فمن أثبت كونه شيئاً كما نقلنا عن جماعة المعتزلة فلا يبقى من صفات الثبوت إلا كونه موجوداً، فعلى ذلك لا يثبت القدرة في إيجادها أثر ما سوى الوجود، على مذهب نفاة الأحوال لا يرجع إلا إلى اللفظ المجرد، وعلى مذهب مثبتي الأحوال هو حالة لا توصف بالوجود والعدم، وهذا كما ترى من النقائض والاستحالة، ومن نفاة الأحوال من يثبته شيئاً، ولا يسميه بصفات الأجناس، وعند الجبائي أخص وصف الباري تعالى هو القدم، والاشتراك في الأخص يوجب الاشتراك في الأعم، وليت شعري كيف يمكنه إثبات الاشتراك والافتراق والعموم

والخصوص حقيقة وهو من نفاة الأحوال، فأما على مذهب أبي هاشم فلعمري هو مطرد، غير أن القدم إذا بحث عن حقيقة رجع إلى نفي الأولية، والنفي يستحيل أن يكون أخص وصف.

واختلفا في كونه سميعاً بصيراً، فقال الجبائي معنى كونه سميعاً بصيراً أنه حي لا آفة به، وخالفه ابنه وسائر أصحابه، أما ابنه فصار إلى أن كونه سميعاً حال وكونه بصيراً حال، سوى كونه عالماً لاختلاف القضيتين والمفهومين والمتعلقين والأثرين، وقال غيره من أصحابه معناه كونه مدركاً للمبصرات مدركاً للمسموعات.

واختلفا أيضاً في بعض مسائل اللطف، فقال الجبائي فمن يعلم الباري تعالى من حاله أنه لو آمن بلا لطف لكان ثوابه أقل لقلة مشقته، ولو آمن بلا لطف لكان ثوابه أكثر لعظم مشقته، أنه لا يحسن منه أن يكلفه إلا مع اللطف، ويسوي بينه وبين المعلوم من حاله أنه لا يفعل الطاعة على كل وجه إلا مع اللطف ويقول أن لـو كلفه مع عدم اللطف لوجب أن يكون مستفسداً حاله غير مزيح لعلته، ويخالفه أبو هاشم في بعض المواضع في هذه المسألة قال يحسن منه تعالى أن يكلفه الإيمان على استواء الوجهين بلا لطف.

واختلفا في فعل الألم، للعوض فقال الجبائي يجوز ذلك ابتداء لأجل العوض، وعليه آلام الأطفال، وقال ابنه إنما يحسن ذلك بشرط العوض الاعتبار جميعاً.

وتفصيل مذهب الجبائي في الأعواض على وجهين:

أحدهما: أنه يقول التفضيل بمثل الأعواض، غير أنـه تعالى علم أنـه لا ينفعه عوض إلا على ألم متقدم.

والوجه الثاني: أنه إنما يحسن ذلك لأن العوض مستحق، والتفضل غير مستحق، والثواب عندهم يتفضل على التفضل بأمرين:

أحدهما: تعظيم وإجلال للمثاب يقترن بالنعيم.

والثاني: قدر زائد على التفضل، فلم يجب إذا أجري العوض مجرى الثواب لأنه لا يتميز عن التفضل بزيادة مقدار، ولا بزيادة صفة.

وقال ابنه: يحسن الابتداء بمثل العوض تفضلاً، والعوض منقطع غير دائم.

وقال الجبائي : يجوز أن يقع الانتصاف من الله تعالى للمظلوم من الظالم بأعواض يتفضل بها عليه، إذا لم يكن للظالم على الله في عوض شيء ضره به.

وزعم أبو هاشم أن التفضل لا يقع به انتصاف، لأن التفضل ليس يجب فعله.

وقال الجبائي : وابنه لا يجب على الله شيء لعباده في الدنيا، إذ لم يكلفهم عقلاً وشرعاً، فأما إذا كلفهم فعل الواجب في عقولهم واجتناب القبيح وخلق فيهم الشهوة للقبيح والنفور من الحسن، وركب فيهم الأخلاق الذميمة فانه يجب عليه عند هذا التكليف إكمال العقل ونصب الأدلة، والقدرة ، والاستطاعة، ، وتهيئة الآلة، بحيث يكون مزيحاً لعللهم فيما أمرهم، ويجب عليه أن يفعل بهم ادعى الأمور إلى فعل ما كلفهم به وأزجر الأشياء لهم عن فعل القبيح الذي نهاهم عنه ولهم في مسائل هذا الباب خبط طويل [1].

وأما كلام جميع المعتزلة في النبوات والإمامة (فإنه) يخالف كلام البصريين، فإن من شيوخهم من يميل إلى الروافض، ومنهم من يميل إلى الخوارج، والجبائي وأبو هاشم قد وافقا أهل السنة في الإمامة أنها بالاختيار، وأن الصحابة مترتبون في الفضل ترتبهم في الإمامة، غير أنهم ينكرون الكرامات أصلاً للأولياء من الصحابة وغيرهم [2] ، ويبالغون في عصمة الأنبياء عن الذنوب كبائرها، وصغائرها حتى يمنع الجبائي القصد إلى

---

(١) ومن ضلالات الجبائي أنه سمى الله مطيعاً لعبده إذا فعل مراد العبد وكان سبب ذلك أن قال يوماً لأبي الحسن الأشعري : ما معنى الطاعة عندك؟ فقال : موافقة الأمر، وسأله عن قوله فيها، فقال الجبائي : حقيقة الطاعة عندي موافقة الإرادة وكل من فعل مراد غيره فقد أطاعه، فقال أبو الحسن : يلزمك على هذا الأصل أن يكون الله مطيعاً لعبده إذا فعل مراده فالتزم ذلك، فقال له أبو الحسن : خالفت إجماع المسلمين وكفرت برب العالمين ولو جاز أن يكون الله مطيعاً لعبده لجاز أن يكون خاضعاً له، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (المختصر للرسعني ص ١٢١).

(٢) لئن أنكروا الكرامات، لقد أثبتها الموحدون لاستفاضة الخبر عن صاحب سليمان في إتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف إليه ومنها رؤية عمر على منبره بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال: يا سارية الجبل وسمع سارية ذلك الصوت على مسافة زهاء خمسمائة فرسخ حتى صعد الجبل وفتح منه الكمين للعدو وكان ذلك سبب الفتح ومنها قصة سفينة مولى رسول الله ﷺ مع الأسد، وقصة عمير الطائي مع الذئب حتى قيل له كليم الذئب، وقصة أهبان بن صيفي وأبي ذر الغفاري مع الوحش وما أشبه ذلك كثير مما حرمه أهل القدر بشؤم بدعتهم وليس في جوازها قدح في النبوات لأن الناقض للعادة فيه دلالة على الصدق فتارة بدل على الصدق في دعوى النبوة وتارة يدل على الصدق في الحال (أصول الدين ص ١٨٤).

الذنب إلا على تأويل، والمتأخرون من المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار[1] وغيره انتهجوا طريقة أبي هاشم، وخالفه في ذلك أبو الحسين[2] البصري وتصفح أدلة الشيوخ، واعترض على ذلك بالتزييف والإبطال.

وانفرد عنهم بمسائل:

منها: نفي الحال، ومنها نفي المعدوم شيئاً، ومنها نفي الأكوان أعراضاً، ومنها قوله أن الموجودات تتمايز بأعيانها وذلك من توابع نفي الحال، ومنها رده الصفات كلها إلى كون الباري تعالى عالماً قادراً مدركاً، وله ميل إلى مذهب هشام بن الحكم ، ان الأشياء لا تعلم قبل كونها ، والرجل فلسفي المذهب إلا أنه روج كلامه على المعتزلة فراج عليه لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب.

الجبرية

الجبر هو نفي الفعل حقيقة من العبد وإضافته إلى الرب تعالى.

والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد، فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة أن تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما، في الفعل وسمي ذلك كسباً فليس بجبري، والمعتزلة يسمون من لم يثبت القدرة الحادثة في الإبداع، والأحداث استقلالاً، جبرياً، ويلزمهم أن يسموا من قال من أصحابهم بأن المتولدات أفعال لا فاعل لها جبرياً، إذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها أثراً، والمصنفون في المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية، وكذلك جماعة الكلابية من الصفاتية والأشعرية سموهم تارة حشوية، وتارة جبرية. ونحن سمعنا إقرارهم على أصحابهم من النجارية والضرارية فعددناهم من الصفاتية.

---

(١) عبد الجبار بن أحمد الهمذاني القاضي المتكلم؛ وكان من غلاة الشيعة وكان فقيهاً شافعياً، ولي قضاء الري، صنف في مذهبه وذب عنه ودعا إليه وقد صنف دلائل النبوة فأجاد فيه، وكان شافعياً في الفروع معتزلياً في الأصول توفي سنة ٤٦٥. (لسان الميزان ص ٣٨٦).

(٢) أبو الحسين محمد بن علي الطيب البصري المتكلم على مذهب المعتزلة وهو أحد أئمتهم الأعلام المشار إليه في هذا الفن وكان جيد الكلام مليح العبارة غزير المادة، وله التصانيف النافعة في أصول الفقه منها المعتمد ومنه أخذ الرازي كتاب المحصول، وتوفي سنة ٤٣٦ (ابن خلكان أول ص ٦٠٩).

الجهمية

الجهمية أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ [1] وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو [2]، في آخر ملك بني أمية، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء.

منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة بها خلقه، لأن ذلك يقتضي تشبيهاً، فنفي كونه حياً عالماً، وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً [3]، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق.

ومنها إثباته علوماً حادثة للباري تعالى لا في محل، قال لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه، لأنه لو علم ثم خلق أفبقي علمه على ما كان ، أو لم يبق، فان بقي فهو جهل، فان العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد، وإن لم يبق فقد تغير. والمتغير مخلوق ليس بقديم، ووافق في هذا مذهب هشام بن الحكم كما تقرر، قال: وإذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو إما أن يحدث في ذاته تعالى، وذلك يؤدي إلى التغير في ذاته وأن يكون محلاً للحوادث، وأما أن يحدث في محل، فيكون المحل موصوفاً به لا الباري تعالى، فتعين أنه لا محل له، فأثبت علوماً حادثة بعدد المعلومات الموجودة.

ومنها قوله في القدرة الحادثة ان الإنسان ليس يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وينسب إليه الأفعال مجازاً كما ينسب إلى الجمادات، كما يقال أثمرت الشجرة، وجرى الماء ، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس، وغربت ، وتغيمت السماء، وأمطرت، وأزهرت الأرض، وأنبتت إلى

---

(١) ترمذ مدينة مشهورة من أمهات المدن راكبة على نهر جيحون، من الشرق. ولها ربض ويحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالآجر. (معجم ثامن ص ٣٨٢).

(٢) مرو، أو مرو الشاهجان وهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها، والنسبة إليها مروزي على غير قياس، والثوب مروى على القياس (معجم ثامن ص ٣٣).

(٣) فقال: إنما يقال في وصفه أنه قادر موجد فاعل، خالق محيي مميت، لأن هذه الصفات لا تطلق على العبيد، وأنها مختصة به وحده (التبصير ص ٦٤) (الفرق بين الفرق ص ١٩٩).

غير ذلك [1] والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال جبر، قال وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً.

ومنها قوله إن حركات أهل الخلدين تنقطع، والجنة والنار يفنيان بعد دخول أهليهما فيهما، وتلذذ أهل الجنة بنعيمها، وتألم أهل النار بجحيمها، إذ لا يتصور حركات لا تتناهى آخراً، كما لا تتصور حركات لا تتناهى أولاً، وحمل قوله تعالى: ﴿خالدين فيها﴾ [آل عمران: ١٥] على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد، كما يقال خلد الله ملك فلان، استشهد على الانقطاع بقوله تعالى: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ (هود: ١٠٧) فالآية اشتملت على شريطة واستثناء، والخلود والتأييد لا شرط فيه ولا استثناء[2].

ومنها قوله: من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد فهو مؤمن، قال والإيمان لا يتبعض، أي لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل، قال: ولا يتفاضل أهله فيه، فإيمان الأنبياء، وإيمان الأمة على نمط واحد، إذ المعارف لا تتفاضل، وكان السلف كلهم من أشد الرادين عليه، ونسبته إلى التعطيل المحض، وهو أيضاً موافق للمعتزلة في نفي الرؤية وإثبات خلق الكلام وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع.

---

(١) هذا القول خلاف ما تجده العقلاء في أنفسهم، لأن كل من يرجع إلى نفسه يفرق في نفسه بين ما يرد عليه من أمر ضروري لا اختيار له فيه وبين ما يختاره ويضيفه لنفسه، فالعاقل يفرق بين حركة ضرورية كحركة المرتعش، وحركة المختار، وأنه ليجد فرقاً بينهما، ومن أنكر هذه التفرقة لا يعد من العقلاء، فله ما ورد في القرآن، من قوله: يعملون، ويعقلون، ويكسبون حجة عليهم، وكذا قوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ ولو لم يكن للعبد اختيار. كان الخطاب معه محالاً والثواب والعقاب عنه ساقطين كالجماد وقد رد الله على الجبرية والقدرية حيث قال: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ومعناه وما رميت من حيث الخلق إذ رميت من حيث الكسب ولكن الله رمى من حيث الخلق والكسب، خلقه خلقاً لنفسه، كسباً لعبده، فهو مخلوق لله تعالى من وجهين (التبصير ص ٦٣).

(٢) فمن ضلالاته أن الجنة والنار تفنيان كما تفنى سائر الأشياء، لكنه عز وجل قادر بعد فنائهما على أن يخلق أمثالهما، وعقيدة أهل السنّة أنهم قالوا بتأييد الجنة ونعيمها وتأييد جهنم وعذابها وأكفروه في قوله. (التبصير ص ٦٤ والفرق بين الفرق ص ١٠٣ و ص ٣١٩).

النجارية

أصحاب الحسين بن محمد النجار وأكثر معتزلة، الري [1] وما حواليها على مذهبه، وهم وإن اختلفوا أصنافاً، إلا أنهم لم يختلفوا في المسائل التي عددناها أصولاً، وهم برغوثية [2] وزعفرانية [3] ومستدركة [4]، وافقوا المعتزلة في نفي الصفات من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر، ووافقوا الصفاقية، في خلق الأعمال، قال النجار، الباري تعالى مريد لنفسه كما هو عالم لنفسه فألزم عموم التعلق فالتزم، وقال: هو مريد الخير والشر والنفع والضر، وقال أيضاً: معنى كونه مريداً أنه غير مستكره ولا مغلوب، وقال: هو خالق أعمال العباد خيرها وشرها حسنها وقبيحها، والعبد مكتسب لها وأثبت تأثيراً للقدرة الحادثة. وسمى ذلك كسباً على حسب ما يثبته الأشعري، ووافقه أيضاً في أن الاستطاعة مع الفعل، وأما في مسألة الرؤية فأنكر رؤية الله تعالى بالأبصار وأحالها، مغير أنه قال: يجوز أن يحول الله تعالى القوة التي في القلب من المعرفة إلى العين فيعرف الله بها، ويكون ذلك رؤية، وقال بحدوث الكلام لكنه انفرد عن المعتزلة بأشياء:

منها قوله: إن كلام الباري تعالى إذا قرىء فهو عرض، وإذا كتب فهو جسم، ومن العجب أن الزعفرانية [5] قالت كلام الله غيره، وكل ما هو غيره فهو مخلوق [6] ومع ذلك

---

(١) الري مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال من بلاد الفرس (معجم رابع ص ٣٥٥).

(٢) نسبة إلى محمد بن عيسى الملقب ببرغوث، الكاتب رأس البرغوثية ورد في مختصر الفرق بين الفرق ص ١٢٦ وفي الفصل الثالث ص ٢٢ وجاء في اعتقادات الرازي برغوسية بالسين وهو خطأ.

(٣) وأما المذهب فهم الزعفرانية وهي فرقة من النجارية ينتمون إلى رئيس لهم يقال له الزعفراني ومن مذهبهم أن القرآن محدث وأن كلام الله غيره فهو مخلوق ويقولون مع ذلك أن القول بخلق القرآن كفر فيعتقدون المتناقض (اللباب ص ٥٠٣).

(٤) المستدركة، قوم من الزعفرانية سموا بهذا الاسم لأنهم زعموا أنهم استدركوا على أسلافهم ما خفي عليهم (التبصير ص ٦٢).

(٥) الزعفرانية أتباع الزعفراني الذي كان بالري وكان يعبر عن مذهبهم بعبارت متناقضة فكان يقول كلام الله تعالى غيره وإن كل ما هو غيره فهو مخلوق ثم كان يقول الكلب خير ممن يقول: إن كلام الله مخلوق ومن كان كلامه على هذا النمط كان الكلام في عقله لا في دينه. (التبصير ص ٦٢).

(٦) تأول أبو بكر قوماً من أهل مكة، على أن الروم تغلب فارس، فغلبت الروم فارس فقرأها عليهم فقالوا: يا بن أبي قحافة، كلامك هذا أم كلام صاحبك؟ قال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله عز وجل. =

قالت كل من قال القرآن مخلوق فهو كافر، ولعلهم إذا رأوا بذلك الاختلاف وإلا فالتناقض ظاهر، والمستدركة [1] منهم زعموا أن كلامه غيره وهو مخلوق ؛ لكن النبي

= قال فروة بن نوفل: أخذ خباب بيدي فقال: تقرب ما استطعت واعلم أنك تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه، وقال ابن مسعود في خطبة له إن أصدق الحديث كلام الله عز وجل، وقال: إن القرآن كلام الله تعالى فمن كذب على القرآن فإنما يكذب على الله عز وجل، وقال ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾، قال غير مخلوق، وقال عمر: القرآن كلام الله. وقال عثمان: لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وأخذ على علي تحكيمه فقال: ما حكمت مخلوقاً ما حكمت إلا القرآن، وقد ثبت عن الصحابة إضافة القرآن إلى الله تعالى وتمجيده بأنه كلام الله تعالى، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تكلم العباد بكلام أحب إلى الله تعالى من كلامه وما أناب العباد إلى الله عز وجل بكلام أحب إليه من كلامه» «يعني القرآن».

وقال الحسن: كلام الله تعالى إلى القوة والصفاء. وأعمال بني آدم إلى الضعف والتقصير، قال عمرو بن دينار القرآن كلام الله ليس بمخلوق وسئل ابن راهويه عن القرآن فقال: القرآن كلام الله وعلمه، ووحيه ليس بمخلوق وعلى هذامضى صدر هذه الأمة لم يختلفوا في ذلك. فإنه من الله، وإليه يعود، كما قال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾، سُئل علي بن الحسين عن القرآن. فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، وهو كلام الخالق، وقال جعفر بن محمد الصادق: من زعم أنه مخلوق، يُقتل ولا يستتاب، وسُئل مالك بن أنس ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟ فقال: هو عندي كافر فاقتلوه. وقال: القرآن كلام الله ليس بمخلوق؛ فالقرآن كلام الله وصفة ذاته غير مخلوق؛ ومن قال إنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وقال وكيع: القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فقد زعم أن القرآن محدث، ومن زعم أن القرآن محدث فقد كفر، وقد كان من السلف من يرى بدعة القول بخلق القرآن من المقاتل ومن زعمها فهوزنديق وقد قال أبو حنيفة: من قال القرآن مخلوق فهو كافر. وقال الشافعي: القرآن كلام الله غير مخلوق، ولما كلمه حفص الفرد فقال القرآن مخلوق. فقال الشافعي: كفرت بالله العظيم، وكتب بشر إلى منصور بن عمار، أخبرني، القرآن خالق أو مخلوق؟ فكتب إليه، عافانا الله وإياك من كل الفتنة وجعلنا وإياك من أهل السنّة والجماعة، فإنه إن يفعل فأعظم به من نعمة، وإلا فهي الهلكة وليست لأحد على الله تعالى بعد المرسلين حجة نحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة يشارك فيها السائل والمجيب، تعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، وما أعرف خالقاً إلا الله وما دون الله فمخلوق والقرآن كلام الله عز وجل فانته بنفسك وبالمختلفين فيه معك إلى أسمائه التي سماه الله تعالى بها تكن من المهتدين ولا تسم القرآن باسم من عندك فتكون من الصالحين جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون.

ولقد كفر السلف الصالح من قال بخلق القرآن، لأن القول بهذا يؤدي إلى أن القرآن محدث، وقيام الحادث به تعالى يستلزم نفي الصانع لأن ما يكون محلاً للحادث يكون حادثاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فالقرآن كلام الله قائم به قديم بقدمه، ليس بحرف ولا صوت حتى يلزم كون الله محلاً للحوادث تعالى الله عما يصفون (الأسماء والصفات ص ٢٣٩).

(١) المستدركة افترقوا فرقتين، فقالت فرقة منهم أن النبي ﷺ قال: كلام الله تعالى مخلوق، وقالوا قاله على هذا الترتيب بهذه الحروف، وقالوا: وكل من يقل أن النبي ﷺ قال هذا فهو كافر، وقالت الفرقة الأخرى: =

ﷺ قال: «كلام الله غير مخلوق» والسلف أجمعت على هذه العبارة، فوافقناهم وحملنا قولهم غير مخلوق أي على هذا الترتيب والنظم من الحروف والأصوات، بل هو مخلوق على غير هذه الحروف بعينها، وهذه حكاية عنها، وحكى الكعبي عن النجار أنه قال الباري تعالى بكل مكان ذاتاً ووجوداً، لا على معنى العلم والقدرة، وألزمه محالات على ذلك، وقال في المفكر قبل ورود السمع مثل ما قالت المعتزلة أنه يجب عليه تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال، وقال في الإيمان أنه عبارة عن التصديق، ومن ارتكب كبيرة ومات عليها من غير توبة عوقب على ذلك، ويجب أن يخرج من النار، فليس من العدل التسوية بينه وبين الكفار في الخلود، ومحمد [1] بن عيسى الملقب ببرغوث وبشر [2] بن غياث المريسي والحسين النجار متقاربون في المذهب وكلهم أثبتوا كونه تعالى مريداً لم يزل لكل ما علم أنه سيحدث من خير وشر وإيمان وكفر وطاعة ومعصية وعامة المعتزلة يأبون ذلك.

الضرارية

أصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد واتفاقهما في التعطيل أنهما قالا الباري تعالى عالم قادر على معنى أنه ليس بجاهل ولا عاجز، وأثبتا لله تعالى ماهية لا يعلمها إلا هو، وقالا إن هذه المقالة محكية عن أبي حنيفة [3] رحمه الله، وجماعة من أصحابه، وأراد بذلك أنه يعلم نفسه شهادة لا بدليل ولا خبر ونحن نعلمه بدليل وخبر، وأثبتا حاسة سادسة للإنسان يرى بها الباري تعالى يوم الثواب في الجنة، وقالا أفعال العباد مخلوقة

= أن النبي ﷺ لم يقل أن كلام الله تعالى مخلوق، ولم يتكلم بكلمات تدل على أن القرآن مخلوق. (التبصير ص ٦٢).

(١) محمد بن عيسى، وبرغوث لقب به، وكان على مذهب النجار في أكثر مذاهبه وخالفه في تسمية المكتسب فاعلاً، وفي الفرق بين الفرق أن النجارية ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة. (الفرق بين الفرق ص ١٩٧).

(٢) أبو عبد الرحمن بشر بن غياث المريسي الفقيه الحنفي المتكلم، هو من موالي زيد بن الخطاب أخذ الفقه من أبي يوسف إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، وحكى عنه أقوال شنيعة وكان مرجئاً وإليه تنسب المريسية وكان يناظر الإمام الشافعي. توفي سنة ٢١٨ (ابن خلكان أول ص ١١٣).

(٣) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الإمام الفقيه الكوفي، كان عالماً عاملاً زاهداً عابداً ورعاً تقياً كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى توفي سنة ١٥٠ (ابن خلكان ثان ص ٢١٥).

للباري تعالى حقيقة، والعبد يكتسبها حقيقة، وجوزوا حصول فعل بين فاعلين، وقالا يجوز أن يقلب الله الأعراض أجساماً، والاستطاعة (عجزاً) والعجز بعض الجسم وهو جسم، ولا محالة تبقى زمانين وقالا: الحجة بعد رسول الله ﷺ في الإجماع فقط فما ينقل عنه في أحكام الدين من أخبار الآحاد فغير مقبول [1].

ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله [2] بن مسعود وحرف أُبي [3] بن كعب ويقطع بأن الله تعالى لم ينزله [4] وقال في المنكر قبل ورود السمع، أنه لا يجب

---

(١) أما حقيقة هذه الإضافة في اللغة فإنه خبر واحد وأن الراوي له واحد فقط لا اثنان ولا أكثر من ذلك، غير أن الفقهاء والمتكلمين قد تواضعوا على تسمية كل خبر قصر على إيجاب العلم بأنه خبر واحد، وسواء عندهم رواه الواحد أو الجماعة التي تزيد على الواحد.
وهذا الخبر لا يوجب العلم ولكن يوجب العمل إن كان ناقله عدلاً ولم يعارضه ما هو أقوى منه فمتى صح إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم وكانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم في أن يلزمه الحكم بها في الظاهر وإن لم يعلم صدقهم في الشهادة، وبهذا النوع من الخبر أثبت الفقهاء أكثر فروع الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الحلال والحرام وضللوا من أسقط وجوب العمل بأخبار الآحاد. (التمهيد ص ١٩٤ والفرق بين الفرق ص ٣١٢).

(٢) عبد الله بن مسعود الهذلي أحد القرّاء الأربعة من السابقين؛ ومن علماء الصحابة، هاجر الهجرتين، وصلى إلى القبلتين وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وكان صاحب نعل رسول الله، وقد قال ﷺ: لو كنت مؤمراً أحداً من غير مشورة لأمّرت ابن أم عبد، وكان أول من جهر بالقرآن بمكة، وقد كان أقرب الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله ﷺ، ومن أقربهم إلى الله زلفى، وسيّره عمر إلى الكوفة وكتب إلى أهلها: إني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء، من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أهل بدر فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي، توفي سنة اثنين وثلاثين. (أُسد الغابة ثالث ص ٢٥٧ شذرات أول ص ٣٨).

(٣) أبيّ بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي أول من كتب لرسول الله ﷺ مقدمه المدينة: سيد القراء، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن أمر الله نبيه أن يقرأ عليه سورة لم يكن وسماه له وناهيك بها وقال له: ليهنك العلم يا أبا المنذر فكناه بها، كما كناه عمر بابنه الطفيل، وكان عمر يقول: أبيّ سيد المسلمين، وقال النبي ﷺ: ارحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبيّ بن كعب، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح. وقد اختلف في تاريخ وفاته وترجح عندي أنه مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين. (أُسد الغابة أول ص ٤٩، وتهذيب التهذيب أول ص ١٨٧، وشذرات أول ص ٣٢).

(٤) قراءة ابن مسعود هي قراءة عاصم بن بهدلة أبي النجود شيخ الإقراء بالكوفة، وقد أقرأها أبا بكر بن عياش، وهي القراءة التي كان يعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود، وفي تاريخ المصاحف بيان لحروف ابن مسعود ومصحفه، أما قراءة أبيّ فقد أخذ بها عبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي مقرىء الكوفة وإليه انتهت القراءة تجويداً وضبطاً وممن أخذ عنه عاصم، وبتاريخ المصاحف بيان لمصحفه، والقراءتان متوافرتان ولهما قراءة تجري مجرى التفسير المشهور. وإنكار حرف منهما يكون إنكاراً لبعض القرآن، وإنكار بعضه كإنكار كله، وهو كفر فوق ما فيه من نسبته إليهما الافتيات على الله في مصحفهما. =

عليه شيء بعقله حتى يأتيه الرسول فيأمره وينهاه، ولا يجب على الله تعالى شيء بحكم العقل.

وزعم ضراراً أيضاً أن الإمامة تصلح في غير قريش حتى إذا اجتمع قرشي ونبطي قدمنا النبطي، إذ هو أقل عدداً وأضعف وسيلة فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة.

والمعتزلة وإن جوزوا الإمامة في غير قريش إلا أنهم لا يقدمون النبطي على القرشي.

الصفاتية

اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر، والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً، وكذلك يثبتون صفات جبرية، مثل اليدين والرجلين، (والوجه) ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون بتسميتها صفات جبرية، ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون، سمي السلف صفاتية، والمعتزلة معطلة، فبلغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حد التشبيه بصفات المحدثات، واقتصر بعضهم على صفات دلت الأفعال عليها، وما ورد به الخبر فافترقوا فيه فرقتين، منهم من أولها على وجه يحتمل اللفظ ذلك، ومنهم من توقف في التأويل، وقال: عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء، فلا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء منها، وقطعنا بذلك إلا أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] ومثل قوله: ﴿خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥] ومثل قوله: ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر: ٢٢] إلى غير ذلك، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه شريك له وليس كمثله شيء، وذلك قد أثبتناه يقيناً، ثم ان جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف فقالوا: لا بد من إجرائها على ظاهرها، والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرض للتأويل ولا توقف في الظاهر، فوقعوا في التشبيه الصرف، وذلك على

= ولقد زاد في غلوائه فشك في جميع عامة المسلمين وقال: لا أدري لعل سرائر العامة كلها شرك وكفر، وهذا خلاف إجماع أهل السنّة حيث قالوا: إنا نقطع أن في عوام المسلمين مؤمنين عارفين براء من الكفر والشرك. (غاية النهاية أول ص ٣٤٧ و ص ٤١٣، وتاريخ المصاحف ص ٥٣ و ص ٥٤ والفرق بين الفرق ص ٢٠٢ والتبصير ص ٦٣).

خلاف ما اعتقده السلف، ولقد كان التشبيه صرفاً خالصاً في اليهود لعنهم الله، لا في كلهم، بل في القرائين [1] منهم إذ أوجدوا في التوراة ألفاظاً تدل على ذلك، ثم الشيعة في هذه الشريعة وقعوا في غلو وتقصير، أما الغلو فتشبيه بعض أئمتهم بالإله تعالى الله وتقديس، وأما التقصير فتشبيه الإله بواحد من الخلق، ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف رجعت بعض الروافض عن الغلو والتقصير، ووقعت في الاعتزال، وتخطت جماعة من السلف إلى التفسير الظاهر، فوقعت في التشبيه.

أما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولا استهدفوا للتشبيه، فمنهم مالك [2] بن أنس رضي الله عنه إذ قال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[3] ومثل أحمد[4] بن حنبل وسفيان[5] وداود[6] الأصفهاني ومن تابعهم،

(١) القراءون، فرقة من اليهود، وهم بنو مقرا ومعنى مقرا الدعوة، وهم يحكمون نصوص التوراة ولا يلتفتون إلى قول من خالفها ويقفون مع النص دون تقليد من سلف وهم مع الربانيين من العداوة بحيث لا يتناكحون ولا يتجاورون، ولا يدخل بعضهم كنيسة بعض. (خطط المقريزي رابع ص ٣٦٩).

(٢) الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المدني إمام دار الهجرة واحد الأئمة الأعلام قال: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهلٌ لذلك وقل رجل كنت أتعلم منه ومات حتى يستفتيني، وكان على ضعفه وكبر سنه لا يركب في المدينة ويقول: لا أركب في بلد فيه جسد رسول الله ﷺ مدفون. وقال الشافعي رضي الله عنه: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع سنة تسع وسبعين ومائة. (شذرات أول ص ٢٨٩).

(٣) قال يحيى بن يحيى: كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى فكيف استوى؟ فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً فأمر به أن يخرج، وسئل ربيعة الرأي عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ قال: الكيف مجهول والاستواء غير معقول ويجب عليّ وعليك الإيمان بذلك كله، وقال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله تعالى من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه وما أحسن ما ذهب إليه متأخرو أهل السنّة إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة. قال الشاعر في بشر بن مروان:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

يريد أنه غلب أهله من غير محاربة (الأسماء والصفات ص ٤٠٥).

(٤) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني، أحد الأعلام، وكان إماماً في الحديث وضروبه إماماً في الفقه ودقائقه إماماً في السنّة ودقائقها إماماً في الورع وغوامضه، إماماً في الزهد وحقائقه. توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين. (شذرات ثان ص ٩٦).

(٥) سفيان بن سعيد الثوري الفقيه سيد أهل زمانه علماً وعملاً، ومات سفيان بالبصرة متوارياً، وكان صاحب مذهب وقد وجد في القرن الرابع سفيانيون توفي سنة إحدى وستين ومائة (شذرات أول ص ٢٥٠).

(٦) الإمام داود بن علي الاصفهاني ثم الغداوي الفقيه الظاهري صاحب التصانيف، وكان حافظاً مجتهداً إمام أهل الظاهر. وكان زاهداً متقللاً كثير الورع. توفي سنة سبعين ومائتين (شذرات ثان ص ١٥٨).

حتى انتهى الزمان، إلى عبد الله بن سعيد الكلابي وأبي العباس القلانسي والحرث بن أسد المحاسبي، وهؤلاء كانوا من جملة السلف إلا أنهم باشروا علم الكلام وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية، وبراهين أصولية، وصنف بعضهم ودرس بعض، حتى جرى بين أبي الحسن الأشعري وبين أستاذه [1] مناظرة في مسألة من مسائل الصلاح والأصلح فتخاصما وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة، فأيد مقالتهم بمناهج كلامية، وصار ذلك مذهباً لأهل السنة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية ولما كانت المشبهة والكرامية من مثبتي الصفات عددناهم فرقتين من جملة الصفاتية.

الأشعرية

الأشعرية أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، وسمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري كان يقرر بعينه ما يقرره الأشعري في مذهبه، وقد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه فقال عمرو: أن أجد أحداً أخاصم إليه ربي، فقال أبو موسى: أنا ذلك المتحاكم إليه، قال عمرو: يقدّر عليّ شيئاً ثم يعذبني عليه قال: نعم، قال عمرو: ولم، قال: لأنه لا يظلمك. فسكت عمرو ولم يحر جواباً.

قال الأشعري: الإنسان إذا فكر في خلقته من أي شيء ابتدأ وكيف دار في أطوار الخلقة كوراً بعد كور، حتى وصل إلى كمال الخلقة وعرف يقيناً أنه بذاته لم يكن ليدبر خلقته، ويبلغه من درجة إلى درجة، ويرقيه من نقص إلى كمال، عرف بالضرورة أن له صانعاً قادراً عالماً مريداً، إذ لا يتصور صدور هذه الأفعال المحكمة من طبع لظهور آثار الاختيار في الفطرة، وتبيين آثار الإحكام والإتقان في الخلقة فله صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جحدها، وكما دلت الأفعال على كونه عالماً قادراً مريداً، دلت على العلم والقدرة والإرادة لأن وجه الدلالة لا يختلف شاهداً وغائباً.

وأيضاً لا معنى للعالم حقيقة إلا أنه ذو علم، ولا للقادر إلا أنه ذو قدرة، ولا للمريد إلا أنه ذو إرادة، فيحصل بالعلم الإحكام والإتقان. ويحصل بالقدرة الوقوع

---

(١) أستاذه أبو علي الجبائي؛ أخذ عنه علم الجدل والنظر ومما يبض وجوه أهل السنّة وأبان به وجه الحق إلا بلج مناظرته مع شيخه الجبائي التي بها قصم ظهر كل مبتدع مراء. (شذرات ثان ص ٣٠٣).

والحدوث، ويحصل بالإرادة التخصيص بوقت دون وقت، وقدر دون قدر، وشكل دون شكل . وهذه الصفات لن يتصور أن يوصف بها الذات إلا وأن يكون الذات حيا بحياة للدليل الذي ذكرناه، وألـزم منكري الصفـات إلزامـاً لامحيض لهم عنه، وهـو انكم وافقتمونا إذ قام الدليل على كونه عالماً قادراً فـلا يخلو إما أن يكـون المفهومـان من الصفتين واحداً أو زائداً، فإن كان واحداً فيجب أن يعلم بقادريته، ويقدر بعـالميته، ويكون من علم الذات مطلقاً علم كونه عالماً قـادراً، وليس الأمر كـذلك فعـرف أن الاعتبارين مختلفان، فلا يخلو إما أن يرجع الاختلاف إلى مجرد اللفظ وإلى الحال وإلى الصفة وبطل رجوعه إلى اللفظ المجرد، فان العقل يقضي باختلاف مفهومين معقولين لو قدر الألفاظ رأساً ما ارتاب فيما يصوره وبطل رجوعه إلى الحال فان إثبات صفة لا توصف بالوجود ولا بالعدم إثبات واسطة بين الوجود والعدم والإثبات والنفي وذلك محال، فتعين الرجوع إلى صفة قائمة بالذات، وذلك مذهبه.

على أن القاضي أبا بكر الباقلاني [1] من أصحاب الأشعري، قد رد قوله في إثبات الحال ونفيها وتقرر رأيه على الإثبات، ومع ذلـك أثبت الصفات معـاني قائمـة به لا أحوالاً، وقال الحال الذي أثبته أبو هاشم هو الذي نسميه صفة، خصوصاً إذا أثبت حالة أوجبت تلك الصفات.

قال أبو الحسن الباري تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، مريداً بإرادة، متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير وله في البقاء اختلاف رأي . قال: وهذه صفات أزلية قائمة بذاته، لا يقال هي هو ولا غيره، ولا لاهو ولا لاغيره.

والدليل على أنه متكلم بكلام قديم، ومريد بإرادة قديمة. قال: قام الدليل على أنه تعالى، ملك والملك من له الأمر والنهي، فهو آمر نـاهٍ، فلا يخلو إما أن يكون آمراً بأمر قديم أو بأمر محدث، فإن كان محدثاً فلا يخلو إما أن يحدثه في ذاته، أو في محل أولاً في محل ويستحيل أن يحدثه في ذاته، لأنه يؤدي إلى أن يكون محلاً للحوادث، وذلك محال ويستحيل أن يكون في محل لأنه يـوجب أن يكون المحـل به مـوصوفـاً

---

(١) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، المعروف بالباقلاني المتكلم المشهور كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيداً اعتقاده وناصراً طريقته وقد صنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره وكان في علمه أوحد زمانه. توفي سنة ٤٠٣ (ابن خلكان أول ص ٦٠٩).

، ويستحيل أن يحدثه لا في محل لأن ذلك غير معقول، فتعين أنه قديم قائم به صفة لـه.

وكذلـك التقسيم في الإرادة والسمع والبصـر قال، وعلمـه واحـد يتعلق بجميـع المعلومات المستحيل والجائز والواجب، والموجود والمعدوم، وقدرته واحـدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده من الجائزات وإرادته واحدة تتعلق بجميـع ما يقبـل الصفات وكلامه واحد هو أمر ونهي، وخبر واستخبار، ووعد ووعيد، وهذه الوجوه تـرجع إلى اعتبارات في كلامه لا إلى عدد في نفس الكلام.

والعبارات والألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الأزلي، والدلالة مخلوقة محدثة والمدلول قديم أزلي، والفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو، كالفرق بين الذكر والمذكور، فالذكر محدث والمذكور قديم (١).

وخالف الأشعري بهذا التدقيق جماعة من الحشـوية إذ قضـوا بكون الحـروف والكلمات قديمة، والكلام عند الأشعري معنى قائم بالنفس سوى العبارة بـل العبارة دلالة عليه من الإنسان، فالمتكلم عنده من قام بـه الكلام، وعنـد المعتزلـة من فعل الكلام، غير أن العبارة تسمى كلاماً، إما بالمجاز وإما باشتراك اللفظ، قال وإرادتـه واحدة قديمة أزلية متعلقة بجميع المرادات من أفعاله الخاصة، وأفعال عباده من حيث أنها مخلوقة لا من حيث أنها مكتسبة لهم، فمن هذا قال أراد الجميع خيرها وشرهـا ونفعها، وضرها وكلما أراد وعلم أراد من العباد ما علم، وأمر القلم حتى كتب في اللوح المحفوظ، فذلك حكمه وقضاؤه وقدره الذي لا يتغير ولا يتبدل، وخلاف المعلوم مقدور

---

(١) قال الله جلّ ثناؤه: ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾، وقال: ﴿والطـور وكتـاب مسطور في رق منشور﴾، وقال جلّ وعلا: ﴿بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم﴾، وقال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾، وقال عز وجل: ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾. فالقرآن الذي نتلوه كلام الله تعالى وهو متلو بألسنتنا على الحقيقة، مكتوب في مصاحفنا، محفوظ في صدورنا ومسموع بأسماعنا، غير حال في شيء منها، إذ هو من صفات ذاته، غير بائن منه، وهو كما أن الباري عز وجل معلوم بقلوبنا مذكور بألسنتنا، مكتوب في كتبنا معبود في مساجدنا مسموع بأسماعنا، غير حال في شيء منها، وأما قراءتنا وكتبنا وحفظنا فهي من اكتسابنا، وإكسابنا مخلوق لا شك فيه. قال الله عز وجل: ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾. وسمى رسول الله ﷺ تلاوة القرآن فعلاً. (الأسماء والصفات ص ٢٥٨).

الجنس محال الوقوع، وتكليف ما لا يطاق جائز على مذهبه، للعلة التي ذكرنا، ولأن الاستطاعة عنده عرض، والعرض لا يبقى زمانين، ففي حال التكليف لا يكون المكلف قط قادراً، ولأن المكلف لن يقدر على إحداث ما أمر به، فأما أن يجوز ذلك في حق من لا قدرة له أصلاً على الفعل فمحال ، وإن وجد ذلك منصوصاً عليه في كتابه، قال: والعبد قادر على أفعال العباد، إذ الإنسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة وبين حركات الإختيار والإرادة ، والتفرقة راجعة إلى أن الحركات الاختيارية حاصلة (بحيث أن القدرة تكون متوقفة) على اختيار القادر، فمن هذا قال: المكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة والحاصل تحت القدرة الحادثة، ثم على أصل أبي الحسن، لا تأثير للقدرة الحادثة في الأحداث، لأن جهة الحدوث قضية واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الجوهر والعرض ، فلو أثرت في قضية الحديث لأثرت في حدوث كل محدث، حتى يصلح لأحداث الألوان والطعوم والروائح ، ويصلح لإحداث الجواهر والأجسام، فيؤدي إلى تجويز وقوع السماء والأرض بالقدرة الحادثة، غير أن الله تعالى أجرى سنته بأن يخلق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها ومعها الفعل الحاصل إذا أراده وتجرد له، ويسمى هذا الفعل كسباً، فيكون خلقاً من الله تعالى، إبداعاً وإحداثاً وكسباً من العبد، (مجعولاً) تحت قدرته .

والقاضي أبو بكر الباقلاني تخطي عن هذا القدر قليلاً، فقال الدليل قد قام على أن القدرة الحادثة لا تحصل للإيجاد، ولكن ليست تقتصر صفات الفعل أو وجوهه واعتباراته على جهة الحدوث فقط، بل هاهنا وجوه أخر وراء الحدوث، من كون الجوهر جوهراً متحيزاً قابلاً للعرض ، ومن كونه العرض عرضاً ولوناً وسواداً وغير ذلك، وهذه أحوال عند مثبتي الأحوال.

قال: فجهة كون الفعل حاصلاً بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصة يسمى ذلك كسباً، وذلك هو أثر القدرة الحادثة، قال فإذا جاز على أصل المعتزلة أن يكون تأثير القدرة أو القادرية في حال هو الحدوث والوجود، أو في وجه من وجوه الفعل، فلم لا يجوز أن يكون تأثير القدرة الحادثة في حال هو صفة للحادث، أو في وجه من وجوه الفعل وهو كون الحركة مثلاً على هيئة مخصوصة وذلك أن المفهوم من الحركة مطلقاً، ومن العرض مطلقاً غير والمفهوم، من القيام والقعود غير، وهما حالتان متمايزتان فان كل

قيام حركة، وليس كل حركة قياماً، ومن المعلوم أن الإنسان يفرق فرقاً ضرورياً بين قولنا أوجد، وبين قولنا صلى وصام، وقعد وقام، وكما لا يجوز أن يضاف إلى الباري تعالى جهة ما يضاف إلى العبد، فكذلك لا يجوز أن يضاف إلى العبد جهة ما يضاف إلى الباري تعالى، فأثبت القاضي تأثيراً للقدرة الحادثة وأثرها هي الحالة الخاصة، وهي جهة من جهات الفعل حصلت من تعلق القدرة الحادثة بالفعل، وتلك الجهة هي المتعينة، لأن تكون مقابلة بالثواب والعقاب، فان الوجود حيث هو وجود ، لا يستحق عليه ثواب وعقاب، خصوصاً على أصل المعتزلة ، فان جهة الحسن والقبح هي التي تقابل بالجزاء، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان وراء الوجود فالموجود من حيث هو وجود ليس بحسن ولا قبيح ، قال فإذا جاز لكم إثبات صفتين هما حالتان، جاز لي إثبات حالة هي متعلقة القدرة الحادثة، ومن قال هي حالة مجهولة، فبينا بقدر الإمكان جهتها، وعرفناها ايش [1] هي، ومثلناها كيف هي.

ثم إن إمام الحرمين أبا المعالي [2] الجويني قدس الله روحه، تخطى عن هذا البيان قليلاً، قال: أما نفي القدرة والاستطاعة مما يأباه العقل والحسن، وأما إثبات قدرة لا أثر لها بوجه فهي كنفي القدرة أصلاً، وأما إثبات تأثير في حالة لا تعقل كنفي التأثير، خصوصاً والأحوال على أصلهم لا توصف بالوجود والعدم ، فلا بد إذاً من نسبة فعل العبد إلى قدرته حقيقة لا على وجه الإحداث والخلق، فان الخلق يشعر باستقلال إيجاده من العدم، والإنسان كما يحس من نفسه الاقتدار يحس من نفسه أيضا عدم الاستقلال، فالفعل يستند وجوداً إلى القدرة، والقدرة تستند وجوداً إلى سبب آخر يكون نسبة القدرة إلى ذلك السبب كنسبة الفعل إلى القدرة، وكذلك يستند سبب إلى سبب، حتى ينتهي إلى مسبب الأسباب، فهو الخالق للأسباب ومسبباتها، المستغني على الإطلاق، فان كل سبب، مستغن من وجه، محتاج من وجه، والباري تعالى هو الغني المطلق الذي لا

---

(١) إيش عربية عامية منحوتة من أي شيء، وقيل إيش في معنى أي شيء كما يقال ويلمه في معنى ويل لأمه على الحذف لكثرة الاستعمال.

(٢) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين المعروف بإمام الحرمين أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي وقد أجمع على إمامته، وغزارة مادته وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك، وله مصنفات كثيرة. توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. (ابن خلكان أول ص ٣٦١).

حاجة له ولا فقر، وهذا الرأي إنما أخذه من الحكماء الإلهيين، وأبرزه في معرض الكلام، وليس يختص نسبة السبب إلى السبب على أصلهم بالفعل والقدرة، بل كل ما يوجد من الحوادث، فذلك حكمه، وحينئذٍ يلزم القول بالطبع، وتأثير الأجسام في الأجسام إيجاداً، وتأثير الطبائع في الطبائع إحداثاً، وليس ذلك مذهب الإسلاميين، كيف ورأي المحققين من الحكماء أن الجسم لا يؤثر في إيجاد الجسم، قالوا: الجسم لا يجوز أن يصدر عن جسم، ولا عن قوة ما في جسم، فان الجسم مركب من مادة وصورة، فلو أثر لأثر من جهته، أعني بمادته وصورته، والمادة لها طبيعة عدمية، فلو أثرت لأثرت بمشاركة العدم، والثاني محال، فالمقدم إذاً محال، فنقيضه حق، وهو أن الجسم وقوة ما في جسم لا يجوز أن يؤثر في جسم، وتخطي من هو أشد تحققاً، وأغوص تفكراً عن الجسم وقوة في الجسم إلى كل ما هو جائز بذاته. فقال: كل ما هو جائز بذاته، لا يجوز أن يحدث شيئاً ما، فانه لو أحدث لأحدث بمشاركة الجواز، والجواز له طبيعة عدمية، فلو خلى الجائز وذاته كان عدماً فلو أثر الجواز بمشاركة العدم لأدى إلى أن يؤثر العدم في الوجود وذلك محال، فاذاً لا يوجد على الحقيقة إلا واجب الوجود بذاته، وما سواه من الأسباب معدات لقبول الوجود، لا محدثات لحقيقة الوجود، ولهذا شرح سنذكره.

فمن العجب أن مأخذ كلام الإمام أبي المعالي إذا كان بهذه المثابة فكيف يمكن إضافة الفعل إلى الأسباب حقيقة، هذا ونعود إلى كلام صاحب المقالة.

قال أبو الحسن الأشعري: إذا كان الخالق على الحقيقة هو الباري تعالى لا يشاركه في الخلق غيره، فأخص وصفه تعالى هو القدرة على الاختراع، قال: وهذا هو تفسير اسمه تعالى الله، وقال أبو إسحاق الاسفرايني [1] أخص وصفه، وهو كون يوجب تمييزه على الأكوان كلها، وقال بعضهم نعم يقيناً أن ما من موجود إلا ويتميز عن غيره بأمر ما، وإلا فيقتضي أن تكون الموجودات كلها مشتركة متساوية والباري تعالى موجود، فيجب أن يتميز عن سائر الموجودات بأخص وصف، إلا أن العقل لا ينتهي إلى معرفة

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الاسفرايني الملقب بركن الدين الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي، أحد من بلغ حدّ الاجتهاد من العلماء لتبحره في العلوم واستجماعه شرائط الإمامة وله كتاب جامع الحلى في أصول الدين والرد على الملحدين، بنيت له المدرسة المشهورة بنيسابور. توفي سنة ثماني عشرة وأربعمائة. (ابن خلكان أول ص ٤).

ذلك الأخص ولم يرد به سمع فيتوقف، ثم هل يجوز أن يدركه العقل ففيه خلاف أيضاً، وهذا قريب من مذهب ضرار، غير أن ضراراً أطلق لفظ الماهية، وهو من حيث العبارة منكر.

ومن مذهب الأشعري أن كل موجود فيصح أن يرى، فان المصحح للرؤية إنما هو الوجود، والباري تعالى موجود، فيصح أن يرى، وقد ورد في السمع أن المؤمنين يرونه في الآخرة [1]، قال الله تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات والأخبار.

قال: ولا يجوز أن يتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع، أو على سبيل انطباع، فان ذلك مستحيل، وله قولان في ماهية الرؤية.

أحدهما: أنه علم مخصوص ويعني بالخصوص أنه يتعلق بالوجود دون العدم.

والثاني: أنه إدراك وراء العلم لا يقتضي تأثيراً في المدرك ولا تأثيراً عنه.

---

(١) قال علماء أهل السنّة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً وأجمعوا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ وما ذهبت إليه المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح، وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى، وقد رواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنّة وكذلك باقي شبههم، وأجوبتها مشهورة مستفاضة في كتب الكلام، وما أتي به ثمت، ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك هذا وقد روي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾». وقال جرير بن عبد الله، كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال: «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألاّ تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ: ﴿سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾». وعن أبي هريرة أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يارسول الله. قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب» قالوا: لا يا رسول الله. قال رسول الله: «فإنكم سترونه كذلك». وعن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى». والأحاديث في هذا الباب كثيرة. وهذا القدر كاف والله أعلم. (لباب التأويل سابع ص ١٥٤).

وأثبت السمع والبصر للباري تعالى صفتين هما إدراكان وراء العلم يتعلقان بالمدركات الخاصة بكل واحد بشرط الوجود.

وأثبت اليدين والوجه صفات جبرية، فيقول: ورد بذلك السمع فيجب الإقرار به، كما ورد ووصفوه، إلى طريقة السلف من ترك التعرض للتأويل، وله قول أيضاً في جواز التأويل، ومذهبه في الوعد والوعيد والأسماء والأحكام والسمع والعقل مخالف للمعتزلة من كل وجه.

قال: الإيمان هو التصديق بالقلب، وأما القول باللسان والعمل على الأركان ففروعه، فمن صدق بالقلب أي أقر بوحدانية الله تعالى، واعترف بالرسل تصديقاً لهم فيما جاؤوا به من عند الله تعالى بالقلب، صح إيمانه، حتى لو مات في الحال كان مؤمناً ناجياً، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك، وصاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه إلى الله تعالى، إما أن يغفر له برحمته وإما أن يشفع فيه النبي ﷺ. إذ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، وأما أن يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ولا يجوز أن يخلد في النار مع الكفار، لما ورد به السمع من إخراج من كان في قلبه ذرة من الإيمان، قال: ولو تاب لا أقول بأنه يجب على الله قبول توبته بحكم العقل، إذ هو الموجب فلا يجب عليه شيء. بل ورد السمع بقبول توبة التائبين، وإجابة دعوة المضطرين، وهو المالك في خلقه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فلو أدخل الخلائق بأجمعهم الجنة لم يكن حيفاً، ولو أدخلهم النار لم يكن جوراً، إذ الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف، أو وضع الشيء في غير موضعه. وهو المالك المطلق فلا يتصور منه ظلم ولا ينسب إليه جور.

قال: والواجبات كلها سمعية، والعقل ليس يوجب شيئاً ولا يقتضي تحسيناً وتقبيحاً، فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل، وبالسمع تجب، قال الله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء: ١٥] وكذلك شكر المنعم وإثابة المطيع، وعقاب العاصي، يجب بالسمع دون العقل ولا يجب على الله تعالى شيء ما بالعقل، لا الصلح ولا الأصلح، ولا اللطف، وكل ما يقتضيه العقل من الحكمة الموجبة فيقتضي نقيضه من وجه آخر:

وأصل التكليف لم يكن واجباً على الله تعالى، إذ لم يرجع إليه نفع ولا اندفع به عنه ضر، وهو قادر على مجازاة العبيد، ثواباً وعقاباً، وقادر على الافضال عليهم ابتداء

تكرماً وتفضلاً، والثواب والتفضل والنعيم واللطف كله منه فضل، والعقاب والعذاب كله عدل، ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة، ولكن بعد الابتعاث (صار)، تأييدهم بالمعجزات [١] وعصمتهم [٢] من الموبقات من جملة الواجبات، إذ لا بد من طريق للمستمع يسلكه، فيعرف به صدق المدعي، ولا بد من إزاحة العلل، فلا يقع في التكليف تناقض، والمعجزة فعل خارق للعادة مقترن بالتحدي، سليم عن المعارضة، فينزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة، وهو منقسم إلى خرق المعتاد، وإلى إثبات غير العتاد.

والكرامات للأولياء حق، وهي من وجه تصديق للأنبياء، وتأكيد للمعجزات.

---

(١) إن الله تبارك وتعالى قادر على خلق الإيمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن أرسل إليهم رسلاً تعرفهم معالم دينه، وجميع تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده، يبلغهم كلامه. ويعرفهم أحكامه وجائز أن تكون تلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء، وجائز أن تكون الواسطة من جنس البشر كالأنبياء مع أممهم ولا مانع لهذا من جهة العقل وإذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام، بمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما أتوا به، لأن المعجز مع التحدي من النبي، قائم مقام قول الله عز وجل صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه، لأن معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة لأن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين، فضرب منها هو على نوع قدرة البشر، ولكن عجزوا عنه، فعجزهم عنه دل على أنه من فعل الله ودل على صدق النبي ﷺ كتمني الموت في قوله: ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾، فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه، علم أنه من عند الله تعالى، ودلّ على صدق النبي ﷺ والضرب الثاني، ما هو خارج عن قدرة البشر كإحياء الموتى، وقلب العصا حية، وإخراج ناقة من صخرة، وكلام الشجر، والجماد، والحيوان ونبع الماء من بين الأصابع وغير ذلك من المعجزات التي عجز البشر عن مثلها، فإذا أتى النبي بشيء من تلك المعجزات الخارقة للعادات، علم أن ذلك من عند الله، وأن الله عز وجل هو الذي أظهر ذلك المعجز على يد نبيه، ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل، وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع أن الله تعالى قادر على خلق الأشياء وإبداعها من غير سبق لها، وإخراجها من العدم إلى الوجود وأنه قادر على قلب الأعيان، وخوارق العادات. (لباب التأويل ثان ٢٢١).

(٢) العصمة، ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها أو هي قوة، يودعها الله في عبده، تمنعه عن ارتكاب شيء من المعاصي، والمكروهات مع بقاء الاختيار أو لطف من الله يحمل عبده على فعل الخير ويمنعه عن الشر مع بقاء الاختيار تخفيفاً للابتلاء والامتحان وقد أجمع أهل الملل والشرائع على وجوب عصمتهم عن تعمد الكذب فيما دل المعجز القاطع على صدقهم فيه كدعوى الرسالة. وما يبلغونه عن الله إذ لو جاز عليهم الافتراء لبطلت دلالة المعجزة، وهو محال. وأما سائر الذنوب فهي إما كفر وقد أجمعت الأمة على عصمتهم منه.

وأما غير الكفر، فالكبائر منعها الجمهور، أما الصغائر عمداً فجوزه الجمهور إلّا الجبائي. أما صدور الصغائر سهواً فهو جائز اتفاقاً. (شرح المواقف ثان ص ٤٢٩ دستور العلماء ثان ص ٣٢٥).

والإيمان والطاعة بتوفيق الله تعالى، والكفر والمعصية بخذلانه.

والتوفيق عند خلق القدرة على الطاعة، والخذلان خلق القدرة على المعصية، وعند بعض أصحابه تيسير أسباب الخير هو التوفيق، وبضده الخذلان.

وما ورد به السمع من الأخبار عن الأمور الغائبة مثل القلم واللوح والعرش والكرسي والجنة والنار، فيجب إجراؤها على ظاهرها والإيمان بها كما جاءت، إذ لا استحالة في إثباتها، وما ورد من الأخبار عن الأمور المستقبلة في الآخرة، مثل سؤال القبر، والثواب، والعقاب فيه، ومثل الميزان، والحساب، والصراط. وانقسام الفريقين ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ [الشورى: ٧] حق، يجب الاعتراف به، واجراؤها على ظاهرها إذ لا استحالة في وجودها، والقرآن عنده معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة، إذ خير العرب بين السيف وبين المعارضة، فاختاروا أشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة.

ومن أصحابه من اعتقد أن الإعجاز في القرآن من جهة صرف [1] الدواعي، وهو المنع من المعتاد، ومن جهة الإخبار عن الغيب.

وقال الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار، دون النص والتعيين [2] إذ لو كان ثم نص لما خفي، والدواعي تتوافر على نقله.

(١) زعم النظام أن إعجاز القرآن، بالصرفة، أي أن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم لكن عاقهم أمر خارجي وقال المرتضى من الشيعة بل صرفهم بأن سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة، فهذا الصرف خارق للعادة فصار كسائر المعجزات، وهذا قول فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن﴾ الآية. فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله، ويلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي، وخلو القرآن من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول العظمى باقية، ولا معجزة له باقية على أنه لو كانوا صرفوا لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف لأنهم لم يتحدوا إليه، ولم تلزمهم حجته، فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم أن القول بالصرفة ظاهر البطلان، بله أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً وإنما يكون المنع معجزاً فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره، في نفسه وليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم أن الكل قادرون على الإتيان بمثله، وإنما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيب، لو تعلموه لوصلوا إليه به. (الاتقان ثان ص ١١٨ شرح المواقف ثان ص ٤٢١ إعجاز القرآن بهامش الاتقان أول ص ٤٥).

(٢) اختلف في طريق ثبوت الإمامة، من نص أو اختيار، فقال الجمهور الأعظم من أصحابنا ومن المعتزلة =

واتفقوا في سقيفة بني ساعدة على أبي بكر رضي الله عنه، ثم اتفقوا على عمر، بعد تعيين أبي بكر رضي الله عنهما، واتفقوا بعد الشورى على عثمان رضي الله عنه، واتفقوا بعده على عليّ رضي الله عنه، وهم مترتبون في الفضل ترتبهم في الإمامة.

وقال: لا نقول في عائشة وطلحة والزبير إلا أنهم رجعوا عن الخطأ وطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة، ولا نقول في معاوية وعمرو بن العاص إلا أنهما بغيا على الإمام الحق، فقاتلهم على مقاتلة أهل البغي.

وأهل النهروان فهم الشراة [1] المارقون عن الدين بخبر النبي ﷺ [2]، ولقد كان عليّ عليه السلام على الحق في جميع أحواله يدور الحق معه حيث دار.

= والخوارج والنجارية أن طريق ثبوتها الاختيار من الأمة باجتهاد أهل الاجتهاد منهم واختيارهم من يصلح لها وكان جائزاً ثبوتها بالنص غير أن النص لم يرد فيها على واحد بعينه فصارت الأمة فيها إلى الاختيار وزعمت الإمامية، والجارودية من الزيدية والراوندية من العباسية أن الإمامة طريقها النص من الله تعالى على لسان رسوله ﷺ على الإمام ثم نص الإمام على الامام بعده واختلف هؤلاء في علة وجوب النص عليه فمنهم من بناه على أصله في إبطال الاجتهاد، ومنهم من بناه على أصله في وجوب عصمة الإمام وزعم أن العصمة لا تعرف بالاجتهاد وإنما يعرف المعصوم بالنص، فأما البترية والجريرية من الزيدية فقد وافقوا الفريق الأول في الاختيار، وإنما خالفوهم في تعيين الأولى بالإمامة ودليل الجمهور أن النص على الإمام لو كان واجباً على الرسول ﷺ بيانه لبيّنه على وجه تعلمه الأمة علماً ظاهراً لا يختلفوا فيه، لأن فرض الإمامة يعم الكافة معرفته كمعرفة القبلة وإعداد الركعات، ولو وجد النص منه هكذا لنقلته الأمة بالتواتر ولعلموا صحته بالضرورة كما اضطروا إلى سائر ما تواتر الخبر فيه فلما كنا مع كثرة عددنا وزيادتنا على جميع فرق المدعين للنص غير مضطرين إلى العلم بذلك علمنا أن النص على واحد بعينه للإمامة لم يتواتر النقل، فيه وإنما روي فيه أخبار آحاد من جهة الروافض وليست لهم معرفة بشروط الأخبار ولا رواتهم ثقات، وبإزائها أخبار أشهر منها في النص على غير من يدعون النص عليه وكل منها غير موجب للعلم وإذا لم يكن فيه ما يوجب العلم صارت المسألة اجتهادية وصح فيها الاختيار والاجتهاد، (أصول الدين ص ٢٧٩).

(١) الشراة الخوارج، لشرتهم، على المسلمين، أما هم فقالوا لقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ أي يبيعها ويبذلها في الجهاد وثمنها الجنة، وقيل: لقولهم: إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله. أي بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة، والواحد شار، قال قطري بن الفجاءة، وهو خارجي:

رأت فئة باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

وقال عمرو بن هبيرة وهو من الخوارج:

إنا شرينا لدين الله أنفسنا نبغي بذاك لديه أعظم الجاه

(٢) قال علي عليه السلام: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ وآله فلئن أخرّ من السماء أحبّ إليّ من أن أكذب على رسول الله ﷺ، وإذا حدثتكم فيما بيننا عن نفسي فإن الحرب خدعة، وإنما أنا رجل محارب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام قولهم من خير أقوال أهل البرية، صلاتهم أكثر من صلاتكم، وقراءتهم أكثر من قراءتكم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من =

المشبهة

إن السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة في علم الله، ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين، ونصرهم جماعة من بني أمية على قولهم بالقدر، وجماعة من خلفاء بني العباس على قولهم بنفي الصفات، وخلق القرآن، تحيروا في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة، في متشابهات آيات الكتاب، وأخبار النبي ﷺ، فأما أحمد بن حنبل، وداود بن علي الأصفهاني، وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث، مثل مالك بن أنس، ومقاتل[1] بن سليمان وسلكوا طريق السلامة، فقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل، بعد أن نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات، وأن كل ما تمثل في الوهم فانه خالقه مقدره، وكانوا يحترزون عن التشبيه [2] إلى غاية أن قالوا من حرك يده عند قراءته ﴿ خلقت بيدي [3] ﴾ [ص : ٧٥] أو أشار بأصبعه عند روايته «قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن» وجب قطع يده وقلع إصبعه.

= الدين كما يمرق السهم من الرمية، فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة». (شرح ابن أبي الحديد أول ص ٢٠٢).

(١) أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي بالولاء، الخراساني المروزي أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدّث بها وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور، وأخذ الحديث عن مجاهد وعطاء وغيرهما وكان من العلماء الأجلّاء. قال الشافعي: الناس كلهم عيال على ثلاثة. على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الفقه. توفي بالبصرة سنة خمسين ومائة. (ابن خلكان ثان ص ١٤٧).

(٢) تعالى الله عن التشبيه، فالتشبيه يتنافى مع الألوهية، لأنه إذا كان له من خلقه سبيه وجب أن يجوز عليه من ذلك الوجه ما يجوز على شبيهه، وإذا جاز ذلك عليه لم يستحق اسم الإله كما لا يستحقه خلقه الذي شبه به، فيتبين أن اسم الإله والتشبيه لا يجتمعان، كما أن اسم الإله ونفي الإبداع عنه لا يأتلفان. (الأسماء والصفات ص ٩٧).

(٣) عن الحرث الهاشمي قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيده : خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي لا يسكنها مدمن خمر ولا ديّوث. فقالوا: يا رسول الله قد عرفنا مدمن خمر فما الديوث؟ قال ﷺ :«الذي ييسر لأهله السوء». هذا حديث مرسل وفيه أن ثبت دلالة على أن الكتب ههنا بمعنى الخلق، وإنما أراد خلق رسوم التوراة وهي حروفها؛ وأما المكتوب فهو كلام الله عز وجل، وهو صفة من صفات ذاته غير ما تبين منه، واليد لا تحمل على الجارحة. إذ تعالى الله عن أن يكون له جارحة واليد بمعنى القدرة، والنعمة وذكرت تشريفاً لشأن التوراة، وإعلاماً بغرس الكرامة لأهل الجنة. (الأسماء والصفات ص ٣١٨).

وقالوا: إنما توقفنا في تفسير الآية وتأويلها لأمرين:

أحدهما: المنع الوارد في التنزيل في قوله تعالى: ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران: ٧] فنحن نحترز من الزيغ.

والثاني: أن التأويل أمر مظنون بالأتفاق، والقول في صفات الباري تعالى بالظن غير جائز فربما أولنا الآية على غير مراد الباري تعالى فوقعنا في الزيغ، بل نقول: كما قال الرسخون في العلم، كل من عند ربنا آمنا بظاهره، وصدقنا بباطنه، ووكلنا علمه إلى الله تعالى، ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك، إذ ليس من شرائط الإيمان وأركانه.

واحتاط بعضهم أكثر احتياط، حتى لم يفسر اليد بالفارسية ولا الوجه ولا لاستواء ولا ما ورد من جنس ذلك، بل ان احتاج في ذكرها إلى عبارة عبر عنها بما ورد لفظاً بلفظ، فهذا هو طريق السلامة وليس هو من التشبيه في شيء، غير أن جماعة من الشيعة الغالية، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل الهشاميين من الشيعة، ومثل مضر وكهمس [١] وأحمد الهجيمي [٢] وغيرهم من أهل الشيعة قالوا، معبودهم صورة ذات أعضاء وأبعاض، أما روحانية أو جسمانية يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن.

فأما مشبهة الشيعة فستأتي مقالاتهم في باب الغلاة. وأما مشبهة الحشوية فذكر الأشعري عن محمد بن عيسى، أنه حكى عن مضر وكهمس وأحمد الهجيمي، أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة. وأن المخلصين من المسلمين يعاينونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا من الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض، وحكي عن داود [٣] الجواربي أنه قال: أعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء

---

(١) الظاهر أنه كهمس بن المنهال السدوسي أبو عثمان البصري اللؤلؤي، وكان قدرياً ضعيفاً لم يحدث عنه الثقات. (تهذيب التهذيب ثامن ص ٤٥١).

(٢) أحمد بن عطاء الهجيمي البصري كان داعية إلى القدر متعبداً مغفلاً. (لسان الميزان أول ص ٢٢١).

(٣) داود الجواربي رأس الرافضة والتجسيم من مرامي جهنم. قال يزيد بن هارون: الجواربي، والمريسي كافران، وإنما داود عبر جسر واسط فانقطع الجسر فغرق من مكان عليه فخرج شيطان وقال: أنا داود الجواربي، وحكى عنه الردار التشبيه وقد أخذ داود عن هشام الجواليقي وأخذ قوله أن معبوده له جميع أعضاء الانسان إلا الفرج واللحية. (لسان الميزان ثان ص ٤٢٧ إنتصار ص ٦٧).

ذلك، وقال: أن معبودهم جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين وأذنين، ومع ذلك جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم، ودم لا كالدماء، وكذلك سائر الصفات، وهو لا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء.

وحكى عنه أنه قال: هو أجوف من أعلاه إلى صدره، مصمت ما سوى ذلك، وأن له وفرة سوداء، وله شعر قطط، وأما ما ورد في التنزيل من الإستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والإتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها أعني ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام، وكذلك ما ورد في الأخبار من الصورة في قوله عليه السلام: «خلق آدم على صورة الرحمن [1]» وقوله: «حتى يضع الجبار قدمه في النار» [2]

---

(١) عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ: «لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن». ذهب بعض أهل النظر إلى أن الصور كلها لله تعالى على معنى الملك والفعل ثم ورد التخصيص في بعضها بالاضافة تشريفاً وتكريماً كما يقال ناقة الله، وبيت الله، ومسجد الله، وعبّر بعضهم بأنه سبحانه ابتداء صورة آدم لا على مثال سبق، ثم اخترع من بعده على مثاله فخص بالاضافة، والله أعلم. (الأسماء والصفات ص ٢٩١).

(٢) عن أنس: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط، وعزتك ويزوي بعضها إلى بعض ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله خلقاً فيسكنه فضول الجنة». وفي رواية حتى يضع فيها رب العالمين قدمه، وأخرى: حتى ينشىء الله عليها قدمه، وأخرى: حتى يضع الرب قدمه، وأخرى: حتى يضع الله فيها رجله، قال أبو سليمان: وذكر القدم ههنا يحتمل أن يكون المراد به من قدمهم الله للنار من أهلها فيقع بهم استيفاء عدد أهل النار وكل شيء قدمته فهو قدم، كما قيل لما هدمته هدم ولما قبضته قبض، ومن هذا قوله عز وجل: ﴿أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾، أي ما قدموه من الأعمال الصالحة ويؤيده قوله في الحديث: وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقاً، فاتفق المعنيان أن كل واحدة من الجنة والنار تمد بزيادة عدد يستوفي عدة أهلها فتمتلىء عند ذلك، وثمت وجه آخر وهو أن هذه الأسماء مثال يراد بها إثبات معان لا حظ لظاهر الأسماء فيها من طريق الحقيقة وإنما أريد بوضع الرجل عليها نوع من الزجر لها والتسكين من غربها كما يقول القائل للشيء يويد محوه وإبطاله جعلته تحت رجلي ووضعته تحت قدمي. وخطب رسول الله ﷺ عام الفتح فقال: «ألا إن كل دم ومأثرة في الجاهلية فهو تحت قدمي هاتين إلا سقاية الحاج وسدانة البيت»، يريد محو تلك المآثر وإبطالها. وفي أساس البلاغة فيضع قدمه عليها، فيسكنها ويكسر سورتها كما يضع الرجل قدمه على الشيء المضطرب فيسكنه وفي الفائق؛ فيضع قدمه عليها، وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع فكأنه قال يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع وما أكثر ما تضرب العرب الأمثال في كلامها بأسماء الأعضاء وهي لا تريد أعيانها، كما تقول في الرجل يسبق منه القول أو الفعل ثم يندم عليه قد سقط في يده، أي ندم وقام على رجل، وقام على ساق إذا جدّ في الطلب، فما ذكر ليست إلا أمثالاً، والأصل أن نجربها على ظاهرها من غير تكييف ولا تشبيه وبالله العصمة، ونسأله التوفيق والسداد. (الأسماء والصفات ص ٣٤٨ أساس البلاغة ثان ص ١٣٢ الفائق ثان ص ١٥٧).

وقوله: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن [1]» وقوله: «خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً» [2] وقوله: « وضع يده أو كفه على كتفي» وقوله: «حتى وجدت برد أنامله على كتفي[3] »إلى غير ذلك أجروها على ما يتعارف في صفات الأجسام وزادوا في

---

(١) قال ﷺ: «إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عز وجل، يصرفه كما يشاء»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا إلى طاعتك»، وفي أخرى: وقلب ابن آدم؛ وفي أخرى: أن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين، وثمت روايات أخرى. قال أبو حاتم: ومعناه أنهم تحت قدرته وملكه، وخصت القلوب بالذكر لأن الله تعالى جعل القلوب محلاً للخواطر والارادات والعزوم والنيات وهي مقدمات الأفعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة لها في الحركات والسكنات ودلّ بذلك على أن أفعالنا مقدورة لله تعالى مخلوقة لا يقع شيء دون إرادته ومثل لأصحابه قدرته القديمة بأوضح ما يعقلون من أنفسهم لأن المرء لا يكون أقدر على شيء منه على ما بين إصبعيه، ويحتمل أنها بين نعمتي النفع والدفع أو بين أثريه في الفضل والعدل يؤيده أن في بعض هذه الأخبار، إذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه، ويوضحه قوله في سياق الخبر: «يا مقلب القلوب ثبّت قلبي». وإنما ثنّى لفظ الإصبعين والقدرة واحدة لأنه على المعهود من لفظ المثل، وزاد عليه غيره في تأكيد التأويل الأول بقولهم ما فلان إلا في يدي، وما فلان إلا في كفي، وما فلان إلا في خنصري يريد بذلك إثبات قدرته عليه، لا أن خنصره يحوي فلاناً وكيف يحويه وهي بعض من جسده، وقد يكون فلان أشد بطشاً وأعظم منه جسماً. (الأسماء والصفات ص ٣٤١).

(٢) عن سلمان. قال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى خمّر طينة آدم عليه السلام أربعين يوماً، ثم ضرب بيده فما كان من طيب خرج بيمينه، وما كان من خبيث خرج بيده الأخرى ثم خلطه فمن ثم يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، »، قيل: إن سلمان أخذ أمثال هذا من أهل الكتاب حتى أسلم بعده؛ وروي من وجه آخر ضعيف مرفوعاً وتعالى الله عن التبعيض وليس معنى اليد الجارحة وإنما هو صفة جاء بها التوقيف، فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها، واليد بمعنى القدرة والنعمة، أو أن يحمل ذلك على صفة تعلقت بخلق آدم تشريفاً له، فتعلقت بخلقه قدرته لا من طريق المباشرة، ولا من حيث المماسة. (الأسماء والصفات ص ٣٢٧).

(٣) قال عبد الرحمن بن عائش الحضرمي؛ صلى بنا رسول الله ﷺ ذات غداة فقال له قائل: ما رأيتك أصفر وجهاً منك الغداة. فقال: «ما لي وقد تبدّى لي ربي في أحسن صورة قال: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قال: قلت أنت أعلم أي رب، قال: فيمَ يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم أي رب. فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثندوتي فعلمت ما في السماء والأرض، وتلا هذه الآية: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾قال: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: في الكفارات رب، قال: وما هن؟ قلت: المشي على الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد خلاف الصلوات وأسباغ الوضوء في المكاره. قال من يفعل يعش بخير ويمت بخير ويكن من خطيئته كيوم ولدته أمه. ومن الدرجات إطعام الطعام وبذل السلام وأن تقوم بالليل والناس نيام. سل تعطه. قلت: اللهم إني أسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تتوب عليّ وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون فتبلموهن فوالذي نفسي بيده أنهن لحق». وقد روي بروايات أخرى، وأن ذلك كان في النوم ثم تأويله على وجهين.

أحدهما: أن يكون معناه وأنا في أحسن صورة كأنه زاده كمالاً وحسناً، وتغير بعده لشدة الوحي.

والثاني: أنه بمعنى الصفة، ومعناه أنه تلقاه بالإكرام، وأما فوضع كفه، وفي رواية يده فتأويله إكرام الله إياه =

الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي عليه السلام، وأكثرها مقتبسة من اليهود، فان التشبيه فيهم طباع حتى قالوا اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت [1] عيناه، وان العرش ليئط من تحته كأطيط الرجل الجديد، [2] وإنه ليفضل من كل جانب أربعة أصابع.

وروى المشبهة عن النبي عليه السلام أنه قال: «لقيني ربي فصافحني وكافحني ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله» وزادوا على التشبيه قولهم في القرآن: ان الحروف والأصوات والرقوم المكتوبة قديمة أزلية، وقالوا: لا يعقل كلام ليس بحرف ولا كلمة واستدلوا فيه بأخبار، منها ما روي عن النبي عليه السلام: «ينادي الله تعالى يوم القيامة بصوت يسمعه الأولون والآخرون» ورووا أن موسى عليه السلام كان يسمع كلام

= وإنعامه عليه حتى وجد برد النعمة. يعني روحها وأثرها في قلبه، فعلم ما في السماء والأرض، وأنه تعالى لا تجوز عليه ولا على صفاته مماسة أو مباشرة تعالى الله علواً كبيراً. وفي ثبوت هذا الحديث نظر، والله أعلم. (الأسماء والصفات ص ٢٩٩).

(١) أن قول اليهود حتى رمدت عيناه، تشبيه وقول منكر. بل هو كفر. وقد ثبتت العين من حيث أنها صفة لا من حيث الحدقة. قال الله عز وجل: ﴿ولتصنع على عيني﴾. وقال تعالى: ﴿فإنك بأعيننا﴾ ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ فتحمل العين على الرؤية أو الحفظ والكلاءة، وقد اتفق المسلمون على تنزيه الله سبحانه عن مشابهة خلقه، وليس بنا إلا التنزيه والتفويض، أو التنزيه مع التأويل، ولقد قال سفيان بن عيينة ما وصف الله تبارك وتعالى بنفسه في كتابه فقراءته تفسيره، ليس لأحد أن يفسره بالعربية ولا بالفارسية. (الأسماء والصفات ص ٣١٢).

(٢) عن جبير بن مطعم قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله نهكت الأنفس وجاعت العيال وهلكت الأموال استسق لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله تعالى، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه رضي الله عنهم فقال: ويحك أتدري ما الله، إن شأنه أعظم من أنه لا يستشفع به على أحد إنه لفوق سمواته على عرشه وإنه عليه لهكذا (إشارة بيده مثل القبة) وإنه ليئط به أطيط الرجل بالراكب، ». والتشبه بالقبة إنما وقع للعرش وهذا الكلام إذا جرى على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية والكيفية عن الله تعالى وعن صفاته منفية، فعقل أن ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله وجلاله، جل جلاله سبحانه وإنما قصد به إبهام السائل من حيث يدركه فهمه إذ كا أعرابياً جلفاً لا علم له لمعاني ما دقّ من الكلام وما لطف منه عن درك الافهام، وفي الكلام حذف وإضمار فمعنى قوله: أتدري ما الله فمعناه أتدري ما عظمة الله وجلاله، وقوله: إنه ليئط به، معناه أنه ليعجز عن جلاله وعظمته حتى يئط به إذا كان معلوماً أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه ولعجزه عن احتماله؛ فقرر لهذا النوع من التمثيل عنده معنى عظمة الله وجلاله وارتفاع عرشه ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن وجلالة القدر وفخامة الذكر لا يجعل شفيعاً إلى من هو دونه في القدر وأسفل منه في الدرجة، تعالى الله أن يكون مشبهاً بشيء، أو مكيفاً بصورة خلق أو مدركاً بحس. ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. (الأسماء والصفات ص ٤١٧).

الله كجر السلاسل، وقالوا: أجمعت السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال هو مخلوق فهو كافر بالله، ولا نعرف من القرآن إلا ما هو بين أظهرنا فنسمعه ونقرؤه ونكتبه، والمخالفون، أما المعتزلة فوافقونا على أن هذا الذي في أيدينا كلام الله وخالفونا في القدم، وهم محجوجون أيضاً باجماع الأمة.

وأما الأشعرية فوافقونا عَلَى أن القرآن قديم، وخالفونا في أن الذي في أيدينا ليس في الحقيقة كلام الله، وهم محجوجون أيضاً باجماع الأمة أن المشار إليه هو كلام الله، فأما اثبات كلام هو صفة قائمة بذات الباري تعالى لا نبصرها ولا نكتبها نقرؤها ولا نسمعها، فهو مخالفة الإجماع من كل وجه، فنحن [1] نعتقد أن ما بين الدفتين كلام الله أنزله عَلَى لسان جبريل عليه السلام فهو المكتوب في المصاحف وهو في اللوح المحفوظ، وهو الذي يسمعه المؤمنون في الجنة من الباري تعالى، بغير حجاب ولا واسطة، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ سلام قولا من رب رحيم﴾ [يس: ٥٨] وهو قوله تعالى لموسى: ﴿ إني أنا الله رب العالمين﴾ [القصص: ٣٠] ومناجاته من غير واسطة حين قال: ﴿ وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء: ١٦٤] قال: ﴿وأني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي [2] ﴾ [الأعراف: ١٤٤] وروي عن النبي عليه السلام أنه قال:

---

(١) قال الله جل ثناؤه: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾، وقال تعالى﴿ والطور وكتاب مسطور في رق منشور﴾ وقال جل وعلا: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ وقال: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ﴾ وقال عز وجل: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ فالقرآن الذي نتلوه كلام الله تعالى وهو متلو بألسنتنا على الحقيقة مكتوب في مصاحفنا محفوظ في صدورنا مسموع بأسماعنا غير حال في شيء منها إذ هو صفات ذاته غير بائن منه، وهو كما أن الباري عز وجل معلوم بقلوبنا مذكور بألسنتنا مكتوب في كتبنا معبود في مساجدنا مسموع بأسماعنا غير حال في شيء منها، وأما قراءتنا وكتابتنا وحفظنا فهي من اكتسابنا وأكسابنا مخلوق لا شك فيه. قال الله عز وجل: ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾، وسمى رسول الله ﷺ تلاوة القرآن فعلاً وقد قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن يتلوه أناء الليل والنهار فيقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل، ورجل أتاه الله مالاً فهو ينفقه في حقه فيقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا عملت مثل ما يعمل، ولولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد أن يتكلم به». والقرآن كلام الله تعالى، وصفة من صفات ذاته ليس شيء من كلامه خلقاً ولا مخلوقاً ولا فعلاً ولا مفعولاً ولا محدثاً ولا حدثاً ولا إحداثاً (الأسماء والصفات ص ٢٥٨).

(٢) فهذا كلام سمعه موسى عليه السلام، بأسماع الحق إياه، بلا ترجمان بينه وبينه، دله بذلك على رُبوبيته؛ ودعاه إلى وحدانيته، وأمره بعبادته وإقامة الصلاة لذكره، وأخبره أنه اصطنعه لنفسه، واصطفاه برسالته وبكلامه وأنه مبعوث إلى الخلق بأمره (الأسماء والصفات ص ١٩٠).

«إن الله تعالى كتب التوراة بيده وخلق جنة عدن بيده، وخلق آدم بيده» وفي التنزيل: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ [الأعراف: ١٤٥].

قالوا: فنحن لا نريد من أنفسنا شيئاً، ولا نتدارك بعقولنا أمراً لم يتعرض له السلف، قالوا: ما بين الدفتين كلام الله، قلنا: هو كذلك واستشهدوا عليه بقوله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام [١] الله﴾ [التوبة: ٦] ومن المعلوم أنه ما سمع إلا هذا الذي نقرؤه، وقال: ﴿إنه لقرآن كريم[٢] في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيلٌ من رب العالمين﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٨٠] وقال: ﴿في صحُف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة﴾ [عبس؛ ١٣ ـ ١٦][٣] وقال: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدْر﴾[٤] [القدر: ١] وقال: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾[٥] [البقرة: ١٨٥] إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) يقول إنسان يأتي، فيسمع ما تقول ويسمع ما أنزل الله فهو آمن حتى يسمع كلام الله عز وجل وحتى يبلغ مأمنه من حيث جاء، وفي هذه الآية دلالة على بطلان من قال المعارف ضرورية وفي الآية دلالة على أن المتلو والمسموع كلام الله لأن الشرع والعرف جعلا الحكاية كعين المحكي، وقال البخاري: فأما القرآن المتلو المثبت في المصاحف المسطور في المكتوب، الموعى في القلوب فهو كلام الله تعالى ليس بمخلوق. قال الله عز وجل: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾، (مجمع البيان ثالث ص٦ والأسماء والصفات ص ٢٦٠).

(٢) أن الذي تلونا عليك لقرآن كريم، عام المنافع كثير الخير ينال الأجر العظيم بتلاوته والعمل بما فيه وقيل كريم عند الله تعالى أكرمه الله تعالى وأعزه لأنه كلامه، وقيل: كريم لأن كلام رب العزة ولأنه محفوظ عن التغيير والتبديل ولأنه معجز ولأنه يشتمل على الأحكام والمواعظ وكل جليل وخطير وعزيز فهو كريم، وهذا القرآن منزل من عند الله تعالى. (مجمع البيان خامس ص ٢٢٦).

(٣) أخبر سبحانه بجلالة قدر القرآن عنده فقال في صحف مكرمة أي هذا القرآن في كتب معظمة عند الله وهي اللوح المحفوظ مرفوعة في السماء السابعة، أو رفعها الله عن دنس الأنجاس مطهرة من الشك والشبهة والتناقض، ومن كل دنس، بأيدي سفرة، كتبة الملائكة، وقيل: السفراء بالوحي بين الله تعالى وبين رسله، كرام على ربهم، بررة مطيعين، صالحين متقين، كرام عن المعاصي يرفعون أنفسهم عنها. (مجمع البيان خامس ص ٤٣٨).

(٤) أنزل الله القرآن في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله جبريل على محمد ﷺ نجوماً، أو ابتدأ إنزاله ليلة القدر وقال مقاتل: أنزله من اللوح المحفوظ إلى السفرة وهم الكتبة من الملائكة في السماء الدنيا وكان ينزل ليلة القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبريل على النبي ﷺ في السنة كلها إلى مثلها من القابل. (مجمع البيان خامس ص ٥١٨).

(٥) شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، الذي عليه مدار الدين، والإيمان هادياً للناس، ودالاً لهم على ما كلفوه من العلوم، وهذه الآية وما ذكر من آيات فيها دلالة على أن ما نزل، وما نتلوه، هو كلام الله عز وجل، تنطق =

ومن المشبهة من مال إلى مذهب الحلولية، وقال يجوز أن يظهر الباري تعالى بصورة شخص كما كان جبريل عليه السلام ينزل في صورة أعرابي، وقد تمثل لمريم عليها السلام بشراً سويا، وعليه حمل قول النبي ﷺ : «لقيت ربي في أحسن صورة [1] » وفي التوراة عن موسى عليه السلام شافهت الله تعالى فقال لي كذا.

والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول، ثم الحلول قد يكون بجزء وقد يكون بكل على ما سيأتي تفصيل مذاهبهم إن شاء الله تعالى.

الكرامية [2]

أصحاب أبي عبد الله بن محمد بن كرام، إنما عددناه من الصفاتية فانه كان ممن يثبت الصفات، إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه ، وقد ذكرنا كيفية خروجه وانتسابه إلى أهل السنة، وهم طوائف يبلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة، وأصولها ستة، العابدية والنونية والزرينية والإسحاقية والواحدية، وأقربهم الهيصمية، ولكل واحد منهم رأي إلا أنه لم يصدر ذلك عن علماء معتبرين، بل عن سفهاء أغتام جاهلين ، فلم نفردها مذهباً، وأوردنا مذهب صاحب المقالة، وأشرنا ألى ما يتفرع منه، نص أبو عبد الله على أن معبوده على العرش استفراراً، وعلى أنه بجهة فوق ذاتاً، وأطلق عليه اسم الجوهر، فقال في كتابه المسمى عذاب القبر، انه أحدي الذات أحدي الجوهر، وأنه مماس للعرش من الصفحة العليا، وجوز الانتقال والتحول والنزول، ومنهم من قال انه على بعض أجزاء العرش، وقال بعضهم امتلأ العرش به، وصار المتأخرون منهم إلى أنه تعالى بجهة فوق

= به ألسنتا، ويسطر في مصاحفنا ويحفظ في صدورنا، ويسمع بأسماعنا. وهو غير مخلوق، وهو كلام الله الذي يسره على لسان خلقه ولولا أنه يسره ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله عز وجل.

(١) عن ابن عباس، قال فيه أحسبه يعني في المنام ووردت روايات دالة على أن ذلك كان في النوم، ثم تأويله عند أهل النظر على وجهين. أحدهما أن يكون معناه وأنا في أحسن صورة، كأنه زاده كمالاً وحسناً وجمالاً عند رؤيته، والثاني: أنه بمعنى الصفة ومعناه أنه يلقاه بالإكرام والاجمال، وفي ثبوت هذا الحديث نظر والله أعلم. (الأسماء والصفات ص ٣٠٠).

(٢) زعيمهم محمد بن كرام كان من سجستان فنفي عنها فوقع في غرجستان فاغتر بظاهر عبادته أهل شومين وافشين وانخدعوا بنفاقه وبايعوه على خرافاته وخرج معه قوم إلى نيسابور في أيام محمد بن طاهر بن عبد الله فاغتر بما كان يريه من زهده جماعة من أهل السواد فدعاهم إلى بدعه وأفشى فيهم ضلالاته واتبع بها قوم من أتباعه وتمردوا على نصرة جهالاته وما أحدثه من البدع في الإسلام أكثر من أن يمكن جمعه في هذا المختصر. (التبصير ص ٦٥).

ومحاذ للعرش ثم اختلفوا فقال العابدية أن بينه وبين العرش من العبد والمسافة ما لو قدر مشغولاً بالجواهر لاتصلت به.

وقال محمد بن الهيصم [1] أن بينه وبين العرش بعداً لا يتناهى وأنه مباين للعالم بينونة أزلية، ونفى التحيز والمحاذاة وأثبت الفوقية والمباينة وأطلق أكثرهم لفظ الجسم عليه، والمقاربون منهم قالوا: يعني بكونه جسماً، أنه قائم بذاته، وهذا هو حد الجسم عندهم، وبنوا على هذا أن من حكم على القائمين بأنفسهما أن يكونا متجاورين أو متباينين فقضى بعضهم التجاور مع العرش، وحكم بعضهم بالتباين، وربما قالوا: كل موجودين، فإما أن يكون أحدهما بحيث الآخر كالعرض مع الجوهر وإما أن يكون بجهة منه، والباري تعالى ليس بعرض، إذ هو قائم بنفسه، فيجب أن يكون بجهة من العالم، ثم أعلى الجهات وأشرفها جهة فوق، فقلنا هو بجهة فوق بالذات، حتى إذا رؤي من تلك الجهة [2].

ثم لهم اختلاف في النهاية، فمن المجسمة من أثبت النهاية له من ست جهات، ومنهم من أثبت النهاية من جهة تحت، ومنهم من أنكر النهاية، فقال: هو عظيم، ولهم

---

(١) محمد بن الهيصم، متكلم الكرامية، وقد ذهب إلى أنه تعالى ذات موجودة منفردة بنفسها عن سائر الموجودات لا تحل شيئاً حلول الاعراض ولا تمازج شيئاً ممازجة الأجسام بل هو مباين للمخلوقين إلا أنه في جهة فوق بينه وبين العرش بعد لا يتناهى، هكذا يحكي المتكلمون عنه ولم أره في شيء من تصانيفه وأحالوا ذلك لأن ما لا يتناهى لا يكون محصوراً بين حاصرين وأنا أستبعد عنه هذه الحكاية لأنه كان أذكى من أن يذهب عليه فساد هذا القول. (ابن أبي الحديد أول ص ٢٩١).

(٢) ذكر ابن كرام في كتابه عذاب القبر، أنه تعالى مماس للعرش والعرش مكان له ولما نظر أتباعه إليه فرّوا مما فيه من الشنعة فقالوا: لا نقول أنه مماس للعرش وليت شعري أي تفرقة بينهما لولا غباوة الخلق وغفلتهم عن التحقيق، وسأل أتباع الكرامية في مجلس محمود بن سبكتكين سلطان زمانه، رحمه الله، إمام زمانه أبا إسحاق الاسفرايني رحمه الله عن هذه المسألة، فقال: هل يجوز أن يقال الله سبحانه وتعالى على العرش، وأن العرش مكان له؟ فقال: لا، وأخرج يديه، ووضع إحدى كفيه على الأخرى وقال: كون الشيء يكون هكذا ثم لا يخلو أن يكون مثله؛ وأن يكون أكبر منه أو أصغر منه، فلا بد من مخصص خصه، وكل مخصوص يتناهى، والمتناهى لا يكون إلهاً مخصصاً ومنتهى، وذلك علم الحدوث فلم يمكنهم أن يجيبوا عنه فأغروا بهم رعاعهم، حتى دفعهم عنه السلطان بنفسه، فلما دخل عليه وزيره أبو العباس الاسفرايني قال له محمود: أين كنت؟ بلديك هذا قد حطم معبود الكراميين على رؤوسهم، ولما ورد عليهم هذا الإلزام تحيروا فقال قوم منهم: إنه أكبر من العرش. وقال قوم: إنه مثل العرش، وارتكب ابن المهاجر منهم قوله إن عرضه عرض العرش، وهذه الأقوال كلها متضمنة لإثبات النهاية وذلك علم الحدوث لا يجوز أن يوصف به صانع العالم. (التبصير ص ٦٦).

في معنى العظمة خلاف، فقال: بعضهم: معنى عظمته أنه مع وحدته على جميع أجزاء العرش، والعرش تحته، وهو فوق، كله على الوجه الذي هو فوق جزء منه، وقال بعضهم: معنى عظمته أنه يلاقي مع وحدته من جهة واحدة أكثر من واحد، وهو يلاقي جميع أجزاء العرش وهو العلي العظيم.

ومن مذهبهم جميعاً قيام كثير من الحوادث بذات الباري تعالى، ومن أصلهم أن ما يحدث في ذاته، إنما يحدث بقدرته وما يحدث مبايناً لذاته فإنما يحدث بواسطة الأحداث، ويعنون بالأحداث الإيجاد والإعدام الواقعين في ذاته بقدرته من الأقوال والإرادات، ويعنون بالمحدث ما باين ذاته من الجواهر والأعراض، فيفرقون بين الخلق والمخلوق، والإيجاد، والموجود، والموجد، وكذلك بين الاعدام، والمعدوم، فالمخلوق إنما يقع بالخلق، والخلق يقع في ذاته بالقدرة، والمعدوم إنما يصير معدوماً بالإعدام الواقع في ذاته بالقدرة، وزعموا أن في ذاته سبحانه حوادث كثيرة مثل الأخبار عن الأمور الماضية، والآتية، والكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام، والقصص والوعد والوعيد، والأحكام، ومن ذلك التسمعات والتبصرات، فيما يجوز أن يسمع ويبصر، والإيجاد والإعدام هو القول والإرادة، وذلك قوله كن للشيء الذي يريد كونه، وإرادته لوجود ذلك الشيء، وقوله للشيء كن صورتان.

وفسر محمد بن الهصيم الإيجاد والإعدام بالإرادة والإيثار، قال: وذلك مشروط بالقول شرعاً إذ ورد في التنزيل: ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠] وقوله: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون [١]﴾ [يس: ٨٢].

وعلى قول الأكثرين منهم، الخلق عبارة عن القول والإرادة، ثم اختلفوا في التفصيل، فقال بعضهم: لكل موجود إيجاد. ولكل معدوم إعدام، وقال بعضهم: إيجاد واحد يصلح لموجودين، إذا كانا من جنس واحد، وإذا اختلف الجنس تعدد الإيجاد، وألزم بعضهم لو افتقر كل موجود، أو كل جنس إلى إيجاد فليفتقر كل إيجاد إلى قدرة،

---

(١) أي نأمر به مرة واحدة فإذا هو كائن كما قال الشاعر:

إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له كن فيكون

أي أنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به فإنه تعالى لا يمانع ولا يخالف لأنه الواحد القهار. (ابن كثير ثان ص ٦٥٩).

فالتزم تعدد القدرة تعدد الإيجاد، قال بعضهم أيضاً: تتعدد القدرة بتعدد الأجناس المحدثات، وأكثرهم على أنها تتعدد بتعدد أجناس الحوادث التي تحدث في ذاته، من الكاف والنون، والإرادة والتسمع والتبصر وهي خمسة أجناس.

ومنهم من فسر السمع والبصر بالقدرة على التسمع والتبصر، ومنهم من أثبت لله تعالى السمع والبصر أزلاً، والتسمعات والتبصرات هي إضافة المدركات إليهما، وقد أثبتوا لله تعالى مشيئة قديمة متعلقة بأصول المحدثات وبالحوادث التي تحدث في ذاته، وأثبتوا إرادات حادثة تتعلق بتفاصيل المحدثات، وأجمعوا على أن الحوادث لا توجب لله تعالى وصفاً ولا هي صفات له، فتحدث في ذاته هذه الحوادث من الأقوال والإرادات والتسمعات والتبصرات، ولا يصير بها قائلاً ولا مريداً ولا سميعاً ولا بصيراً، ولا يصير بخلق هذه الحوادث محدثاً ولا خالقاً، وإنما هو قائل بقائليته، وخالق بخالقيته. ومريد بمريديته، [1] وذلك قدرته على هذه الأشياء.

ومن أصلهم أن الحوادث التي يحدثها في ذاته واجب البقاء، حتى يستحيل عدمها إذ لو جاز عليها العدم لتعاقب على ذاته الحوادث ولشارك الجوهر في هذه القضية، وأيضاً فلو قدر عدمها فلا يخلو إما أن يقدر عدمها بالقدرة، وإما بإعدام يخلقه في ذاته، ولا يجوز أن يكون عدمها بالقدرة، لأنه يؤدي إلى ثبوت المعدوم في ذاته، وشرط الموجد والمعدم أن يكونا متباينين لذاته، ولو جاز وقوع معدم في ذاته بالقدرة من غير واسطة إعدام، لجاز حصول سائر المعدومات، ثم يجب طرد ذلك في الموجد، حتى يجوز وقوع موجد محدث في ذاته، وذلك محال عندهم، ولو فرض انعدامها بالإعدام لجاز تقديم عدم ذلك الإعدام فيتسلسل، فارتكبوا لهذا التحكم استحالة عدم ما يحدث في ذاته.

ومن أصلهم أن المحدث إنما يحدث في ثاني حال ثبوت الأحداث بلا فصل، ولا أثر للأحداث في حال بقائه.

---

(١) زعموا أن كل اسم يشتق له من أفعاله، كان ذلك الاسم ثابتاً في الأزل مثل الخالق والرازق والمنعم، وقالوا: إنه كان خالقاً قبل أن خلق، إذ هو خالق بخالقيته، ثم طردوا فقالوا عالم بعالمية قادر بقادرية لا يعلم ولا بقدرة وإن كان له علم وقدرة وعجب، ما ابتدعوه، من قائليه وخالقيه ومريديه، فقد أحدثوا ألفاظاً لم يتكلم بها عربي ولا عجمي، والأعجب أن زعيمهم ذكر في كتاب عذاب القبر، كيفوفية الله، وليت شعري كيف أطلق الكيف عليه وكأنه أراد أن يخترع لفظة تساير عقله المضطرب، وتدل على ضلالته وجهالته. (التبصير ص ٦٧).

ومن أصلهم أن ما يحدث في ذاته من الأمر فمنقسم إلى أمر التكوين، وهو فعل يقع تحته المفعول، وإلى ما ليس أمر التكوين، وذلك اما خبر، وأما أمر التكليف، ونهي التكليف، وهي أفعال من حيث دلت على القدرة، ولا يقع تحتها مفعولات ، هذا هو تفصيل مذاهبهم في محل الحوادث، وقد اجتهد ابن الهيصم في ارمام مقالة أبي عبد الله في كل مسألة، حتى ردها من المحال الفاحش إلى نوع يفهم فيما بين العقلاء ، مثل التجسيم، فانه أراد بالجسم القائم بالذات، ومثل الفوقية، فانه حملها على العلو، وأثبت البيونة غير المتناهية وذلك الخلاء الذي أثبتها بعض الفلاسفة، ومثل الاستواء فانه نفي المجاورة والمماسة والتمكن بالذات، غير مسألة محل الحوادث، فانها ما قبلت المرمة فالتزمها كما ذكرنا، وهي من أشنع المحالات عقلاً، وعند القوم أن الحوادث تزيد على عدد المحدثات بكثير، فيكون في ذاته أكثر من عدد المحدثات عوالم من الحوادث، وذلك محال شنيع، ومما أجمعوا عليه من اثبات الصفات قولهم، الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة، حي بحياة، شاء بمشيئة، وجميع هذه الصفات قديمة أزلية قائمة بذاته وربما زادوا السمع والبصر كما أثبته الأشعري، وربما زادوا اليدين والوجه صفات قائمة به، وقالوا له يد لا كالأيدي، ووجه لا كالوجوه [1] وأثبتوا جواز رؤيته من جهة فوق، دون سائر الجهات، وزعم ابن الهيصم أن الذي أطلقه المشبهة على الله عز وجل من الهيئة، والصورة والجوف، والاستدارة والوفرة والمصافحة ونحو ذلك لا يشبه سائر ما أطلقه الكرامية، من أنه خلق آدم بيده، وأنه استوى على عرشه، وأنه يجيء يوم القيامة المحاسبة الخلق، وذلك أنا لا نعتقد من ذلك شيئاً على معنى فاسد، من جارحتين وعضوين تفسيراً لليدين ولا مطابقة المكان واستقلال العرش بالرحمن تفسيراً للاستواء ولا تردداً في الأماكن التي تحيط به تفسيراً للمجيء وإنما ذهبنا في ذلك إلى إطلاق ما أطلقه القرآن فقط، من غير تكييف (ولا) تشبيه، وما لم يرد به القرآن والخبر،

---

(١) أطلقت الكرامية عليه سبحانه، لفظ اليدين والوجه، وقالوا: لا نتجاوز الاطلاق ولا نفسر ذلك ولا نتأوله وإنما نقتصر على إطلاق ما ورد به النص وأثبت الأشعري اليدين صفة قائمة بالباري سبحانه وكذلك الوجه من غير تجسيم؛ وقالت المجسمة: إن لله تعالى يدين هما عضوان له وكذلك الوجه والعين وأثبتوا له رجلين قد فضلتا عن عرشه، وساقين يكشف عنهما يوم القيامة، وقد يضعها في جهنم فتمتلىء، وأثبتوا ذلك معنى لا لفظاً وحقيقة لا مجازاً، فأما أحمد بن حنبل فلم يثبت عنه تشبيه ولا تجسيم أصلاً، وإنما كان يقول بترك التأويل فقط، ويطلق ما أطلقه الكتاب والسنّة، ولا يخوض في تأويله، ويقف على قول الله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ وأكثر المحصلين من أصحابه على هذا القول. (ابن أبي الحديد أول ص ٢٩٥).

فلا نطلقه كما أطلقه سائر المشبهة والمجسمة. وقال الباري تعالى. عالم في الأزل بما سيكون على الوجه الذي سيكون ، وشاء لتنفيذ علمه في معلوماته، فلا ينقلب علمه جهلاً، ومريد لما يخلق في الوقت الذي بإرادة حادثة، وقائل لكل ما يحدث بقوله: كن حتى يحدث، وهو الفرق بين الأحداث والمحدث، والخلق والمخلوق [1].

وقال نحن نثبت القدر خيره وشره من الله تعالى، وأنه أراد الكائنات كلها خيرها وشرها، وخلق الموجودات حسنها وقبيحها ونثبت للعبد فعلاً بالقدرة الحادثة، نسمي ذلك كسباً، والقدرة الحادثة مؤثرة في اثبات فائدة زائدة، على كونه مفعولاً مخلوقاً للباري تعالى، تلك الفائدة هي مورد التكليف، والمورد هو المقابل بالثواب والعقاب.

واتفقوا على أن العقل يحسن ويقبح قبل الشرع، وتجب معرفة الله تعالى بالعقل كما قالت المعتزلة، إلا أنهم لم يثبتوا رعاية الصلاح والأصلح واللطف عقلاً كما قالت المعتزلة، وقالوا: الإيمان هو الإقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب، ودون سائر الأعمال، وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمناً فيما يرجع إلى أحكام الظاهر، والتكليف وفيما يرجع إلى أحكام الآخرة، والجزاء ، فالمنافق عندهم مؤمن في الدنيا حقيقة، مستحق للعقاب الأبدي في الآخرة.

وقالوا في الإمامة إنها تثبت باجماع الأمة دون النص والتعيين، كما قال أهل السنة إلا أنهم قالوا يجوز عقد البيعة لإمامين في قطرين [2] وغرضهم إثبات إمامة معاوية

---

(١) ذهبت الكرامية إلى أن الحوادث تحل في ذاته فإذا أحدث جسماً أحدث معنى في ذاته وهو الإحداث فحدث ذلك الجسم مقارناً لذلك المعنى أو عقيبه قالوا: وذلك المعنى هو قول كن وهو المسمى خلقاً، والخلق غير المخلوق، قال الله تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾، قالوا لكنه قد أشهدنا ذواتها تذل على أن خلقها غيرها وصرح ابن الهيصم في كتاب المقالات بقيام الحوادث بذات الله تعالى فقال: إنه إذا أمر أو نهى أو أراد شيئاً كان أمره ونهيه وإرادته كائنة بعد أن لم تكن وهي قائمة به، لأن قوله منه يسمع وكذلك إرادته منه توجد، قال: وليس قيام الحوادث بذاته دليلاً على حدوثه وإنما يدل على الحدوث معاقب الأضداد التي لا يصلح أن يتعطل منها والباري تعالى لا تتعاقب عليه الأضداد. (ابن أبي الحديد جزء أول ص ٢٩٧).

(٢) يذهبون إلى أن علياً ومعاوية كانا إمامين محقين في وقت واحد، وكان واجباً على أتباع كل واحد منهما طاعة أميره، ولو كان كما قوالوا لوجب أن يكون كل واحد منهما ظالماً في مقاتلة صاحبه لأن من زاحم إماماً عادلاً محقاً كان مبطلاً ظالماً، ومن العجب قول أتباعه أن علياً كا إماماً على وفق السنّة وكان معاوية إماماً على خلاف السنّة، وكانت طاعة كل واحد منهما واجبة على أتباعه فيا عجباً من طاعة واجبة خلاف السنّة. (التبصير ص ٦٨، الفرق بين الفرق ص ٢١١).

بالشام، باتفاق جماعة من الصحابة، وإثبات إمامة أمير المؤمنين علي بالمدينة والعراقين[1] باتفاق جماعة من الصحابة، ورأوا تصويب معاوية فيما استبد به من الأحكام الشرعية قتالاً على طلب قتلة عثمان رضي الله عنه، واستقلالاً بمال بيت المال، ومذهبهم الأصلي إتهام عليّ رضي الله عنه، في الصبر على ما جرى مع عثمان رضي الله عنه، والسكوت عنه وذلك عرق نزع[2].

الخوارج من ذلك، والمرجئة، والوعيدية، كل من خرج على الإمام الحق، الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان.

والمرجئة صنف آخر تكلموا في الإيمان والعمل، إلا أنهم وافقوا الخوارج في بعض المسائل التي تتعلق بالإمامة.

والوعيدية داخلة في الخوارج، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة، وتخليده في النار، فذكرنا مذاهبهم في أثناء مذاهب الخوارج[3].

---

(١) العراقان المصران البصرة والكوفة، ويقال لهما البصرتان وقد مصرت البصرة أيام عمر، وكان ابن أبي ليلى يقول: ما رأيت بلداً أبكر إلى ذكر الله من أهل البصرة، وقيل: بيوتها الذهب ونهرها عجب أوله الرطب وأوسطه العنب وآخره القصب، والكوفة، المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قوم خد العذراء، وكان عليّ يقول: الكوفة كنز الإيمان وحجة الإسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث شاء والذي نفسي بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر الحجاز وكان سلمان الفارسي يقول: أهل الكوفة أهل الله وهي قبة الاسلام ويحن إليها كل مؤمن، والعراق أعدل أرض الله هواء وأصحها مزاجاً وماء، فلذلك كان أهل العراق هم أهل العقول الصحيحة، والآراء الرجيحة، والشمائل الظريفة، والبراعة في كل صناعة(معجم ثان ص ١٩٢ سادس ص ١٣٥ سابع ص ٢٩٧).

(٢) في الحديث إنما هو عرق نزعه يقال: نزع إليه في الشبه إذا أشبهه، ويقال للمرء إذا أشبه أخواله، نزعه إليهم عرق الخال. قال الفرزدق:

أشبهت أمك يا جرير فإنها ... نزعتك والأم اللئيمة تنزع

(٣) الخوارج جمع الخارجة وهم الذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذي السلطان من أئمة المسلمين، بدعوى ضلالة وعدم انتصاره للحق ولهم في ذلك مذاهب ابتدعوها وآراء فاسدة اتبعوها وإلى بعض الخوارج أشار الصلنان العبدي بقوله:

أرى أمة شهرت سيفها ... وقد زيد في سوطها الأصبحي
بنجدية وحرورية ... وأزرق يدعو إلى أزرقي
فملتنا أننا المسلمون ... على دين صديقنا والنبي

والسياط التي يعاقب بها السلطان الأصبحية وتنسب إلى ذي أصبح الحميري وكان ملكاً من ملوك حمير =

الخوارج

اعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة، ممن كان معه في حرب صفين، وأشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين الأشعث بن قيس ومسعر بن فدكي التميمي، وزيد [1] بن حصن الطائي، حين قالوا: القوم يدعوننا إلى كتاب الله، وأنت تدعونا إلى السيف، حتى قال: أنا أعلم بما في كتاب الله، انفروا إلى بقية الأحزاب، انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله، وأنتم تقولون صدق الله ورسوله قالوا: لترجعن الأشتر [2] عن قتال المسلمين، وإلا لنفعلن بك كما فعلنا بعثمان، فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع وولوا مدبرين، وما بقي منهم إلا شر ذمة قليلة فيهم حشاشة قوة. فامتثل الأشتر أمره، وكان من أمر الحكمين، أن الخوارج حملوه على التحكيم أولاً، وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس، فما رضي الخوارج بذلك، وقالوا: هو[3] منك، فحملوه على بعث أبي موسى الأشعري، على أن يحكما بكتاب الله تعالى، فجرى الأمر على خلاف ما رضي به، فلما لم يرض بذلك خرجت

= وهو أول من اتخذها وهو جدّ مالك بن أنس الفقيه رضي الله عنه (الكامل وشرحه سابع ص ٨٦ وص ١٠١).

(١) زيد بن حصن الطائي من رؤوس الخوارج؛ قال أبو بلان مرداس في الخوارج:

أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى ... ومن خاض في تلك الحروب المهالكا
أحب بقاء أو أرجى سلامة ... وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتي وبصيرتي ... وهب لي التقى حتى ألاقي أولئكا

(العقد ثان ص ٣٩٩).

(٢) مالك بن الحرث النخعي الكوفي المعروف بالأشتر، أدرك الجاهلية من تابعي الكوفة، وكان من أصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها وولاه على مصر فلما كان بالقلزم شرب شربة عسل فمات وكان رئيس قومه، وممن يسعى في الفتنة وألب على عثمان وشهد حصره وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين وقد نعاه علي إلى قومه وأثنى عليه ثناء حسناً (تهذيب التهذيب عاشر ص ١١).

(٣) لما قال أهل الشام إنّا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص، وقال الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد قد رضينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعري فقال لهم علي: فإني لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أوليه، فقال الأشعث وزيد بن حصن ومسعر بن فدكي في عصابة من القراء: إنا لا نرضى إلا به فإنه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه، فقال عليّ: فإنه ليس لي برضا وقد فارقني وخذل الناس عني وهرب مني حتى أمنته بعد شهر ولكن هذا ابن عباس، أوليه ذلك، قالوا: والله ما نبالي أكنت أنت أو ابن عباس؟ ولا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ليس إلا واحد منكما أدنى من الآخر، قال علي: فإني أجعل الأشتر فقال الأشعث: وهل سعر الأرض علينا إلا الأشتر وهل نحن إلا في حكم الأشتر. قال علي: وما حكمه؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيف حتى يكون ما أردت وما أراد. (ابن أبي الحديد أول ص ١٨٩).

الخوارج عليه، وقالوا: لم حكمت الرجال، لا حكم إلا لله، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان.

وكبار فرق الخوارج ستة: الأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والأباضية، والثعالبة، والباقون فروعهم، ويجمعهم القول بالتبريء من عثمان وعلي، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً.

المحكمة الأولى هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حين جرى أمر الحكمين، واجتمعوا بحروراء[1] من ناحية الكوفة، ورئيسهم عبد الله بن[2] الكواء، وعتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسي، وعروة[3] بن حدير، ويزيد[4] ابن عاصم المحاربي، وحرقوص بن زهير المعروف بذي الثدية، وكانوا يومئذٍ في اثني عشر ألف رجل، أهل صيام وصلاة، أعني يوم النهروان، وفيهم قال النبي ﷺ بحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم، وصوم أحدكم في جنب صيامهم. ولكن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم، وهم المارقة الذين قال فيهم «سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم

---

(١) حروراء بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها نزل بها الخوارج الذين خالفوا علياً فنسبوا إليها. (معجم ثالث ص ٢٥٩).

(٢) عبد الله بن الكواء من رؤوس الخوارج وله أخبار كثيرة مع علي وكان يلزمه ويعيبه في الأسئلة وقد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي، (لسان الميزان ثالث ص ٣٢٩).

(٣) عروة بن أدية، وهو عروة بن عمرو بن حدير وأدية جدته من محارب نسب إليها، وقيل: بل كانت ظئراً له، وهو من رؤوس الخوارج وقد ضعفه الجوزجاني وهو أول من حكم بصفين وكان له أصحاب وأتباع وشيعة ظفر به ابن زياد، فقال له ابن زياد: لأمثلن بك، فقال: اختر لنفسك القصاص ما شئت، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وصلبه على باب داره، فقال لأهله: وهو مصلوب انظروا إلى هؤلاء الموكلين فأحسنوا إليهم فإنهم أضيافكم، فقتل في خلافة معاوية سنة ثمانية وخمسين (لسان الميزان رابع ص ١٦٣، المعارف ص ١٤١، ابن أبي الحديد أول ص ٣٨٠، ابن الأثير رابع ص ٤٢، العقد الفريد أول ص ٢٧١).

(٤) يزيد بن عاصم المحاربي من رؤوس الخوارج، ولما خطب علي فقال: الله أكبر كلمة حق يراد بها باطل أن سكتوا عممناهم وإن تكلموا حججناهم وإن خرجوا علينا قاتلناهم فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال: الحمد لله غير مودع ربنا، ولا مستغنى عنه اللهم أنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا فإن إعطاء الدنية في الدين إدهان في أمر الله عز وجل، وذل راجع بأهله إلى سخط الله، يا علي أبالقتل تخوفنا، أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات، ثم لتعلمن أينا أولى بها صلياً، ثم خرج بقومه هو وأخوة له ثلاثة هو رابعهم فأصيبوا مع الخوارج بالنهروان وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة. (طبري سادس ص ٤١).

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وهم الذين أولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثدية، وإنما خروجهم في الزمن الأول على أمرين:

أحدهما: بدعتهم في الإمامة، إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش [1]، وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماماً، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله، أو قتله، وهم أشد الناس قولاً بالقياس، وجوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلاً وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبداً أو حراً أو نبطياً أو قرشياً.

---

(١) صفة الإمام الذي يلزم العقد له، يجب أن يكون على أوصاف منها:

١ ـ أن يكون قرشياً من الصميم، ودليله أمور منها قول النبي ﷺ «الأئمة من قريش ما بقي منهم اثنان»، وقوله للعباس: «إنما أوصي قريشاً بالناس وبهذا الأمر وإنما الناس تبع لقريش فبرّ الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم»، واحتجاج أبي بكر وعمر في السقيفة، وإذعان الأنصار، بله أطباق الصدر الأول من المهاجرين والأنصار، وقول سعد لأبي بكر: (نحن الوزراء وأنتم الأمراء).

٢ ـ ومنها أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين لإجماع الأمة على ذلك ممن قال بالنص والاختيار، ولأنه هو الذي يولي القضاة والحكام، وينظر في أحكامهم وما يوجب صرفهم وجرحهم ونقض أحكامهم ولن يملك علمه بذلك وتمكنه منه إلا بأن يكون مثلهم في العلم أو فوقهم، بله إجماع الأمة على أن للإمام أن يباشر القضاء والأحكام بنفسه، ولا يستخلب قاضياً، ما استغنى بنفسه ونظره، ولن يصلح للحكم إلا من صلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين.

٣ ـ ومنها أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب، وتدبير الجيوش والسرايا وسد الثغور وحماية البيضة وحفظ الأمة والانتقام من ظالمها والأخذ لمظلومها وما يتعلق به من مصالحها، فإنه إذا لم يكن عالماً بذلك لحق الخلل في جميعه وتعدى الضرر بجهله بذلك إلى الأمة وطمع في المسلمين عدوهم.

٤ ـ ومنها أن يكون ممن لا تلحقه رقة ولا هوادة في إقامة الحدود ولا جزع لضرب الرقاب، فإنه إذا لم يكن بهذه الصفة قصر عما لأجله أقيم من إقامة الحدّ، واستخراج الحق وأضر فشله في هذا الأمر بما نصب له.

٥ ـ ومنها أن يكون من أمثلهم في العلم وغيره إلا أن يمنع عارض من إقامة الأفضل فيسوغ نصب المفضول، لأن الأخبار المتظاهرة عن النبي ﷺ في وجوب تقدمه الأفضل. قال النبي ﷺ: «يؤم القوم أفضلهم»، وقوله: «أئمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون»، وفي خبر آخر: «أئمتكم شفعاؤكم إلى الله، فقدموا خيركم»، وقوله: «من تقدم على قوم من المسلمين يرى أن فيهم من هو أفضل منه فقد خان الله ورسوله والمسلمين»، إلى إجماع الأمة في الصدر الأول على طلب الأفضل، وإنما جاز العقد للمفضول وترك الأفضل لخوف الفتنة والتهارج وليس من صفته أن يكون معصوماً ولا عالماً بالغيب ولا أفرس الأمة ولا أن يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش لأن الإمام وكيل الأمة وهي من ورائه في تسديده وتقويمه، وإذا وجب عليه ما يوجب خلعه خلعوه، وليس يحتاج إلى أن يكون معصوماً، إلى اعتراف الخلفاء الراشدين بأنهم غير معصومين. هذا أبو بكر يقول: أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم، وهذا عمر يقول: رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا، إلى أنه لا يجب أن يكون من بني هاشم، دون غيرها من غيرها، فظاهر الخبر لا يقتضيه والعقل لا يوجبه، وقد قال ﷺ «الأئمة من قريش»، (التمهيد ص ١٨١).

والبدعة الثانية: أنهم قالوا أخطأ عليّ في التحكيم، إذ حكم الرجال لا حكم إلا لله تعالى، وقد كذبوا عَلَى عليّ عليه السلام من وجهين:

أحدهما: في التحكيم أنه حكم الرجال، وليس ذلك صدقاً، لأنهم هم الذين حملوه على التحكيم، **والثاني**: أن تحكيم الرجال جائز فإن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة، وهم رجال ولذا قال عليّ عليه السلام كلمة حق أريد بها باطل [1] وتخطوا عن التخطئة إلى التكفير، ولعنوا علياً عليه السلام فيما قاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين، فقاتل الناكثين وما اغتنم أموالهم وما سبي ذراريهم ونساءهم وقاتل مقاتلة القاسطين، وما اغتنم أموالهم ولا سبي، ثم رضي بالتحكيم، وقاتل مقاتلة المارقين واغتنم أموالهم وسبي ذراريهم، وطعنوا في عثمان للأحداث التي عدوها عليه وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين، فقاتلهم عليّ عليه السلام بالنهروان مقاتلة شديدة، فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة، وما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة، فانهزم اثنان منهم إلى عمان[2] واثنان إلى كرمان[3] واثنان إلى سجستان[4] واثنان إلى الجزيرة[5] وواحد إلى تل موزن[6] واثنان إلى اليمن وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم وبقيت إلى اليوم[7].

---

(١) إن علياً بينما هو يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال: يا علي أشركت في دين الله الرجال ولا حكم إلا لله، فتنادوا من كل جانب لا حكم إلا لله، لا حكم إلا لله، فقال علي: الله أكبر، كلمة حق يراد بها باطل أما أن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا، لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا، ثم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته. (ابن كثير سابع ص ١٨١ ابن جرير سادس ص ٤١).

(٢) عمان، اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرها يضرب به المثل وأكثر أهلها في أيامنا خوارج أباضية. (معجم سادس ص ٢١٥).

(٣) كرمان، ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان وهي كثيرة النخل والزروع والمواشي وتشبه بالبصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات. (معجم سابع ص ٢٤١).

(٤) سجستان، ناحية كبيرة وولاية واسعة، وهي جنوبي هراة وبها نخل كثير وتمر، وفي رجالهم عظم خلق وجلاد. (معجم خامس ص ٣٧).

(٥) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر وهي صحيحة الهواء جيدة الربع والثمار واسعة الخيرات بها مدن جليلة، وحصون وقلاع كثيرة (معجم ثالث ص ٩٦).

(٦) تل موزن، بفتح الزاي وقياسه في العربية كسرها وهو بلد قديم بين رأس عين وسروج. (معجم ثان ص ٤٠٩).

(٧) اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها فذكر الكعبي أن الذي يجمعهم إكفار علي وعثمان =

وأول من بويع بالإمامة من الخوارج عبد الله بن وهب الراسي في منزل زيد بن حصن، بايعه عبد الله بن الكواء وعروة بن حدير ويزيد بن عاصم المحاربي، وجماعة معهم، وكان يمتنع تحرجاً، ويستقبلهم ويومي إلى غيرهم تحرزاً، فلم يقنعوا إلا به، وكان يوصف برأي ونجدة، فتبرأ من الحكمين، وممن رضي بقولهما، وصوب أمرهما وكفروا أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وقالوا إنه ترك حكم الله، وحكَّم الرجال.

وقيل: إن أول من تلفظ بهذا رجل من بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم يقال له الحجاج [1] بن عبيد الله يلقب بالبرك، وهو الذي ضرب معاوية على إليته لما سمع بذكر الحكمين، وقال: أتحكم في دين الله، لا حكم إلا الله، تحكم بما حكم القرآن به، فسمعها رجل فقال: طعن والله، فانفذ، فسموا المحكمة بذلك، ولما سمع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هذه الكلمة، قال كلمة عدل يراد بها جور، إنما يقولون لا إمارة، ولا بد من إمارة برة أو فاجرة.

ويقال: إن أول سيف سل من سيوف الخوارج سيف عروة بن أدية، وذلك أنه أقبل عَلَى الأشعث فقال: ما هذه الدنية يا أشعث، وما هذا التحكيم، أشرط أوثق من شرط الله تعالى، ثم شهر السيف والأشعث تولى فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية فلما رأى ذلك الأحنف مشى هو وأصحابه إلى الأشعث فسألوه الصفح ففعل، وعروة بن أدية نجا بعد ذلك من حرب النهروان، وبقي إلى أيام معاوية ثم أتى إلى زياد ابن [2] أبيه ومعه مولى له، فسأله زياد عن أبي بكر وعمر، فقال فيهما خيراً، وسأله عن عثمان فقال: كنت أتولى عثمان على أحواله في خلافته ست سنين، ثم تبرأت منه بعد

= والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين والإكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الإمام الجائر. وقال الأشعري: الذي يجمعهم إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي أو صوب الحكمين أو أحدهما ووجوب الخروج على السلطان الجائر، والخوارج أقدم الفرق، وأظهر مذهب أدمجت فيه الأفكار الدينية غي الخلافات السياسية.

(١) الحجاج بن عبد الله الصريمي ولقبه البرك، أحد الخوارج الثلاثة الذين تعاهدوا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص، وقد أخذ وأوقف بين يدي معاوية فأمر بحبسه ولما قتل علي أطلبه. (مروج الذهب ثان ص ٢٨٩ و ٢٩٤).

(٢) زياد بن أبيه الأمير، وهو زياد بن سمية ويقال زياد بن عبيد، فلما استخلفه معاوية قيل زياد بن أبي سفيان، كان قوي المعرفة جيد السياسة وافر العقل، كان من شيعة علي وولاه إمرة القدس ثم صار أشد الناس على آل علي وشيعته، توفي سنة ثلاث وخمسين وهو على إمرة العراق لمعاوية وأخباره شهيرة. (لسان الميزان ص ٤٩٣).

ذلك للأحداث التي أحدثها، وشهد عليه بالكفر، فسأله عن أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه، فقال: أتولاه إلى أن حكم، ثم أتبرأ منه بعد ذلك، وشهد عليه بالكفر، فسأله عن معاوية فسبه سباً قبيحاً، ثم سأله عن نفسه، فقال: أولك لزنية، وآخرك لدعوة، وأنت فيما بينهما بعد عاص ربك، فأمر زياد بضرب عنُقه ، ثم دعا مولاه وقال صف لي أمره وأصدق، فقال: أطنب أم أختصر، فقال: بل اختصر، فقال: ما أتيته بطعام في نهار قط ولا فرشتُ له فراشاً بليل قط، هذه معاملته واجتهاده، وذلك خبثه واعتقاده.

الأزارقة [1] أصحاب أبي راشد، نافع بن الأزرق الذين خرجوا مع نافع [2] من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس، وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير. وقتلوا عماله بهذه النواحي، وكان مع نافع من أمراء الخوارج عطية [3] بن الأسود الحنفي وعبد الله [4] بن الماحوز وأخواه عثمان، والزبير، وعمر بن عمير [5] العنبري، وقطري بن الفجاءة المازني، وعبيدة بن هلال اليشكري [6]، وصخر

---

(١) لم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عدداً وأشد منهم شوكة وقد غلبوا على بلاد الأهواز وأرض فارس وكرمان أيام عبد الله بن الزبير .

(٢) نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج وإليه تنسب طائفة الأزارقة خرج آخر دولة يزيد بن معاوية وكان يعترض الناس بما يحير العقل، واشتدت شوكته، قتل سنة خمس وستين. (لسان الميزان سادس ص ١٤٤).

(٣) عطية بن الأسود الحنفي اليشكري، من رؤوس الخوارج وهو ممن صار إلى البصرة مع نافع بن الأزرق ثم إلى اليمان ثم كان ممن أجمعوا بعد ذلك على نجدة بن عامر الحنفي. (الكامل وشرحه سابع ص ٢٢٩).

(٤) عبد الله بن الماحوز وبنو الماحوز هم الزبير، وعثمان وعلي وعبد الله وعبيد الله بنو بشير بن يزيد المعروف بالماحوز وهم من بني الحرث بن سليط وكلهم من أمراء الأزارقة. (الكامل وشرحه ص ٢٢٩ سابع).

(٥) عمر بن عمير العنبري من رؤوس الخوارج وهو من بني تميم وكان ابنه عطية من فرسان بني تميم وشجعانهم، وقد أبلى مع المغيرة وهو الذي يقول:

يدعى رجال للعطاء وإنما يدعى عطية للطعان الأجرد

(الكامل وشرحه ثامن ص ٢١).

(٦) عبيدة بن هلال اليشكري من رؤوس الخوارج وفرسانهم، وكان على ميمنة جيشهم، وكان الشراة والمسلمون يتوافقون ويتساءلون فيما بينهم عن أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون أتاه أبو حزابة التميمي فقال له :فأي الرجلين أشعر أجرير أم الفرزدق؟ قال: عليك وعليهما لعنة الله أيهما الذي يقول:

وطوى الطراد مع القياد بطونها طي التجار بحضرموت برودا

قال: جرير قال فهو أشعرهما ،وكان عبيدة إذا تكاف الناس ناداهم ليخرج إليّ بعضكم فيخرج إليه فتيان من العسكر فيقول لهم: أيما أحب إليكم أقرأ عليكم القرآن، أو أنشدكم الشعر؟ فيقولون له : أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك، فأنشدنا، فيقول لهم: يا فسقة والله قد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ثم لا =

ابن حنبا التميمي وصالح [1] بن مخراق العبدي وعبد ربه [2] الكبير، وعبد ربه [3] الصغير في زهاء ثلاثين ألف فارس، ممن يرى رأيهم وبنخرط في سلكهم فأنفذ إليه عبد الله [4] ابن الحرث بن نوفل النوفلي بصاحب جيشه مسلم [5] بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن

= يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يملوا ثم يفترقون، وكان فارساً شجاعاً، وقد صرع المغيرة بن المهلب، وكان يقول يومئذ:

أنا ابن خير قومه هلال شيخ على دين أبي بلال
وذاك ديني آخر الليالي

فقال رجل للمغيرة: كنا نعجب كيف تصرع والآن نعجب كيف تنجو، وكان إذا تكلم فما سمع ناطق قط ينطق كان أنبغ منه قولاً. (الأغاني سادس ص ١٤٩ ابن الأثير رابع ص ٨١، ابن أبي الحديد أول ص ٤٠١ الطبري سابع ص ٥٦).

(١) صالح بن مخراق من رؤساء الخوراج، وقد جمع جموعه، وقال: يا قوم أنكم أقررتم عين عدوكم وأطمعتموه فيكم بما يظهر من خلافكم فعودوا إلى سلامة قلوبكم، واجتماع الكلمة، فأغار على السرح، فشق ذلك على المهلب، واختلف مع قطري، فحمل فتى من الشراة على صالح فطعنه فأنفذه. (ابن أبي الحديد أول ص ٤٠١).

(٢) عبد ربه الكبير، من رؤوس الخوارج وكان بائع رمان ومن موالي قيس بن ثعلبة. (شرح النهج أول ص ٣٠٤).

(٣) عبد ربه الصغير أحد موالي قيس بن ثعلبة، من رؤوس الخوارج، وكان معلم كتاب وقد بايعته طائفة منهم في حرب المهلب. (شرح نهج البلاغة أول ص ٤٠٣).

(٤) عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الملقب ببه، ولي البصرة سنة ٦٤ وبايعه أهلها وقال الفرزدق في بيعته:

وبايعت أقواماً وفيت بعهدهم وببة قد بايعته غير نادم

وكانت أمه ترقصه:

لتنكحن ببة : جارية في قبة : تمشط رأس لعبه

ولما كانت الفتنة لزم بيته وكان يتدين وقال: ما كنت لأصلح الناس بفساد نفسي، فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير فكتب إلى أنس بن مالك يأمره بالصلاة بالناس فصلى بهم أربعين يوماً، حتى قدم عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي أميراً على البصرة. (ابن الأثير رابع ص ٥٨، الطبري سابع ص ٣٣).

(٥) مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة، أمر على الجيش، وكان فارساً شجاعاً ديناً، فلما نفد من جسر البصرة أقبل على الناس، وقال: إني ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم فمن كان من شأنه الجهاد فلينهض، ومن أحب الحياة فليرجع، فرجع نفر يسير، ومضى الباقون معه، فلما صاروا بدولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعمد، فقتل في المعركة ابن عبيس، وهو على أهل البصرة وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وستين. وقتل نافع بن الأزرق يومئذ أيضاً، فعجب الناس من ذلك، وأن الفريقين تصايروا حتى قتل منهم خلق كثير وقتل رئيس العسكرين. (الأغاني سادس ص ١٤٣).

حبيب فقتله الخوارج وهزموا أصحابه فأخرج إليهم أيضاً عثمان [1] بن عبيد الله بن معمر التميمي فهزموه فأخرج إليهم حارثة بن بدر الغداني [2] ، في جيش كثير فهزموه وخشي أهل البصرة على أنفسهم وبلدهم من الخوارج فأخرج إليهم المهلب [3] بن أبي صفرة فبقي في حرب الأزارقة تسع عشرة سنة إلى أن فرغ من أمرهم في أيام الحجاج، ومات نافع قبل وقائع المهلب مع الأزارقة وبايعوا بعده قطري [4] بن الفجاءة، وسموه أمير المؤمنين.

وبدع الأزارقة ثمانية، **إحداها**: أن كفر علياً عليه السلام، وقال: إن الله أنزل في شأنه: ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ [البقرة: ٢٠٤] وصوب عبد الله بن ملجم لعنه الله وقال إن الله أنزل في شأنه

---

(١) عثمان بن عبيد الله بن معمر، من قواد الأمويين، وكان أخوه عبد الله من ولاتهم، فأرسله إلى نافع بن الأزرق في جيش فلقيهم بدولاب فقتل عثمان وهزم جيشه. (الطبري سابع ص ٨٥).

(٢) حارثة بن بدر الغداني من قواد الأمويين، وكان صاحب شراب وقد ثبت بإزاء الخوارج يناوشهم القتال، وجرت بينه وبين الخوارج وقائع، كان له فيها النصر فقال شاعر من تميم:

فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم ... بما قام فيه للعراقين إنسان
إذا قيل من حامي الحقيقة أومأت ... إليه معد بالأكف وقحطان

وكان حارثة مستهتراً بالشراب معاقراً للخمر وفيه يقول رجل من قومه:

ألم تر أن حارثة بن بدر ... يصلي وهو أكفر من عمار
ألم تر أن للفتيان حظاً ... وحظك في البغايا والعقار

وقد عقدت له الرئاسة فأمر قومه بالثبات وقال لهم: إذا فتح الله عليكم فللعرب زيادة فريضتين، وللموالي زيادة فريضة ولكنه انهزم وأصحابه وتبعهم الخوارج فألقى الناس أنفسهم في الماء فغرق منهم بدجيل الأهواز خلق كثير. (ابن أبي الحديد أول ص ٣٨٣).

(٣) المهلب بن أبي صفرة الأزدي أمير خراسان صاحب الحروب والفتوح. غزا الهند وهزم العدو، وحارب الأزارقة وأباد منهم ألوفاً ولم ير أمير أيمن نقيبة ولا أشجع لقاء ولا أبعد مما يكره ولا أقرب مما يحب منه. توفي سنة اثنتين وثمانين. (شذرات أول ص ٥٤، ٧٣، ٩٠).

(٤) قطري بن الفجاءة رأس الخوارج، وكان مجرباً في الحروب وهو الذي قال:

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حي ... وداعيه لأهل الأرض داع

عثر به فرسه فقتل وأتى الحجاج برأسه سنة تسع وتسعين. (شذرات أول ص ٨٦).

﴿ومن [1] الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ وقال عمران بن [2] حطان وهو مفتي الخوارج ، وزاهدها وشاعرها الأكبر في تصويبه، ابن [3] ملجم لعنه الله :

يـا ضـربـة من منيب مـا أراد بهـا ألا ... لـيـبـلغ مـن ذي الـعـرش رضـوانـا
إنـي لأذكـره يـومـاً فـأحـسـبـه ... أو في البـريـة عـنـد الله ميـزانـا [4]

---

(١) كذبوا، وائتفكوا فقد قال ابن عباس وأنس وجماعة أن هذه الآية نزلتا في صهيب بن سنان الرومي ، وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد أن يهاجر تبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وأنبل ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش قد علمتم أني من أرماكم رجلاً وأنتم والله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء. ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي وقنيني بمكة وخليتم سبيلي. قالوا: نعم فلما قدم على النبي ﷺ قال: «ربح البيع صهيب» ونزلت: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾.

وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله﴾ الآية. (ابن كثير أول ص ٢٤٧).

(٢) عمران بن حطان السدوسي ويكنى أبا سماك شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم، والمقدمين في مذهبهم وكان من القعدة لأن عمره طال، فضعف عن الحرب وحضورها فانتصر على الدعوة، والتحريض بلسانه، وكان قبل أن يفتن بالشراة مشتهراً بطلب العلم والحديث، ثم بلي بذلك المذهب فضلّ وهلك، وقد أدرك صدراً من الصحابة، وروى عنهم وروى عنه أصحاب الحديث وهو تابعي ثقة، قيل: كانت له بنت عم كانت ترى رأي الخوارج فتزوجها ليردها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها وكان عمران من نظراء جرير والفرزدق في الشعر وهو القائل:

حتى متى تسقى النفوس بكأسها ... ريب المنون وأنت لاه ترتع

مات متواراً سنة أربع وثمانين. (أغان جزء ١٦ ص ١٤٦ ميزان الاعتدال ثان ص ٢٧٦).

(٣) أراد ابن ملجم أن يتزوج قطام بنت علقمة وقيل بنت شجنة، من تيم الرباب وكان على قتل أباها وأخاها يوم النهروان وكانت ترى رأي الخوارج فقالت: لا أقنع منك إلا بصداق أسميه لك وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل علياً فقال لها: لك ما سألت فكيف لي به؟ قالت: تروم ذلك غيلة فإن سلمت أرحت الناس من شر، وأقمت مع أهلك وإن أصبت صرت إلى الجنة ونعيم الزوال، فأنعم لها وفي ذلك يقول ابن أبي مياس المرادي:

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ... ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

ويروى أن علياً كان يخطب مرة ويذكر أصحابه، وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول: والله لأريحنهم منك، فلما انصرف علي إلى بيته أتى به ملبياً فأشرف عليهم، فقال: ما تريدون فخيروه، بما سمعوا فقال: ما قتلني بعد فخلوا عنه، وكان علي يتمثل ببيت عمرو بن معد يكرب:

أريد حباءه ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مراد

(الكامل وشرحه سابع ص ١٢٢، الطبري سادس ص ٨٧).

(٤) قلبه الفقيه الطبري أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي فقال: =

وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة وزادوا عليه تكفير عثمان، وطلحة ، والزبير ، وعائشة ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وسائر المسلمين معهم، وتخليدهم في النار.

وفي **الثانية**: أنه كفر القعدة[1] ، وهو أول من أظهر البراءة من القعدة على القتال، وإن كان موافقاً على دينه، وكفر من لم يهاجر إليه.

الثالثة: إباحته قتل أطفال المخالفين، والنسوان.

والرابعة: إسقاطه الرجم عن الزاني إذ ليس في القرآن ذكره، وإسقاطه حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال، مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء.

الخامسة: حكمه بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم[2].

السادسة: أن التقية غير جائزة في قول ولا عمل.

السابعة: تجويزه أن يبعث الله تعالى نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته، أو كان كافراً قبل البعثة، والكبائر والصغائر إذا كانت بمثابة عنده وهي كفر، وفي الأمة من جوز الكبائر والصغائر على الأنبياء عليهم السلام فهي كفر.

الثامنة: اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة، خرج

= يا ضربة من شقي ما أراد بها ... إلا ليهدم من ذي العرش بنيانا
إني لأذكره يوماً فالعنه ... أيها والعن عمران ابن حطانا

وقال محمد بن أحمد الطيب يرد على عمران:

يا ضربة من غدور صار صاحبها ... أشقى البرية عند الله إنسانا
إذا تفكرت فيه ظلت العنة ... والعن الكلب عمران بن حطانا

(الكامل وشرحه سابع ص ٨٤).

(١) قال نافع: الدار دار كفر إلا من أظهر إيمانه ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه وهم ككفار العرب لا تقبل منهم إلا الإسلام والسيف والقعد بمنزلتهم والتقية لا تحل فإن الله تعالى يقول: ﴿إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾، وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم: ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾. (الكامل للمبرد ثالث ص ١٦٩).

(٢) جاء مولى لبني هاشم إلى نافع فقال له: إن أطفال المشركين في النار وإن من خالفنا مشرك فدماء هؤلاء الأطفال لنا حلال. قال له نافع؛ كفرت وأدللت بنفسك. قال له: إن لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلني. ﴿قال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾. فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع أنهم جميعاً في النار ورأى قتلهم. (الكامل للمبرد ثالث ص ١٦٩).

به عن الإسلام جملة، ويكون مخلداً في انار مع سائر الكفار، واستدلوا بكفر إبليس لعنه الله، وقالوا: ما ارتكب إلا كبيرة، حيث أمر بالسجود لآدم فامتنع، وإلا فهو عارف بوحدانية الله تعالى.

النجدات العاذرية ، أصحاب نجدة بن عامر الحنفي، وقيل عاصم، وكان من شأنه، أنه خرج من اليمامة مع عسكره، يريد اللحوق بالأزارقة فاستقبله أبو فديك [1]، وعطية بن الأسود الحنفي، في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الأزرق، فأخبروه بما أحدثه نافع من الخلاف بتكفير القعدة عنه، وسائر الأحداث، والبدع [2] وبايعوا نجدة، وسموه

---

(١) أبو فديك، عبد الله بن ثور من بني قيس بن ثعلبة من رؤوس الخوارج وممن أجمع على نجدة بن عامر الحنفي. (الطبري سابع ص ٥٧).

(٢) لقي نجدة وأصحابه قوماً من الخوارج بالعرمة، فقال لهم أصحاب نجدة: إن نافعاً قد كفر القعد، ورأى الاستعراض، وقتل الأطفال فانصرفوا مع نجدة، فلما صار باليمامة كتب إلى نافع: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد؛ فإن عهدي بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم، وللضعيف كالأخ البر لا تأخذك في الله لومة لائم، ولا ترى معونة ظالم كذلك كنت أنت وأصحابك، أما تذكر قولك لولا أني أعلم أن للإمام العادل مثل أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين، فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبت من الحق نصه وركبت أمره، تجرد لك الشيطان، ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويت، فأكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾، ثم سماهم أحسن الأسماء فقال: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ ثم استحللت قتل الأطفال وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم. (عن ابن عمر قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض تلك المغازي فنهى رسول الله عن قتل النساءوالصبيان) وفي رواية: «اقتلوا المشركين واستحيوا شرخهم» (والشرخ الصغار الذين لم يدركوا) وقال الله عز ذكره: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وقال في القعد خيراً وفضل الله من جاهد عليهم، ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملاً منزلة من هو دونه أو ما سمعت قوله عز وجل: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر﴾ فجعلهم الله من المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم ورأيت أن لا تؤدي الأمانة إلى من خالفك والله يأمر أن تؤدي الأمانات إلى أهلها فاتق الله وانظر لنفسك، ﴿واتق يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾ فإن الله عز ذكره بالمرصاد، وحكمه العدل، وقوله الفصل والسلام.

فكتب إليه نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد؛ أتاني كتابك تعظني فيه، وتذكرني وتنصح لي وتزجرني وتصف ما كنت عليه من الحق، وما كنت أوثره من الصواب وأنا أسأل الله عز وجل أن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وعبت عليّ ما دنت به من إكفار القعد، وقتل الأطفال واستحلال الأمانة فسأفسر لك لِمَ ذلك إن شاء الله. أما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله ﷺ لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلاً، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقاً، وهؤلاء قد فقهوا في الدين، وقرأوا القرآن، والطريق لهم نهج واضح، وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم إذ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض فقيل لهم: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها. وقال فرح =

أمير المؤمنين، ثم اختلفوا على نجدة فأكفره قوم منهم لأمور نقموها عليه منها أنه بعث ابنه مع جيش إلى أهل القطيف فقتلوا وسبوا نساءهم وقوموها على أنفسهم، وقالوا: إن صارت قيمهن في حصصنا فذاك وإلا رددنا الفضل، ونكحوهن قبل القسمة وأكلوا من الغنيمة قبل القسمة فلما رجعوا إلى نجدة وأخبروه بذلك قال فلم يسعكم ما فعلتم، قالوا لم نعلم أن ذلك لا يسعنا فعذرهم بجهالتهم.

= المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، وقال: وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فخبر بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسوله، وقال: سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم، فانظر إلى أسمائهم وسماتهم وأما أمر الأطفال فإن نبي الله نوحاً عليه السلام كان أعلم بالله يانجدة مني ومنك، فقال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا تكون تقوله في قومنا والله يقول: ﴿أكفاركم خير من أولئك أم لكم براءة في الزبر﴾ وهؤلاء كمشركي العرب لا تقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الاسلام، وأما استحلال أمانات من خالفنا فإن الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلق، وأموالهم فيء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فإنه لا عذر لك إلا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا والقعود عنا وترك ما نهجناه لك من طريقتنا ومقالتنا والسلام على من أقرّ بالحق وعمل به، لقد سار نافع في غلوائه على ما خيلت له نفسه، أنهم مثلهم، والآية وهي: ﴿ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ نزلت في طائفة ممن تكلموا بالاسلام وخرجوا مع المشركين في بدر فأصيبوا فيمن أصيب من المشركين وقيل إنهم قيس بن الفاكه والحرث بن زمعة، وقيس بن الوليد وأبو العاص بن أمية، وعلي بن أمية، وقد خرجوا مع المشركين ببدر فقتلوا كفار، أما آية ﴿فرح المخلفون﴾ فقد نزلت في جماعة من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يخرجوا معه إلى غزوة تبوك طلباً للراح والدعة وعدولاً عن تحمل المشاق في طاعة الله ومرضاته؛ أما آية ﴿وجاء المعذرون﴾ بالتخفيف؛ من يأتون بالعذر وبالتشديد من يتعذرون كأن لهم عذراً ولم يكن، أو هم المقصرون، فهم ومن كذبوا الله ورسوله فيما كانوا يظهرونه من الإيمان مسيئون فقوم عذروا، وتكلفوا عذراً بالباطل وتخلف آخرون من غير تكلف عذر وإظهار علة جرأة على الله ورسوله وما ذهب إليه في دعاء نوح، فهو من نافع في منتهى السخف فإن نوحاً لما صنع به قومه وعلم أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن دعا عليهم دعاء غضب بإهلاكهم بيد الله ولم يطلب استحلال قتلهم، وقتل أطفالهم بيده ولا بأيدي من آمن به وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوا الذرية في الحرب» قالوا: يا رسول الله أوليس هم أولاد المشركين؟ قال: «أوليس خياركم أولاد المشركين» أما كفاركم فإن الله خوف بها كفار مكة، وبأنهم ليسوا أفضل من قوم نوح وعاد وثمود لا في القوة ولا في الثروة ولا في كثرة العدد فإذا هلك هؤلاء فما الذي يؤمنكم أن ينزل بكم ما نزل بهم؟ ألكم براءة من العذاب في الكتب السالفة أن لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية، فليس فيها، ما تغالى فيه نافع، ومن العجب أن يجعل الموحدين كمشركي العرب وتحل دماؤهم أموالهم، ودماؤهم وأموالهم حرام لا تحل إلا بحقها، فقد باء وأصحابه بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين. (الكامل ثالث ص ١٧٥، مجمع البيان ثان ٩٨ ثالث ص ٥٦ و ٥٩ خامس ص ١٩٣، شرح الكامل سابع ص ٢٣٧).

واختلف أصحابه بعد ذلك فمنهم من وافقه وعذر [1] بالجهالات في الحكم الاجتهادي، وقالوا الدين أمران:

أحدهما: معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم السلام، وتحريم دماء المسلمين يعنون موافقيهم، والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا واجب على الجميع، والجهل به لا يعذر فيه.

والثاني: ما سوى ذلك فالناس معذورون فيه إلى أن يقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام، قالوا: ومن خاف العذاب على المجتهد المخطىء في الأحكام، قبل قيام الحجة عليه فهو كافر، واستحل نجدة بن عامر دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في دار التقية، وحكم بالبراءة ممن حرمها، وتولى أصحاب الحدود من موافقيه [2] وقال: لعل الله تعالى يعفو عنهم، وإن عذبهم ففي غير النار، ثم يدخلهم الجنة، فلا تجوز البراءة[3] عنهم، وقال من نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة وأصر عليها فهو مشرك، ومن

---

(١) وكان السبب في ذلك أنه بعث ابنه مع جنده من عسكره إلى القطيف، فأغاروا عليها وسبوا منها النساء والذرية وقوموا النساء على أنفسهم ونكحوهن قبل إخراج الخُمس من الغنيمة وقالوا: إن دخلت النساء في قسمنا فهو مرادنا، وإن زادت قيمهن على نصيبنا من الغنيمة غرمنا الزيادة من أموالنا، فلما رجعوا إلى نجدة سألوه عما فعلوا من وطء النساء ومن أكل طعام الغنيمة قبل إخراج الخُمس منها وقبل قسمة أربعة أخماسها بين الغانمين فقال لهم: لم يكن لكم ذلك، فقالوا لم نعلم أن ذلك لا يحل لنا. فعذرهم بالجهالة ثم قال: إن الدين أمران أحدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسله، وتحريم دماء المسلمين وتحريم غصب أموال المسلمين والإقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة، فهذا واجب معرفته على كل مكلف، وما سواه فالناس معذورون بجهالته حتى يقيم عليه الحجة في الحلال والحرام فمن استحل باجتهاده شيئاً محرماً فهو معذور، ومن خاف العذاب على المجتهد المخطىء قبل قيام الحجة عليه فهو كافر. (الفرق بين الفرق ص ٦٧).

(٢) إن النجدات من الخوارج لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم ويقول من استحل باجتهاده شيئاً محرماً فهو معذور، وزاد على ذلك أن تولاهم وقال: لعل الله يعذبهم بذنوبهم في غير نار جهنم ثم يدجلهم الجنة، فهو يخالف بذلك إجماع المسلمين، ويتألى على الله فيما ذهب إليه.

(٣) وزعم أن النار يدخلها من خالفه، وهذا ضلال، إذ أن العصاة خالفوه، أم أطاعوه يعاقبون في النار ثم يخرجون منها بشفاعة المصطفى ﷺ وبشفاعة العلماء والزهاد والعباد وشفاعة أطفال المؤمنين فمن لم تسعه شفاعة هؤلاء وكان قد سبق لهم الإيمان فإنه يخرج من النار برحمة الله جل جلاله، وأما برحمة الجبار، ولا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، والمؤمن لا يصير كافراً بالمعصية، ولا يخرج بها عن الإيمان لأن معصيته كائنة في طرف من الأطراف لا تنافي إيماناً في القلب، وقد قال الله تعالى: ﴿إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ وقال ﷺ: «لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر» أي من الكفر، ومثقال ذرة من الإيمان اعتقاد مستخلص عن الشرك والإفك لم يستحق صاحبه اسم الإيمان كما بيّنه الشافعي في قوله: (الشرك يشركه الشرك والإسلام لا يشركه الشرك). (الفرق بين الفرق ص ٦٨، التبصير ص ١٠٦).

زنا وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك، وغلظ على الناس في حد الخمر تغليظاً شديداً، ولما كاتب بعد الملك بن مروان وأعطاه الرضا نقم عليه أصحابه فيه فاستتابوه فأظهر التوبة فتركوا النقمة عليه، والتعرض له، وندمت طائفة على هذه الاستتابة، وقالوا: أخطأ، وما كان لنا أن نستتيب الإمام وما كان له أن يستتيب باستتابتنا إياه، فتابوا عن ذلك وأظهروا الخطأ، وقالوا له تب عن توبتك وإلا نابذناك فتاب من توبته وفارقه أبو فديك وعطية ووثب عليه أبو فديك فقتله ثم برىء أبو فديك من عطية، وعطية من أبي فديك، وانفذ عبد الملك بن مروان، عثمان بن عبيد الله بن معمر، إلى حرب أبي فديك فحاربه أياماً فقتله، ولحق عطية بأرض سجستان ويقال لأصحابه العطوية، ومن أصحابه عبد الكريم بن عجرد زعيم العجاردة، وإنما قيل للنجدات العاذرية لأنهم عذروا بالجهالات في أحكام الفروع، وحكى الكعبي عن النجدات أن التقية جائزة في القول والعمل كله، وإن كان في قتل النفس، قال:

وأجمعت النجدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام [1] قط، وإنما عليهم أن يتناصفوا [2] فيما بينهم، فإن رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فاقاموه جاز.

ثم افترقوا بعد نجدة، إلى عطوية [3]، وفديكية [4]، وبرىء كل واحد منهما عن صاحبه بعد قتل نجدة وصارت الدار لأبي فديك إلا من تولى نجدة [5]، وأهل سجستان، وخراسان، وكرمان، وقهستان من الخوارج، عَلَى مذهب عطية، وقيل: كان نجدة بن

(١) قال جمهور أصحابنا من المتكلمين والفقهاء مع الشيعة والخوارج وأكثر المعتزلة، بوجوب الإمامة، وأنها فرض واجب إقامته وواجب إتباع المنصوب له، وأنه لا بد للمسلمين من إمام ينفذ أحكامهم ويقيم حدودهم ويغزي جيوشهم، ويزوج الأيامى ويقسم الفيء بينهم (أصول الدين ص ٢٧١).

(٢) وقد زعم الأصم أن الناس لو كفوا عن المظالم لاستغنوا عن الإمام، فذهابه أن الأمة إذا تناصفت استغنت عن الإمام يدفعه أنهم مع التناصف لا بد لهم من قائم بحفظ أموال اليتامى والمجانين وتوجيه السرايا إلى حرب الأعداء والذب عن البيضة ونحوها من الأحكام التي يتولاها الإمام أو منصوب من قبله (أصول الدين ص ٢٧١ - ٢٧٢).

(٣) العطوية، من الخوارج نسبوا إلى عطية بن الأسود اليمامي الحنفي. (تاج عاشر ص ٢٤٦).

(٤) الفديكية قوم من الخوارج نسبوا إلى أبي فديك الخارجي أحد بني قيس بن ثعلبة، وقد اختاره نجدة، ثم أن أبا فديك أنفذ إلى نجدة بعد من قتله، ثم تولاه بعد قتله طوائف من أصحابه بعد أن تفرقوا عليه، وقالوا: قتل مظلوماً. (تاج سابع ص ١٦٦، ابن أبي الحديد أول ص ٣٨١).

(٥) وهم فرقة من النجدات بعدوا عن اليمامة وكانوا بناحية البصرة، شكوا فيما حكى من أحداث نجدة، وتوقفوا في أمره وقالوا: لا ندري هل أحدث تلك الأحداث أم لا فلا نبرأ منه إلا باليقين. (الفرق بين الفرق ص ٦٩).

عامر، ونافع بن الأزرق، قد اجتمعا بمكة مع الخوارج على ابن الزبير، ثم تفرقا عنه فاختلف نافع ونجدة، فصار نافع إلى البصرة، ونجدة إلى اليمامة، وكان سبب اختلافهما أن نافعاً قال التقية [1] لا تحل، والقعود عن القتال كفر، واحتج بقول الله تعالى: ﴿ إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله﴾ [النساء: ٧٧] وبقوله تعالى: ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤] وخالفه نجدة وقال: التقية جائزة واحتج بقوله تعالى: ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة [2]﴾ [آل عمران: ٢٨] وبقوله تعالى: ﴿ وقال رجل

---

(١) التقية الإظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب للخوف على النفس.

وقالوا: إنما كانت التقية في جدة الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام والمسلمين فليس لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم. قال يحيى البكاء: قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج: إن الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، فقال سعيد: ليس في الأمان تقية إنما التقية في الحرب وقيل: إنما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان وللتقية أحكام:

(١) إنما تكون التقية إذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم بلسانه وقلبه مطمئن بإيمانه.

(٢) لو أنه أفصح بالإيمان والخوف حيث تجوز له التقية كان ذلك أفضل.

(٣) إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة، وقد تجوز فيما يتعلق بإظهار الدين فأما ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال والشهادة بالزور وقذف المحصنات وإطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة.

(٤) ظاهر الآية: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين إلا أن مذهب الشافعي أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس.

(٥) التقية جائزة لصون النفس، وكذا لصون المال لقوله ﷺ: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» ولقوله: «من قتل دون ماله فهو شهيد»، ولأن الحاجة إلى المال شديدة، والماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز ههنا.

(٦) قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتاً في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة دولة الإسلام فلا، وروى عوف عن الحسن أنه قال: التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة، وهذا القول أولى لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان. (لباب التأويل أول ص ٢٨٣، الرازي ثان ص ٤٥١).

(٢) فالتقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس، وقال الطبري وقال أصحابنا: إنها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة وربما وجبت فيها بضرب من اللطف والاستصلاح وظاهر الروايات تدل على أنها واجبة فيها إن من خاف في بعض البلدان من شر الكفار فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: إنا لنكشر في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم، وقال ابن عباس: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان، وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء، والضحاك والربيع بن أنس ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ وقال البخاري، قال الحسن: التقية إلى يوم =

مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ [غافر: ٢٨] وقال القعود جائز، والجهاد إذا أمكنه أفضل، ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾ [النساء: ٩٥] وقال نافع هذا في أصحاب النبي ﷺ حين كانوا مقهورين، وأما في غيرهم مع الإمكان فالقعدة كفر لقوله تعالى: ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ [التوبة: ٩٠].

البيهسية(١)

أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة، وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد فهرب إلى المدينة فطلبه بها عثمان بن جيان (٢) المري، فظفر به وحبسه، وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه، ثم يقتله، ففعل به ذلك، وكفر أبو بيهس إبراهيم (٣) وميموناً (٤) في اختلافهما في بيع الأمة، وكذلك كفر

= القيامة عند الخوف على النفس، وقد رؤي رخصة في جواز الإفصاح بالحق، وروى الحسن أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال نعم. قال: أفتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم. ثم قال: أفتشهد أني رسول الله؟ فقال: إني أصم قالها ثلاثاً كل ذلك يجيبه بمثل الأول فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله، فقال: أما ذلك المقتول فمضى على صدقه ويقينه وأخذ بفضله فهنيئاً له، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه فعلى هذا تكون التقية رخصة والإفصاح بالحق فضيلة. (ابن كثير أول ص ٣٥٧، الطبرسي أول ص ٤٣٠).

(١) البيهسية ينسبون إلى أبي البيهس من بني سعد بن ضبيعة بن قيس واسمه هيصم بن جابر أقبل على ابن إباض فقال: إن نافعاً غلا فكفر وإنك قصرت فكفرت، تزعم أن من خالفنا ليس بمشرك وإنما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب وإقرارهم بالرسول،وتزعم أن مناكحتهم ومواريثهم والاقامة فيهم حل طلق وأنا أقول أن أعداءنا كأعداء رسول الله ﷺ تحل لنا الاقامة فيهم كمافعل المسلمون في إقامتهم بمكة، وأحكام المشركين تجري فيها وأزعم أن مناكحهم ومواريثهم تجوز لأنهم منافقون يظهرون الاسلام وأن حكمهم عند الله حكم المشركين، هذا، وقد كان الهيصم مفسداً في الأرض فقتله عثمان بن جيان المري والي المدينة، بعد أن قطع يديه، ورجليه أيام الوليد. (الكامل ثالث ص ١٧٣ والمعزف ص ٢٠٦ والأغاني ص ١١ ص ٩٢).

(٢) عثمان بن جيان المري وفي التقريب بالزاي ونون المزني أبو المغراء الدمشقي، مولى أم الدرداء، استعمله الوليد على المدينة، سنة ٩٣، وعرف بالجور، وقد وصفه به عمر بن عبد العزيز، مات سنة خمسين ومائة (تهذيب التهذيب سابع ص ١١٣، التقريب ص ١٤١).

(٣) إبراهيم، وكان من الإباضية، وقد باع جاريته في الاعراب فقال له ميمون: كيف تبيع جارية مؤمنة إلى الكفرة؟ فقال له إبراهيم: إن الله تعالى أحلّ البيع وقد مضى أصحابنا وهم يستحلون ذلك فتبرأ منه ميمون وتوقف آخرون، وقد تبع إبراهيم على إجازة هذا البيع قوم يقال لهم الضحاكية وأجازوا نكاح المسلمة من كفار قومهم في دار التقية فأما دار حكمهم فلا يستحلون ذلك وقد كفروا إبراهيم إذ لم يتبرأ من أهل الوقف. (الفرق بين الفرق ص ٨٧).

(٤) ميمون بن عمران، وكان من الخوارج على مذهب العجاردة، ثم خالفهم ورجع إلى مذهب القدرية في =

الواقفية، وزعم أنه لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله تعالى، ومعرفة رسله، ومعرفة ما جاء به النبي ﷺ، والولاية لأولياء الله تعالى، والبراءة من أعداء الله، فمن جملة ما ورد به الشرع، مما حرم الله، وجاء به الوعيد فلا يسعه إلا معرفته بعينه، وتفسيره والاحتراز عنه، ومنه ما ينبغي أن يعرفه باسمه، ولا يضر أن لا يعرفه بتفسيره، حتى يبتلي به، وعليه أن يقف عند ما لا يعلم، ولا يأتي بشيء ألا بعلم، وبرىء أبو بيهس عن الواقفية [1]، لقولهم إنا نقف فيمن واقع الحرام، وهو لا يعلم أحلال واقع أم حرام، قال كان من حقه أن يعلم ذلك، والإيمان هو أن يعلم كل حق من باطل وأن الإيمان هن العلم بالقلب، دون القول والعمل، يحكى عنه أنه قال: الإيمان هو الإقرار والعلم، وليس هو أحد الأمرين دون الآخر.

وعامة البيهسية على أن العلم والإقرار والعمل كله إيمان، وذهب قوم منهم إلى أن ما يحرم سوى ما في قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً، على طاعم يطعمه﴾ [الأنعام: ١٤٥] وما سوى ذلك فكله حلال.

ومن البيهسية قوم يقال لهم العونية، وهم فرقتان تقول من رجع إلى دار الهجرة إلى القعود برئنا منه، وفرقة تقول بل نتولاهم، لأنهم رجعوا إلى أمر كان حلالاً لهم، والفرقتان على أن الإمام إذا كفر كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد.

ومن البيهسية صنف يقال لهم أصحاب التفسير، وزعموا أن من شهد من المسلمين شهادة أخذ بتفسيرها وكيفيتها، وصنف يقال لهم أصحاب السؤال قالوا إن الرجل يكون مسلماً إذا شهد الشهادتين وتبرأ وتولى وآمن بما جاء من عند الله جملة، وإن لم يعلم فيسأل ما افترض الله عليه ولا يضره أن لا يعلم حتى يبتلي به فيسأله، وإن واقع

= باب القدر، والارادة والاستطاعة ثم اختار من دين المجوس استحلال بنات وبنات البنين وأباح لأتباعه التزوج بهن وكذلك أباح لهم التزوج ببنات الأخوة والأخوات وكان ينكر سورة يوسف ويقول: إنها ليست من القرآن. (التبصير ص ٨٣).

(١) الواقفية، طائفة من الخوارج، الاباضية، وقصتهم، أن رجلاً من الإباضية اسمه إبراهيم أضاف جماعة من أهل مذهبه وكانت له جارية على مذهبه قال لها قدمي شيئاً فأبطأت فحلف ليبيعها من الأعراب وكان فيما بينهم رجل اسمه ميمون، من العجاردة فقال له: تبيع جارية مؤمنة من قوم كفار فقال: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ وعليه كان أصحابنا وطال الكلام بينهما حتى تبرأ كل واحد منهما من صاحبه وتوقف قوم منهم في كفرهما وكتبوا إلى علمائهم فرجع الجواب بجواز ذلك البيع وبوجوب التوبة على ميمون وعلى كل من توقف في نصر ابراهيم فمن ههنا افترقوا ثلاث فرق الإبراهيمية والميمونية والواقفية. (التبصير ص ٣٥).

حراماً لم يعلم تحريمه فقد كفر ، وقالوا في الأطفال بقول الثعلبية، وإن أطفال المؤمنين مؤمنون، وأطفال الكافرين كافرون، ووافقوا القدرية في القدر، وقالوا إن الله تعالى فوض إلى العباد، فليس لله في أعمال العباد مشيئة، فبرئت منهم عامة البيهسية، وقال بعض البيهسية إن واقع الرجل حراماً لم يحكم بكفره حتى يرفع أمره إلى الإمام والوالي ويحده، وكل ما ليس فيه حد فهو مغفور، وقال بعضهم: إن السكر إذا كان من شراب حلال فلا يؤاخذ صاحبه بما قال فيه وفعل، وقالت العونية، السكر كفر، ولا يشهدون أنه كفر ما لم ينضم إليه كبيرة أخرى من ترك الصلاة، أو قذف المحصن، ومن الخوارج أصحاب [1] صالح بن مسرح ولم يبلغنا عنه أنه أحدث قولاً تميز به عن أصحابه فخرج على بشر بن مروان [2]، فبعث إليه بشر، الحارث بن عميرة [3] أو الأشعث بن عميرة الهمداني أنفذه الحجاج لقتاله، فأصابت صالحاً جراحة في قصر جلولاء فاستخلف مكانه شبيب بن يزيد الشيباني ويكنى أبا الصحارى وهو الذي غلب على الكوفة، وقتل من جيش الحجاج أربعة وعشرين أميراً (من) أمراء الجيوش، ثم انهزم إلى الأهواز وغرق في نهر الأهواز وذكر اليمان [4] ابن رباب أن الشبيبية يسمون مرجئة الخوارج لما ذهبوا إليه من الوقف في أمر صالح ، ويحكى عنه أنه برىء منه وفارقه ثم خرج يدّعي الإمامة

---

(١) صالح بن مسرح أحد بني امرىء القيس وكان أحد الخوارج الصفرية وكان ناسكاً وصاحب عبادة وله أصحاب يقرئهم القرآن، ويفقههم في الدين ويقص عليهم القصص وكان يدعو إلى مجاهدة أئمة الضلال وقد سرح إليه الحجاج أيام بشر بن مروان، الحرث بن عميرة الهمذاني فقتل صالح المذبح من أرض الموصل، سنة ست وسبعين. (ابن أبي الحديد أول ص ٤٠٩ الطبري سابع ص ٢١٧).

(٢) بشر بن مروان بن الحكم الأموي، أميراً كان سمحاً جواداً ولي إمرة العراقين لأخيه عبد الملك، في سنة خمس وسبعين بالبصرة وهو أول أمير مات بالبصرة، توفي عن نيف وأربعين سنة (الأعلام أول ص ١٤٧).

(٣) الحرث بن عميرة الهمذاني من قواد الأمويين وهو الذي يقول فيه أعشى همذان:

إن المكارم أكملت أسبابها ... لابن الليوث الغر من قحطان
الفارس الحامي الحقيقة معلماً ... زاد الرقاق وفارس الفرسان
الحرث بن عميرة الليث الذي ... يحمي العراق إلى قرى كرمان
ود الأزارق لو يصاب بطعنة ... ويموت من فرسانهم مائتان

وقد قتل صالح بن مسرح فكرّ عليه شبيب، فضارب الحرث حتى صرع واحتمله أصحابه وانهزموا فكان أول جيش هزمه شبيب. (الكامل ثالث ص ٢٠٢ الطبري سابع ص ٢٢١).

(٤) اليمان بن رباب خراساني قال الدارقطني ضعيف من الخوارج، وهو من جلتهم ورؤسائهم وكان أولاً ثعلبياً ثم انتقل إلى قول البيهسية وكان نظاراً متكلماً، مصنفاً للكتب، وله كتاب التوحيد وكتاب الردّ على المعتزلة في القدر وكتاب الردّ على المرجئة وكتاب الردّ على حماد بن أبي حنيفة. (لسان الميزان سادس ص ٣١٦ فهرست ابن النديم ص ٨٢٥).

ومذهب [1] شبيب ما ذكرناه من مذهب البيهسية إلا أن شوكته وقوته ومقاماته مع المخالفين، مما لم يكن لخارج من الخوارج، وقصته مذكورة في التواريخ.

العجاردة

أصحاب عبد الكريم [2] بن عجرد، وافق النجدات في بدعهم، وقيل إنه كان من أصحاب أبي بيهس ثم خالفه وتفرد بقوله، تجب البراءة عن الطفل حتى يدعى إلى الإسلام، ويجب دعاؤه إذا بلغ وأطفال المشركين في النار مع آبائهم، ولا يرى المال فيئاً حتى يقتل صاحبه، وهم يتولون القعدة إذا عرفوهم بالديانة، ويرون الهجرة فضيلة لا فرضاً، ويكفرون بالكبائر، ويحكى عنهم أنهم ينكرون [3] كون سورة يوسف من القرآن، ويزعمون أنها قصة من القصص، قالوا: ولا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن، ثم إن العجاردة افترقت أصنافاً ولكل صنف مذهب على حياله، إلا أنهم لما كانوا من جملة العجاردة أوردناهم على حكم التفصيل في الجدول والضلع[4].

١ ـ الصلتية أصحاب عثمان بن أبي الصلت [5] أو الصلت بن أبي الصلت تفردوا

---

(١) ومن العجب العاجب أن الخوارج خرجوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالوا: لِمَ خرجت من بيتها والله تعالى يقول: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ من أن شبيباً خرج ومعه أمه غزالة وامرأته جهيرة مع مائة وخمسين امرأة تقلدن السيوف واعتقلن الرماح، وانتبرت أمه المنبر وخطبت. ولما غرق شبيب بايع الخوارج أمه وجوزوا إمامتها فهلا تلوا هذه الآية عليها ومن معها ومنعوهن الفتنة، غير أن الخذلان لا يقاس عليه. ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾. (التبصير ص ٣٦).

(٢) عبد الكريم بن عجرد «وعجرد كعملس»، وهو رئيس العجاردة وكان من أتباع عطية بن أسود الحنفي وقد حبسه السلطان، ولما اختلف من أتباعه ميمون وشبيب، في المشيئة كتب إليه أتباعه وهو في حبس السلطان في ذلك، فكتب في جوابهم إنما نقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا نلحق بالله سوءاً، فوصل الجواب إليهم بعد موت ابن عجرد، وادعى ميمون أنه قال بقوله لأنه قال: لا نلحق بالله سوءاً. وقال شعيب بل قال بقولي، لأنه قال نقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. (الفرق بين الفرق ص ٧٤).

(٣) إنكارهم أن سورة يوسف من القرآن، خروج على كتاب الله تعالى وكفر به، فمنكر بعض القرآن كمنكر كله. هذا وقد ثبت فضلها بما رواه أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال: علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً، وقال ﷺ: «من قرأ سورة يوسف في كل يوم أو في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيامة وكان من خيار عباد الله الصالحين».

(٤) اكتفينا عن الجدول والضلع بالرقم.

(٥) الصلتية، في التبصير والفرق بين الفرق أنهم أتباع صلت بن عثمان، وفي الاعتقادات والتعريفات =

عن العجاردة بأن الرجل إذا أسلم تـولیناه، وتبرأنـا من أطفـاله حتى يـدركوا، فيقبلوا الإسلام، ويحكى عن جماعة منهم أنهم قالوا: ليس لأطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة حتى يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقروا أو ينكروا.

٢ ـ الحمزية أصحاب حمزة [١] بن أدرك وافقوا الميمونية في القدر وفي سـائر بدعها إلا في أطفال مخاليفهم والمشركين فانهم قالوا: هؤلاء كلهم في النار، وكان حمزة من أصحاب الحصين بن الرقاد، الذي خرج بسجستان من أهل أوق وخالفه خلف الخارجي في القول بالقدر واستحقاق الرياسة فبرىء كل واحد منهما عن صاحبـه وجوز حمـزة إمامين في عصر واحد ما لم تجتمع الكلمة أو تقهر الأعداء.

٣ ـ الخلفية أصحاب خلف [٢] الخارجي وهم خوارج كرمان ومكـران خالفـوا الحمزية في القول بالقدر وأضافوا القدر خيره وشره إلى الله تعالى، وسلكوا في ذلك مذهب أهل السنة، وقالوا: الحمزية ناقضوا حيث قالوا: لو عذب الله العباد على أفعال قدرها عليهم أو على ما لم يفعلوه كان ظالماً، وقضوا بأن أطفال المشركين في النار، ولا عمل لهم ولا شرك فهذا من أعجب ما يعتقد من التناقض.

= والمقريزي أنهم أتباع عثمان بن أبي الصلت وهم كالعجاردة، وعندهم أن من دخل في مذهبهم فهو مسلم، قالوا ومن أسلم واستجار بنا توليناه، وبرئنا من أطفاله حتى يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقبلوا. (التبصير ص ٣٣ والفرق بين الفرق ص ٧٦ والمقريزي رابع ص ١٧٩ والتعريفات ص ٩٠ والاعتقادات ص ٤٨).

(١) حمزة بن أدرك الشامي الخارجي، عاش بسجستان، وخراسان ومكران وقهستان وكرمان، وهزم الجيوش الكثيرة، وكان في الأصل من العجاردة الجازمية، ثم خالفهم في باب القدر والاستطاعة فقال فيهما بقول القدرية فأكفرته الجازمية في ذلك، ثم زعم أن أطفال المشركين في النار، فأكفرته القدرية في ذلك ثم أنه والى القعد من الخوارج مع قوله بتكفير من لا يوافقه على قتال مخالفيه، واعتباره إياهم مشركين وقد ظهر أيام الرشيد سنة ١٧٩ وبقي إلى صدر من خلافة المأمون وقد بدأ بقتال البيهسية من الخوارج وقتل الكثير منهم فسموه أمير المؤمنين. قال طلحة بن فهد في ذلك:

أمـيـر الـمـؤمـنـيـن عـلـى رشـاد ... وخـيـر هـدايـة نـعـم الأمـيـر

أمـيـر يـفـضـل الأمـراء طـراً ... كـمـا فضـل الـسـهـا الـقـمـر الـمـنـيـر

وقد بعث إليه المأمون بكتاب، يستدعيه فيه إلى طاعته فما ازداد إلاّ عتواً في أمره، حتى خرج إليه عبد الرحمن النيسابوري فهزم حمزة وقتلت الألوف من أصحابه وانفلت منهم حمزة جريحاً ومات في هزيمته. (المقريزي رابع ص ١٧٩ الفرق بين الفرق ص ٧٦).

(٢) الخلفية أتباع خلف الذي قاتل حمزة الخارجي، والخلفية لا يرون القتال إلا مع منهم وقد كفوا أيديهم عن القتال لفقدهم من يصلح للإمامة منهم، وصارت الخلفية إلى قول الأزارقة في شيء واحد وهو دعواهم أن أطفال مخالفيهم في النار، وهم لا يرون أن الخير والشر من الله تعالى. (الفرق بين الفرق ص ٧٥ الاعتقادات ص ٤٨).

٤ ـ الشعيبية أصحاب شعيب بن محمد وكان مع ميمون من جملة العجاردة إلا أنه برىء منه حين أظهر القول بالقدر [١]، قال شعيب: إن الله خالق أعمال العباد، والعبد مكتسب لها قدرة وإرادة، مسؤول عنها خيراً مجازي عليها ثواباً وعقاباً ولا يكون شيء في الوجود إلا بمشيئة الله تعالى، وهو على بدع الخوارج في الإمامة والوعيد وعلى بدع العجاردة في حكم الأطفال وحكم القعدة والولي والتبرِّي.

٥ ـ الميمونية أصحاب ميمون [٢] بن خالد، كان من جملة العجاردة إلا أنه تفرد عنهم بإثبات القدر خيره وشره من العبد، وإثبات الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً، وإثبات الاستطاعة قبل الفعل، والقول بأن الله تعالى يريد الخير دون الشر، وليس له مشيئة في معاصي العباد، وذكر الحسين الكرابيسي [٣] في كتابه الذي حكى فيه مقالات الخوارج أن الميمونية يجيزون نكاح بنات البنات، وبنات أولاد الإخوة والأخوات، وقال إن الله حرم نكاح البنات وبنات الإخوة والأخوات ولم يحرم نكاح بنات أولاد هؤلاء ويحكي الكعبي والأشعري عن الميمونية إنكار أن تكون سورة يوسف من القرآن، وقالوا بوجوب قتل السلطان وحده، ومن رضي بحكمه، فأما من أنكره فلا يجوز قتاله إلا إذا أعان عليه أو طعن في دين الخوارج، أو صار دليلاً للسلطان، وأطفال الكفار عندهم في الجنة.

٦ ـ الأطرافية فرقة [٤] على مذهب حمزة في القول بالقدر إلا أنهم عذروا أصحاب

---

(١) وكان السبب أنه كان لميمون على شعيب مال فتقاضاه فقال له شعيب: أعطيكه إن شاء الله فقال له ميمون: قد شاء الله ذلك الساعة فقال شعيب: لو كان قد شاء ذلك لم أستطع إلا أن أعطيكه، فقال ميمون: قد أمرك الله بذلك وكل ما أمر به فقد شاء وما لم يشأ لم يأمر به فافترقت العجاردة عند ذلك، فتبع قوم شعيباً، وتبع اخرون إلى ميمون. (الفرق بين الفرق ص ٧٤).

(٢) الميمونية، أتباع ميمون بن عمران، وكان على مذهب العجاردة من الخوارج، ثم أنه خالف العجاردة في الإرادة والقدر والاستطاعة وقال فيها بقول القدرية والمعتزلة عن الحق، ووافق المجوس فيما أباحوه، من نكاح بنات الأولاد، وبنات البنين، وبنات أولاد الأخوة والأخوات إذ آية التحريم لم تشملهن، وأنكر سورة يوسف ويقول: إنها ليست من القرآن، فلا يجوز من كان مثلهم أن يعد من فرق الإسلام (خطط رابع ص ١٧٩ الفرق بين الفرق ص ٢٦٤).

(٣) أبو علي الحسين بن علي المهلبي الكرابيسي، وكان من المجبرة، عارفاً بالحديث، والفقه، وله تصانيف، وكان حافظاً لمصنفاته وله كتاب المدلسين في الحديث، وكتاب الإمامة غمز فيه على علي، وكتابه في القضاء يدل على سعة علمه وتبحره، ويقال أنه من جملة مشايخ البخاري توفي سنة ٢٥٦. (لسان الميزان ثان ص ٣٠٣ فهرست ابن النديم ص ٢٥٦).

(٤) الاطرافية، سموا بذلك، لقولهم أن من لم يعلم أحكام الشريعة من أصحاب أطراف العالم فهو معذور، وقد وافقوا أهل السنة في أصولهم. (اعتقادات ص ٤٨ تعريفات ص ١٩).

الأطراف في ترك ما لم يعرفوه من الشريعة إذا أتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل وأثبتوا واجبات عقلية كما قالت القدرية ورئيسهم غالب بن شاذان من سجستان، وخالفهم عبد الله السرنوي [1] وتبرأ منهم، ومنهم: المحمدية أصحاب محمد بن رزق وكان من أصحاب الحصين ثم برىء منه.

٧ ـ الجازمية [2] أصحاب جازم بن علي (فرقة) على قول شعيب في أن الله تعالى خالق أعمال العباد ولا يكون في سلطانه إلا ما يشاء، وقالوا بالموافاة وأن الله تعالى إنما يتولى العباد على ما علم أنهم صائرون إليه في آخر أمرهم من الإيمان ويتبرأ منهم عَلَى ما علم أنهم صائرون إليه في آخر أمرهم من الكفر، وأنه سبحانه لم يزل محباً لأوليائه مبغضاً لأعدائه، ويحكى عنهم أنهم يتوقفون في أمر عليّ عليه السلام ولا يصرحون بالبراءة [3] عنه، ويصرحون بالبراءة في حق غيره.

٨ ـ الثعالبة من ذلك أصحاب ثعلبة [4] بن عامر كان مع عبد الكريم بن عجرد يداً

---

(١) السرنوي، نسبته إلى سرنو، من قرى استراباذ من نواحي طبرستان (معجم خامس ص ٧٦).

(٢) الجازمية، أصحاب جازم، هؤلاء أكثر عجاردة سجستان، وقد قالوا في باب القدر والاستطاعة والمشيئة بقول أهل السنّة، أن لا خالق إلا الله، ولا يكون إلا ما شاء الله؛ وأن الاستطاعة مع الفعل وأكفروا الميمونية الذين قالوا في باب القدر والاستطاعة بقول القدرية، ثم أن الجازمية خالفوا أكثر الخوارج في الولاية والعداوة، وقالوا أنهما صفتان لله تعالى وأن الله يتولى العبد على ما هو صائر إليه من الإيمان أو الكفر وأنه تعالى لم يزل محباً لأوليائه ومبغضاً لأعدائه. وفي التعريفات الجازمية هم أصحاب جازم بن عاصم وافقوا الشعيبية. (الفرق بين الفرق ص ٧٣ تعريفات ص ٥٠).

(٣) أهل السنّة ألزموا الجازمية على قولها بالموافاة أن يكون علي وطلحة والزبير وعثمان من أهل الجنة لأنهم من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾، وقالوا لهم: إذا كان الرضا من الله تعالى عن العبد إنما يكون عن علم أنه يموت على الإيمان، وجب أن يكون المبايعون تحت الشجرة على هذه الصفة وكان علي وطلحة والزبير منهم، وعثمان بايع له النبي عليه السلام وجعل يده بدلاً عن يده وصح بهذا بطلان قول من أكفر هؤلاء أو توقف في أمر علي. (الفرق بين الفرق ص ٧٣).

(٤) في المقريزي، أنه ثعلبة بن عامر، وفي التبصير، والفرق بين الفرق أنه ثعلبة بن مشكان، وسبب اختلافه مع ابن عجرد، أن رجلاً من العجاردة خطب إلى ثعلبة بنته، فقال له: بيّن مهرها فأرسل الخاطب امرأة إلى أم تلك البنت يسألها هل بلغت البنت، فإن كانت قد بلغت وقبلت الإسلام على الشرط الذي تعتبره العجاردة لم يبال كم كان مهرها. فقالت أمها: هي مسلمة في الولاية بلغت أم لم تبلغ فأخبر بذلك عبد الكريم بن عجرد وثعلبة بن مشكان فاختار عبد الكريم البراءة من الأطفال قبل البلوغ، وقال ثعلبة: نحن على ولايتهم صغاراً وكباراً إلى أن يبين لنا منهم إنكار للحق فلما اختلفا في ذلك برىء كل واحد منهما من صاحبه وصار ثعلبة إماماً. (المقريزي رابع ص ١٧٩ التبصير ص ٣٣ الفرق بين الفرق ص ٨٠).

واحداً إلى أن اختلفا في أمر الطفل فقال ثعلبة: أنا على ولا يتهم صغاراً وكباراً حتى نرى منهم إنكاراً للحق ورضى بالجور فتبرأت العجاردة من ثعلبة.

نقل عنه أيضاً أنه قال: ليس لهم حكم في حال الطفولية من ولاية وعداوة حتى يدركوا ويدعوا فان قبلوا فذاك وان أنكروا كفروا، وكان يرى أخذ الزكوات من عبيدهم، وقال إني لا أبرأ منه بذلك ولا أدع اجتهادي في خلافه، وجوز أن يصير سهام الصدقة سهماً واحداً في حال التقية.

٩ ـ الرشيدية أصحاب رشيد الطوسي [١] ويقال لهم العشرية، وأصلهم أن الثعالبة كانوا يوجبون فيما سقي بالانهار والقنى نصف العشر، فاخبرهم زياد بن [٢] عبد الرحمن أن فيها العشر ولا يجوز البراءة ممن قال فيها نصف العشر قبل هذا، فقال الرشيد، إن لم تجز البراءة منهم فانا نعمل بما عملوا فافترقوا في ذلك فرقتين.

١٠ ـ الشيبانية. أصحاب شيبان [٣] بن سلمة، الخارج في أيام أبي مسلم [٤] وهو

---

(١) الطوسي نسبه بطوس وهي مدينة بخراسان وفي بعض بساتينها قبر علي بن موسى الرضا، وبها قبر الرشيد (معجم سادس ص ٧٠).

(٢) زياد بن عبد الرحمن رأس الزيادية، وقد أكفر أصحابه شيبان بن سلمة الخارجي في قوله بتشبيه الله سبحانه لخلقه. (الفرق بين الفرق ص ٨١)

(٣) شيبان بن سلمة من رؤوس الخوارج، خرج في أيام أبي مسلم صاحب دولة بني العباس وأعان أبا مسلم على أعدائه في حروبه، ثم أخفر عهده، فأرسل إليه أبو مسلم يدعوه إلى البيعة، فقال شيبان: أنا أدعوك إلى بيعتي، وسجن رسل أبي مسلم، فسار إلى شيبان، بسام بن إبراهيم فقتله سنة ١٣٠. (الفرق بين الفرق ص ٨١ الطبري تاسع ص ١٠٢).

(٤) أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني القائم بالدعوة العباسية، اختلف في نسبه اختلافاً كثيراً، فقيل من أصبهان، وقيل من خراسان، وقيل من العرب، ونسبه أبو دلامة إلى الأكراد فقال:

أبا مجرم ما غير الله نعمة ... على عبده حتى يغيرها العبد
أفي دولة المنصور حاولت غدرة ... ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى ... عليك بما خوفتني الاسد الورد

وكان السفاح كثير التعظيم لأبي مسلم لما صنعه ودبره، وكان أبو مسلم كثيراً ما ينشد:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
ما زلت أسعى بجهدي في دمارهم ... والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى طرقتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

وقد قتله المنصور سنة سبع وثلاثين ومائة. (ابن خلكان أول ص ٣٥٢).

المعين له، ولعلي الكرماني [1]، على نصر بن سيار [2]، وكان من الثعالبة، فلما أعانهما برئت منه الخوارج، فلما قتل شيبان ذكر قوم توبته، فقالت الثعالبة، لا تصح توبته، لأنه قتل الموافقين لنا في المذهب، وأخذ أموالهم، ولا تقبل توبة من قتل مسلماً، وأخذ ماله إلا بأن يقص من نفسه، ويرد الأموال أو يوهب له ذلك.

ومن مذهب شيبان أنه قال بالجبر، ووافق جهم بن صفوان في مذهبه الجبر، ونفي القدرة الحادثة.

وينقل عن زياد بن عبد الرحمن الشيباني أبي خالد، أنه قال: إن الله تعالى لم يعلم حتى خلق لنفسه علماً، وإن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها.

ونقل عنه أنه تبرأ من شيبان وكفره حين نصر الرجلين فوقعت عامة الشيبانية بجرجان [3] ونسا [4]، وأرمينيه [5]، والذي تولى شيبان وقال بتوبته عطية الجرجاني وأصحابه.

---

(١) علي بن جديع الكرماني، طابق أبا مسلم على حرب نصر بن سيار، وساعده في دعوته، وحاربا نصراً ومضى أبو مسلم وعلي في طلبه فوجداه قد خلف امرأته ونجا بنفسه وقد أرسل شيبان إلى ابن الكرماني يستنصره على أبي مسلم فأبى، لكن أبا مسلم قتل الكرماني سنة ١٣٠. (الطبري تاسع ص ١٠٤).

(٢) نصر بن سيار، أبو الليث ولاه هشام خراسان فلم يزل والياً عليها عشر سنين حتى وقعت الفتنة؛ وظهر أمر أبي مسلم فكتب إلى مروان بن محمد يعلمه حال أبي مسلم:

أرى بين الرماد وميض جمر ... فأحجى بأن يكون له ضرام
فإن الناس بالعودين تذكي ... وأن الحرب مبدؤها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام

فكتب إليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاحسم التؤلول قبلك فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم إلا نصر عنده ثم أنه خرج يريد العراق فمات في الطريق بناحية ساوه. (المعارف ص ١٤١ الطبري تاسع ص ٩٢).

(٣) جرجان مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، ويرتفع منها من الابريسم وثياب الابريسم ما يحمل إلى جميع الآفاق وهي مدينة حسنة على واد عظيم. (معجم ثالث ص ٧٥).

(٤) نسا، مدينة بخراسان وهي مدينة وبيئة جداً يكثر بها خروج العرق المديني حتى أن في الصيف قل من ينجو منه من أهلها. (معجم ثامن ص ٢٨٢).

(٥) أرمينية اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، وهما كبرى، وصغرى وحدهما من بردعة إلى باب الأبواب، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم. (معجم أول ص ٢٠٣).

المكرمية[1]

أصحاب مكرم بن عبد الله العجلي، من جملة الثعالبة ، وتفرد عنهم بأن قال: تارك الصلاة كافر، لا من أجل ترك الصلاة، ولكن لجهله بالله تعالى وطرد هذا في كل كبيرة يرتكبها الإنسان: وقال: إنما يكفر لجهله بالله تعالى، وذلك أن العارف بالله تعالى وأنه المطلع على سره وعلانيته، والمجازي عَلَى طاعته ومعصيته، لن يتصور منه الإقدام على المعصية، والاجتراء على المخالفة ما لم يغفل عن هذه المعرفة، ولا يبالي التكليف فيه، وعن هذا قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» الخبر، وخالفوا الثعالبة في هذا القول، وقالوا بإيمان الموافاة ، والحكم بأن الله تعالى إنما يوالي عباده ويعاديهم على ما هم صائرون إليه من موافاة الموت. لا على أعمالهم التي هم فيها، فإن ذلك ليس بموثوق به إصراراً عليه ما لم يصل المرء إلى آخر عمره ونهاية أجله، وحينئذٍ إن بقي على ما يعتقده، فذلك هو الإيمان فيواليه وان لم يبق فيعاديه، وكذلك في حق الله تعالى حكم الموالاة والمعاداة على ما علم منه حال الموافاة.

المعلومية والمجهولية: كانوا في الأصل جازمية، إلا أن المعلومية قالت من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته فهو جاهل به حتى يصير عالماً بجميع ذلك فيكون مؤمناً ، وقالت الاستطاعة مع الفعل، والفعل مخلوق العبد فبرئت منهم الجازمية.

وأما المجهولية، (فانها) قالت من علم بعض أسمائه تعالى وصفاته وجهل بعضها فقد عرف الله تعالى، وقالت أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.

---

(١) المكرمية، في المقريزي والفرق والتبصير، أنهم أتباع أبي مكرم وفي الاعتقادات أتباع مكرم، ومن قوله أن تارك الصلاة كافر لجهله بالله، وكذا في سائر الكبائر إذ يقول إن المذنبين كلهم جاهلون بالله. (المقريزي رابع ص ١٨٠، الفرق ص ٨٢، التبصير ص ٣٤، إعتقادات ٥٠).

الأباضية

الأباضية أصحاب عبد الله[1] بن أباض الذي خرج في أيام مروان[2] بن محمد فوجه إليه عبد الملك[3] بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة[4]، وقيل: إن عبد الله ابن يحيى الأباضي[5] كان رفيقاً له في جميع أحواله وأقواله، وقال: إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه[6] حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة، إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة.

وقالوا: إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم، وقالوا في مرتكبي الكبائر إنهم موحدون لا مؤمنون، وحكى الكعبي عنهم أن الاستطاعة عرض من الأعراض، وهي قبل الفعل بها يحصل الفعل، وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى إحداثاً وإبداعاً، ومكتسبة للعبد حقيقة

---

(١) عبد الله بن أباض من بني مرة بن عبيد من بني تميم، رأس الأباضية من الخوارج وهم فرقة كبيرة وكان هو فيما قيل رجع عن بدعته فتبرأ منه أصحابه واستمرت نسبتهم إليه. (المعارف ص ٢٠٥ لسان الميزان ثالث ص ٢٤٨).

(٢) مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ويلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم وبالحمار لكثرة محاربته للخارجين، والصبر على مكاره الحرب وكان مشهوراً بالفروسية والإقدام، وادهاء والعسف، قتل سنة اثنتين وثلاثين ومائة. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٦٩).

(٣) عبد الملك بن محمد بن عطية من قواد مروان بن محمد، وهو من سعد هوازن، وقد أمره أن يقاتل الخوارج، فقتل أباحمزة الخارجي، ثم قتل عبد الله بن يحيى طالب الحق، وحمل رأسه إلى مروان بالشام سنة ثلاثين ومائة ثم رجع إلى صنعاء وولاه مروان على الحج، فخرج عليه ابنا جهانة المراديان فقتلاه. (ابن الأثير خامس ص ١٥٨، ابن كثير عاشر ص ٣٦، الطبري تاسع ص ١١٠).

(٤) تبالة، بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن، فتحت سنة عشر، وهي مما يضرب المثل بخصبها. قال لبيد:

فالضيف والجار الحبيب كأنما هبطا تبالة مخصباً إهضامها

(معجم ثان ص ٣٥٧).

(٥) عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي وكان داعية الاباضية وقد جرح سنة ١٣٠ وفيها قتل بتبالة. (شذرات أول ص ١٧٧).

(٦) والذي استحلوه الخيل والسلاح، فأما الذهب والفضة فإنهم يردونهما على أصحابهما عند الغنيمة. (الفرق بين الفرق ص ٨٣).

لا مجازاً ، ولا يسمون إمامهم أمير المؤمنين ولا أنفسهم مهاجرين، وقالوا، العالم يفنى كله إذا فنى أهل التكليف.

قال: وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة، وتوقفوا في أطفال المشركين، وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلاً.

وحكى الكعبي عنهم أنهم قالوا بطاعة لا يراد بها الله تعالى كما قال أبو الهذيل.

ثم اختلفوا في النفاق أيسمى شركاً أم لا، قالوا: إن المنافقين في عهد رسول الله ﷺ كانوا موحدين، إلا أنهم ارتكبوا الكبائر فكفروا في الكبيرة لا بالشرك، وقالوا: كل شيء أمر الله تعالى به فهو عام ليس بخاص، وقد أمر به المؤمن والكافر وليس في القرآن خصوص، وقالوا: لا يخلق الله تعالى شيئاً إلا دليلاً على وحدانيته، ولا بد أن يدخل به واحداً.

وقال قوم منهم: يجوز أن يخلق الله تعالى رسولاً بلا دليل، ويكلف العباد بما يوحي إليه ،ولا يجب عليه إظهار المعجزة ولا يجب على الله تعالى ذلك إلى أن يظهر دليلاً ويخلق معجزة، وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم تفرق الثعالبة والعجاردة.

الحفصية

الحفصية [1] منهم أصحاب حفص بن أبي المقدام، تميز عنهم بأن قال، إن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة، وهي معرفة الله تعالى وحده ، فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب ، أو قيامة، أو جنة أو نار، وارتكب الكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر، لكنه بريء من الشرك.

---

(١) الحفصية، أتباع حفص بن أبي المقدام أحد أصحاب عبد الله بن أباض تفرد بقوله: من عرف الله تعالى وكفر بما سواه من رسول وغيره فهو كافر وليس بمشرك ويقول: إن بين الإيمان والشرك معرفة الله فإنها خصلة متوسطة بينهما، وأنكر عليه الأباضية ذلك. (المقريزي رابع ص ١٨٠ التعريفات ص ٦١).

الحارثية

الحارثية [1] أصحاب الحارث الأباضي خالف الأباضية في قوله بالقدر على مذهب المعتزلة ، وفي الاستطاعة قبل الفعل، وفي إثبات طاعة لا يراد بها الله تعالى .

اليزيدية

اليزيدية [2] أصحاب يزيد بن أنيسة الذي قال بتولي المحكمة الأولى قبل الازارقة وتبرأ ممن بعدهم إلا الأباضية فإنه يتولاهم، وزعم أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً قد كتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة؛ ويترك شريعة المصطفى محمد ﷺ ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن، وليست هي الصابئة الموجودة بحران[3] وواسط[4]، وتولى يزيد من شهد للمصطفى عليه السلام من أهل الكتاب بالنبوة، وإن لم يدخل في دينه، وقال: إن أصحاب الحدود من موافقته وغيرهم كفار مشركون، وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك .

---

(١) الحارثية، هم أتباع حارث بن مزيد الأباضي، وقد خالفوا الأباضية في القدر أي كون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وفي كون الاستطاعة قبل الفعل وقد أكفرهم سائر الأباضية في قولهم في باب القدر بمثل قول المعتزلة لأن جمهورهم على قول أهل السنّة في أن الله تعالى خالق أعمال العباد وفي أن الاستطاعة مع الفعل وزعمت الحارثية أنه لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الأولى إلا عبد الله بن أباض وبعده حارث بن مزيد الأباضي . (الفرق بين الفرق ص ٨٤ التعريفات ص ٥٥).

(٢) يزيد بن أنيسة الخارجي وكان من البصرة ثم انتقل إلى تون من أرض فارس، وكان على رأي الأباضية من الخوارج ثم أنه خرج بقوله بأن شريعة الاسلام تنسخ في آخر الزمان برسول من العجم ينزل عليه كتاب، وأتباعه هم الصابئون، المذكورون في القرآن، وكان مع ضلالته يتولى من شهد لمحمد ﷺ بالنبوة من أهل الكتاب وإن لم يدخل في دينه وسماهم بذلك مؤمنين، وليس بجائز أن تعد اليزيدية من فرق الإسلام، وهي تعد اليهود من المسلمين، وتقول بنسخ شريعة الإسلام . (الفرق بين الفرق ص ٢٦٣ ، التعريفات ١٧٤).

(٣) حران بتشديد الراء مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أتور على طريق الموصل والشام والروم وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون (معجم ثالث ص ٤٤١).

(٤) واسط وهي غير واسط الحجاج وهي قرية بالفرج من نواحي الموصل بين مرقة وعين الرصد. (معجم ثامن ٣٨٧).

الصفرية

الصفرية [1] الزيادية أصحاب زياد بن الأصفر، خالفوا الأزارية والنجدات والأباضية في أمور:

منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال، إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم، وقالوا: التقية جائزة في القول دون العمل وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد واقع، فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد، كالزنا والسرقة والقذف، فيسمي زانياً سارقاً قاذفاً لا كافراً مشركاً، ومن كان من أهل الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة فإنه يكفر بذلك، ونقل عن الضحاك [2] منهم أن جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية، دون دار العلانية، ورأى زياد بن الأصفر جميع الصدقات سهماً واحداً في حال التقية.

ويحكى عنه أنه قال نحن مؤمنون عند أنفسنا ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله، وقال: الشرك شركان، شرك هو طاعة الشيطان، وشرك هو عبادة الأوثان، والكفر كفران، كفر بالنعمة وكفر بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان، براءة من أهل الحدود سنة، وبراءة من أهل الجحود فريضة.

---

(١) الصفرية بالضم ويكسر قوم من الحرورية نسبوا إلى عبد الله بن صفار ويكون من النسب النادر أو إلى رئيسهم زياد بن الأصفر أو إلى صفرة ألوانهم، تصديق ذلك قول ابن عاصم الليثي وكان يرى رأي الخوارج فتركه وصار مرجئاً.

فارقت نجدة والذين تزرقوا ... وابن الزبير وشيعة الكذاب
والصفر الأذان الذين تخيروا ... ديناً بلا ثقة ولا بكتاب

أو سموا بذلك لخلوهم من الدين ويتعين حينئذ كسر الصادوقد صوبه الأصمعي وقال: خاصم رجل منهم صاحبه في السجن فقال له: أنت والله صفر من الدين. (تاج ثالث ص ٣٣٧، الكامل ثالث ص ١٧٣).

(٢) الضحاك بن قيس الخارجي الشيباني وهو آخر من كان خرج من ناحية الجزيرة في جمع من الخوارج حتى أتى الكوفة وبها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عاملاً عليها فحاربه عنها فهزمه الضحاك وظفر بالكوفة فأقبل مروان بن محمد إليه فالتقيا بكفر توثا سنة ١٢٨ فقتل الضحاك. (المعارف ص ١٤٢).

رجال الخوارج

ولنختم المذاهب بذكر رجال الخوارج من المتقدمين، عكرمة، وأبو هارون العبدي، وأبو الشعثاء [1]، وإسماعيل بن سميع، ومن المتأخرين اليمان بن رباب، ثعلبي ثم بيهسي، وعبد الله بن يزيد، ومحمد بن حرب، ويحيى بن كامل أباضي، ومن شعرائهم عمران بن حطان، وحبيب بن حدرة [2]، صاحب الضحاك بن قيس، ومنهم أيضاً جهم بن صفوان، وأبو مروان غيلان بن مسلم، ومحمد بن عيسى برغوث وكلثوم ابن حبيب المهلبي، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن شبيب البصري وعلي بن حرملة، وصالح بن قبة بن صبيح بن عمرو، ومؤنس بن عمران البصري، وأبو عبد الله بن مسلمة، والفضل بن عيسى الرقاشي [3]، وأبو زكريا يحيى بن أصفح، وأبو الحسين

---

(١) أبو الشعثاء، جابر بن زيد الأزدي عالم أهل البصرة وتلميذ ابن عباس، كان لا يماكس في ثلاث في الكرى إلى مكة وفي الرقبة يشتريها لتعتق وفي الأضحية وقال: لا نماكس في شيء يتقرب به إلى الله. قال ابن سيرين: كان أبو الشعثاء مسلماً عند الدينار والدرهم وكان يفتي بالبصرة وكان إذا وقع في يده ستوق كسره، ورمى به لئلا يغر به مسلم والستوق الدرهم المغشوش. قالت هند بنت المهلب وكانت من أحسن النساء وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا: إنه كان أباضياً. فقالت: كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعاً إلى والي أمي فما أعلم عنه شيئاً يباعدني عن الله إلا نهاني عنه وما دعاني إلى الأباضية قط، ولا أمرني بها، وكان ليأمرني أن أضع الخمار، ووضعت يدها على الجبهة، وكان جابر بن عبد الله إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول: كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء. وقال له: يا ابن زيد إنك من فقهاء البصرة وإنك ستستفتي فلا تفتين إلا بقرآن ناطق أو سنّة ماضية فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت. توفي سنة ثلاث وتسعين. (تاريخ الإسلام للذهبي ص ٤٦، ابن كثير تاسع ص ٩٣).

(٢) حبيب بن حدره، مولى لبني هلال بن عامر ومن شعراء الخوارج ومن شعره:

قد أصبنا العيش عيشاً ناعماً ... وأصبنا العيش عيشاً رنقا
وأصبت الدهر دهراً أشتهي ... طبقاً منه وألوي طبقا
وشهدت الخيل في ملمومة ... ما ترى منهن إلا الحدقا
يتساقون بأطراف القنا ... من نجيع الموت كأساً دهقا
فطراد الخيل قد يؤنقني ... ويرد اللهو عني الأنقا

وقال يرثي ملحان الشيباني عامل الضحاك على الكوفة:

كائن كملحان من شار أخي ثقة ... وابن علقمة المستشهد الشاري
من صادق كنت أصفيه مخالصتي ... فباع داري بأعلى صفقة الدار
إخوان صدق أرجيهم وأخذلهم ... أشكو إلى الله خذلاني وإخفاري

(الطبري سابع ص ٢٦٨ تاسع ص ٦٥).

(٣) الفضل بن عيسى الرقاشي ابن أخي يزيد الرقاشي يروي عن أنس، وضعفوه. سُئل عنه ابن معين فقال: =

محمد بن مسلم الصالحي، وأبو محمد عبد الله بن حمد بن الحسن الخالدي، ومحمد ابن صدقة، وأبو الحسين علي بن زيد الأباضي، وأبو عبد الله محمد بن الكرام، وكلثوم ابن حبيب المري البصري.

والذين اعتزلوا إلى جانب: فلم يكونوا مع علي رضي الله عنه في حروبه ولا مع خصومه. وقالوا: لا ندخل في غمار الفتنة من الصحابة، عبد الله [1] بن عمر، وسعد [2]

= كان قاصاً رجل سوء، قيل: فحديثه؟ قال: لا تسأل عن القدري الخبيث، وقال أبو سلمة التبوذكي لم يكن أحد ممن يتكلم في القدر أخبث قولاً من الفضل الرقاشي، وكان واعظاً، وقال أيوب: لو أن فضيلاً ولدأخرس لكان خيراً له وهو معتزلي ضعيف الحديث. (ميزان الاعتدال ثان ص ٣٣١، تهذيب التهذيب ثامن ص ٢٨٣).

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم لم يشهد بدراً لصغره، وشهد اليرموك وفتح مصر وإفريقية، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى أنه ينزل منازله ويصلي في كل مكان صلى فيه، وكان ابن عمر من أئمة المسلمين، شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى وكل ما تأخذ به نفسه حتى أنه ترك المنازعة في الخلافة مع كثرة ميل أهل الشام إليه ومحبتهم له ولم يقاتل في شيء من الفتن ولم يشهد مع علي شيئاً من حروبه حين أشكلت عليه ثم كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه، قال جابر بن عبد الله: ما منا إلا من مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبدالله ،وكان يكثر الحج وكان كثير الصدقة وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً، قال نافع: سمعت ابن عمر وهو ساجد يقول: قد تعلم يا ربي ما يمنعني من مزاحمة قريش على الدنيا إلا خوفك. توفي سنة ثلاث وسبعين. (أسد الغابة ثالث ص ٢٢٧).

(٢) سعد بن مالك، وهو سعد بن أبي وقاص أسلم قبل أن تفرض الصلاة وهو أحد الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد العشرة سادات الصحابة وأحد الستة أصحاب الشورى شهد المشاهد كلها وأبلى يوم أُحُد بلاء عظيماً وهو أول من أراق دماً في سبيل الله وأول من رمى بسهم في سبيل الله وقد قال ﷺ: «اللهم أستجب لسعد إذا دعاك» وكان لا يدعو إلا استجيب له ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ولم يكن مع أحد من الطوائف المتحاربة بل لزم بيته وأراد ابنه عمر وابن أخيه هاشم بن عتبة أن يدعو إلى نفسه بعد قتل عثمان فلم يفعل وطلب السلامة فلما اعتزل طمع فيه معاوية وفي عبد الله بن عمر وفي محمد بن مسلمة فكتب إليهم يدعوهم إلى أن يعينوه على الطلب بدم عثمان ويقول: إنكم لا تكفرون ما آتيتموه من خذلانه إلا بذلك فأجابه كل واحد منهم يرد عليه ما جاء به وكتب إليه سعد أبيات شعر:

معاوي داؤك الداء العياء ... وليس لما تجيء به دواء
أيدعوني أبو حسن على ... فلم أردد عليه ما يشاء
وقلت له اعطني سيفاً قصيراً ... تميز به العداوة والولاء
أتطمع في الذي أعيا علياً ... على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حياً ... وميتاً أنت للمرء الفداء

وكان يقال له المستجاب لقول النبي ﷺ: «اتقوا دعوة سعد» فلما شاطره عمر ماله قال له سعد: لقد هممت. قال له عمر بأن تدعو عليّ. قال: نعم. قال: إذاً لا تجدني بدعاء ربي شقياً وهجاه رجل من الشعراء يوم القادسية فقال: =

ابن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة [1] الأنصاري، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ، وقال قيس [2] بن أبي حازم: كنت مع علي في جميع أحواله وحروبه، حتى قال يوم صفين انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله، وأنتم تقولون صدق الله ورسوله، فعرفت إيش كان يعتقد في الجماعة فاعتزلت عنه.

المرجئة

الإرجاء على معنيي **أحدهما**: التأخير، قالوا: أرجه وأخاه أي أمهله وأخره، **والثاني**: إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وأما بالمعنى الثاني فظاهر، لأنهم كانوا يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

وقيل الأرجاء تأخير صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار، فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان، وقيل الأرجاء تأخير عليّ عليه السلام عن الدرجة الأولى إلى الرابعة، فعلى هذا، المرجئة، والشيعة فرقتان متقابلتان.

والمرجئة أصناف أربعة: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة.

= ألم تر أن الله أظهر دينه وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد: اللهم أكفني يده ولسانه فقطعت يده وبكم لسانه توفي بالعقيق سنة خمس وخمسين. (أُسد الغابة ثان ص ٢٩٠، العقد الفريد أول ص ٥٢).

(١) محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي، شهد المشاهد إلا تبوك، وكان صاحب العمال أيام عمر، كان عمر إذا شكى إليه عامل أرسل محمداً يكشف الحال وهو الذي أرسله عمر إلى عماله ليأخذ شطر أموالهم لثقته به واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان واتخذ سيفاً من خشب وقال بذلك أمرني رسول الله ﷺ. قال حذيفة بن اليمان: ني لأعلم رجلاً لا تضره الفتنة محمد بن مسلمة، أتيناه بالربذة فإذا فسطاط مضروب وإذا فيه محمد ابن مسلمة فسألناه فقال: لا نشتمل على شيء من أمصارهم حتى ينجلي الأمر عما انجلى، فهو لم يشهد من حروب الفتنة شيئاً، ومات بالمدينة وهو لم يستوطن غيرها سنة ست وأربعين. (أُسد الغابة رابع ص ٣٣٠).

(٢) قيس بن أبي حازم الأحمسي البجلي بصري ساق له ابن عدي أحاديث ولم يذكر لأحد فيه قولاً ولا مطعناً ثم قال: أرجو أنه لا بأس به وكان ثقة كثير العبادة وكان مع علي ثم خرج عليه، أما أخوه حازم فبقي مع علي إلى أن قتل بصفين سنة سبع وثلاثين. (لسان الميزان ثان ص ١٦١ ابن الأثير ثالث ص ١٥٢).

ومحمد بن شبيب والصالحي والخالدي من مرجئة القدرية ونحن إنما نعد مقالات المرجئة الخالصة.

اليونسية

اليونسية أصحاب يونس [1] النميري، زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة بالقلب، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن، وما سوى المعرفة من الطاعة فليس من الإيمان، ولا يضر تركها حقيقة الإيمان، ولا يعذب على ذلك إذا كان الإيمان خالصاً واليقين صادقاً.

وزعم أن إبليس كان عارفاً بالله وحده، غير أنه كفر باستكباره عليه ﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ [البقرة: ٣٤].

قال: ومن تمكن في قلبه الخضوع لله والمحبة له، عَلَى خلوص ويقين لم يخالفه في معصية، وإن صدرت منه معصية فلا يضر يقينه وإخلاصه، والمؤمن إنما يدخل الجنة بإخلاصه ومحبته لا بعلمه وطاعته.

العبيدية

العبيدية أصحاب عبيد [2] المكتب، حكى عنه أنه قال: ما دون الشرك مغفور لا محالة، وإن العبد إذا مات على توحيده لم يضره ما اقترف من الآثام، واجترح من السيئات.

وحكى اليمان عن عبيد المكتب وأصحابه أنهم قالوا: إن علم الله تعالى لم يزل شيئاً غيره، وكذلك دين الله لم يزل شيئاً غيره، وزعم أن الله تعالى عن قولهم على صورة إنسان [3]، وحمل قوله ﷺ: «خلق آدم ع ى صورة الرحمن».

---

(١) يونس بن عون النميري وأتباعه اليونسية، وهم غير اليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي، الذين يزعمون أن النصف الأعلى لله مجوف والأدنى مصمت وهؤلاء من الأمامية، أما أتباع ابن عون فمن المرجئة. (التبصير ص ٧١، إعتقادات ص ٧٤).

(٢) عبيد بن مهران المكتب الكوفي، روى عن مجاهد والشعبي وغيرهما. قال أبو حاتم ثقة صالح الحديث، وقال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وروى عنه السفيانان وفضيل وغيرهم. (تهذيب التهذيب سابع ص ٧٤).

(٣) هذا كفر صريح وشرك بواح، إذ صرح بأن الله على صورة الإنسان وقد زعم بأن آدم على صفة الرحمن، فالله تعالى وآدمُ عنده مثلان مشتبهان في اجتماع صفات الكمال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد أبنا آنفاً ما يحمل عليه قوله ﷺ خلق آدم على صورة الرحمن فراجعه.

الغسانية

أصحاب غسان [1] الكوفي زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله، والإقرار بما أنزل الله مما جاء به الرسول في الجملة دون التفصيل، والإيمان يزيد ولا ينقص، وزعم أن قائلاً لو قال أعلم أن الله قد حرم أكل الخنزير، ولا أدري هل الخنزير الذي حرمه هذه الشاة أم غيرها كان مؤمناً، ولو قال إن الله فرض الحج إلى الكعبة، غير أني لا أدري أين الكعبة، ولعلها بالهند، كان مؤمناً، ومقصوده أن أمثال هذه الاعتقادات أمور وراء الإيمان لا أنه شاك في هذه الأمور، فان عاقلاً لا يستجيز من عقله أن يشك في أن الكعبة إلى أي جهة، وأن الفرق بين الخنزير والشاة ظاهر.

ومن العجب أن غساناً كان يحكي عن أبي حنيفة رحمه الله مثل مذهبه ويعده من المرجئة، ولعله كذب، ولعمري كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه مرجئة السنة، وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة، ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول الإيمان هو التصديق بالقلب، وهو لا يزيد ولا ينقص، ظنوا به أنه يؤخر العمل عن الإيمان والرجل مع تحرجه في العمل كيف يفتي بترك العمل، وله سبب آخر، وهو أنه كان يخالف القدرية، والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر مرجئاً، وكذلك الوعيدية من الخوارج، فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريقي المعتزلة والخوارج والله أعلم.

الثوبانية

أصحاب أبي ثوبان المرجىء، الذين زعموا أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله تعالى وبرسله عليهم السلام، وبكل ما لا يجوز في العقل أن يفعله، وما جاز في العقل تركه فليس من الإيمان، وأخر العمل كله من الإيمان [2].

---

(١) غسان الكوفي المرجىء وليس غسان بن أبان المحدث كما وهم بعضهم فإن ابن أبان يمامي وذاك كوفي، وقد زعم في كتابه أن قوله في هذا الكتاب أن الإيمان يزيد ولا ينقص كقول أبي حنيفة فيه وهذا غلط منه عليه لأن أبا حنيفة قال: إن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله تعالى وبرسله وبما جاء من الله تعالى ورسله في الجملة دون التفصيل وأنه لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه، وغسان قد قال بأنه يزيد وينقص. (ميزان الاعتدال ثان ص ٣٢١، الفرق بين الفرق ص ١٩١).

(٢) فارقوا اليونسية والغسانية بإيجابهم في العقل شيئاً قبل ورود الشرع بوجوبه، ولا طريق في العقل إلى معرفة =

ومن القائلين بمقالته أبو مروان غيلان [1] بن مروان الدمشقي، وأبو شمر [2]، وموسى بن عمران، والفضل الرقاشي. ومحمد [3] بن شبيب، والعتابي، وصالح [4] قبة.

وكان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد، وفي الإمامة إنها تصلح في غير قريش، وكل من كان قائماً بالكتاب والسنة كان مستحقاً لها، وأنها لا تثبت إلا باجماع الأمة، والعجب أن الأمة اجتمعت على أنها لا تصلح لغير قريش، وبهذا دفعت الأنصار عن دعواهم (منا أمير ومنكم أمير) فقد جمع غيلان خصالاً ثلاثاً: القدر، والإرجاء والخروج.

والجماعة التي عددناهم اتفقوا على أن الله تعالى لو عفا عن عاص في القيامة، عفا عن كل مؤمن عاص هو في مثل حاله، وإن أخرج من النار واحداً أخرج من هو في مثل حاله.

ومن العجب، أنهم لم يجزموا القول بأن المؤمنين من أهل التوحيد يخرجون لا محالة من النار.

= وجوب شيء على الخلق، فإنه لا يجب على الخلق شيء إلا بأمر يرد من قِبل الله تعالى على لسان رسول مؤيد بالمعجزة، وأصله وفي كتاب الله وهو قوله سبحانه: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ وقوله: ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً﴾ وقوله تعالى: ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ وقوله تعالى: ﴿ألم يأتكم نذير﴾. وقوله: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ فبين أن لا دليل على الخلق إلا قول الرسل فبان أن مجرد العقول لا دليل فيه على الخلق من قبل التعبد. (التبصير ص ١٠٤).

(١) غيلان، ذكره في التبصير أنه غيلان بن مسلم، وفي تهذيب التهذيب أنه غيلان بن أبي غيلان المقتول في القدر ضال مسكين وهو غيلان بن مسلم كان من بلغاء الكتاب، ومن أصحاب الحرث الكذاب وممن آمن بنبوته فلما قتل الحرث قام غيلان مقامه، وقد أخذ عن معبد الجهني البصري بدعة القدر، وقد ناظره الأوزاعي وأفتى بقتله فقتل. (لسان الميزان رابع ص ٤٢٤ تهذيب التهذيب عاشر ص ٢٢٦).

(٢) أبو شمر، جمع بين ارجاء والقدر من أصحاب النظام وهو رأس الشمرية. (تبصير ص ١٥).

(٣) محمد بن شبيب الدمشقي وهو غير محمد بن شبيب الزهراني البصري الذي روى عن الشعبي والحسن فإنه محدث ثقة، أما الدمشقي فهو من أصحاب النظام وممن جمع بين الإرجاء والقدر. (تهذيب التهذيب تاسع ص ٢١٨، التبصير ص ١٥).

(٤) يظهر أنه صالح بن محمد الترمذي، وكان مرجئاً جهمياً داعية يبيح الخمر ويبيح شربه رشاهم فولوه قضاء ترمذ فكان يؤدب من يقول الإيمان قول وعمل، وكان ابن راهويه إذا ذكره بكى من تجرئه على الله تعالى. (ميزان أول ص ٤٥٩).

ويحكى عن مقاتل بن سليمان أن المعصية لا تضر صاحب التوحيد والإيمان ، وأنه لا يدخل النار مؤمن ، والصحيح من النقل عنه، أن المؤمن العاصي يعذب يوم القيامة على الصراط وهو على متن جهنم ، يصيبه لفح النار ولهبها فيتألم بذلك على مقدار المعصية، ثم يدخل الجنة ومثل ذلك بالحبة على المقلاة المؤججة بالنار، ونقل عن بشر بن غياث المريسي أنه قال: إن أدخل أصحاب الكبائر النار فانهم سيخرجون عنها بعد أن عذبوا بذنوبهم، وأما التخليد فيها فمحال وليس بعدل.

وقيل: أن أول من قال بالإرجاء الحسن [1] بن محمد بن علي بن أبي طالب، وكان يكتب فيه الكتب إلى الأمصار، إلا أنه ما أخر العمل عن الإيمان كما قالت المرجئة اليونسية والتربانية، لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة يكفر إذا الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الإيمان ، حتى يزول الإيمان بزوالها.

التومنية

أصحاب أبي معاذ التومني [2] الذي زعم أن الإيمان هو ما عصم من الكفر ، وهو اسم لخصال إذا تركها التارك كفر، ولو ترك خصلة واحدة منها كفر، ولا يقال للخصلة الواحدة منها إيمان، ولا بعض إيمان وكل معصية صغيرة أو كبيرة لم يجمع عليها المسلمون بأنها كفر، لا يقال لصاحبها فاسق، ولكن يقال فسق وعصى، وقال: تلك الخصال هي المعرفة، والتصديق والمحبة والإخلاص، والإقرار بما جاء به الرسول.

قال: ومن ترك الصلاة والصيام مستحلاً كفر، وإن تركها على نية القضاء لم يكفر، ومن قتل نبياً أو لطمه كفر، لا من أجل القتل واللطم، ولكن من أجل الاستخفاف، والعداوة، والبغض، وإلى هذا المذهب مال ابن الراوندي، وبشر المربسي، قالا: الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعاً، والكفر هو الجحود والإنكار والسجود للشمس والقمر والصنم، ليس بكفر في نفسه، ولكنه علامة الكفر.

---

(١) الحسن بن محمد ابن الحنفية الهاشمي العلوي، روي أنه صنف كتاباً في الارجاء ثم ندم عليه وكان من عقلاء قومه وعلمائهم. توفي سنة إحدى ومائة وقيل سنة خمس وتسعين. (شذرات أول ص ١٢١).

(٢) نسبة إلى تومن، وظني أنها من قرى مصر منها أبو معاذ التومني، رأس الطائفة المعروفة بالتومنية وهم فرقة من المرجئة الخ . . (اللباب أول ص ١٨٧).

الصالحية

أصحاب صالح [1] بن عمرو الصالحي، ومحمد بن شبيب وأبو شمر، وغيلان، كلهم جمعوا بين القدر والإرجاء، ونحن وإن شرطنا أن نورد مذاهب المرجئة الخالصة، إلا أنه بدا لنا في هؤلاء، لانفرادهم عن المرجئة بأشياء.

فأما الصالحي، فقال: الإيمان هو المعرفة بالله تعالى على الإطلاق، وهو أن للعالم صانعاً فقط والكفر هو الجهل به على الإطلاق، قال وقوله القائل ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنه لا يظهر إلا من كافر، وزعم أن معرفة الله تعالى المحبة والخضوع له، ويصح ذلك مع جحد [2] الرسول، ويصح في العقل أن يؤمن بالله ولا يؤمن برسوله، غير أن الرسول عليه السلام قد قال: «من لا يؤمن بي فليس بمؤمن بالله تعالى» وزعم أن الصلاة ليست بعبادة [3] لله تعالى، وأنه لا عبادة إلا الإيمان به وهو معرفته وهو خصلة واحدة، لا يزيد ولا ينقص، وكذلك الكفر خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص.

---

(١) صالح بن عمرو الصالحي من شيوخ المعتزلة، وهو من الوقفية في وعيد مرتكبي الكبائر وقد أجاز من الله تعالى مغفرة ذنوبهم من غير توبة. (الفرق بين الفرق ص ٩٦).

(٢) من الإيمان، أن يوقن ببعث الرسل، وإنزال الكتب، مبينة للثواب والعقاب، وقد أيد الله رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم وأوجب على لسانهم معرفة التوحيد والشريعة، وكل ما قالوه فهو صدق، وكل ما فعلوه فهو حق، ومن الكفر جحدهم، وإنكار رسالتهم إذ لا يكون مؤمناً من جحد رسولاً.

(٣) كيف هذا، والصلاة في اللغة الدعاء، وقد قال ﷺ: «إن الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾، وقال ﷺ: «الدعاء مخ العبادة، والصلاة عماد الدين وعصام اليقين، ورأس القربات، وغرة الطاعات، وزهرة العبادات، وبها مناجاة الله في الجماعات والخلوات،» وقد قال ﷺ: «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين»، وقال: «مفتاح الجنة الصلاة»، وقال: «ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد»، وما قصد الله بعبادته غير الوصول إليه والقرب منه بالأنس به، بذكره وتسبيحه وحمده، والتدبر فيه، والتبصر في ملكوته، والصلاة تنتظم كل أولئك وهي وسيلة العلم بالمعبود وذكره بالثناء عليه، بالحمد والتسبيح والتهليل والتكبير، والدعاء والمناجاة، والابتهال والضراعة، وهي بهذا أرفع العبادات، وقد تعبد الله بها ملائكته وثمرتها إقبال الله على عبده ومثوبتها فوزه، بالقرب والرفعة من عنده، وقد جعل الله الصلوات في أوقاتها الخمس تمحيصاً للسيئات وكفارات للخطيئات ورفعة للدرجات وتاركها منكراً لوجوبها كافر ومن تركها تكاسلاً مع اعتقاد وجوبها فهو فاسق، يستتاب أو يعزر، ويحبس حتى يصلي، وقد قال ﷺ: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يترك شيئاً منهن استخفافاً بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة، والله تعالى يقول: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾، ولشرفها عند الله تعالى سأل إبراهيم الخليل عليه السلام ربه أن يجعله مصلياً فقال: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ وقال ﷺ =

وأما أبو شمر المرجىء القدري، فإنه زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله عز وجل، والمحبة والخضوع له بالقلب والإقرار به أنه واحد، ليس كمثله شيء، ما لم يقم عليه حجة الإنبياء عليهم السلام، فإذا قامت الحجة فالإقرار بهم، وتصديقهم من الإيمان، والمعرفة والاقرار بما جاؤا به عن عند الله غير داخل في الإيمان الأصلي، وليس كل خصلة من خصال الإيمان إيماناً ولا بعض إيمان وإذا اجتمعت كانت كلها إيماناً، وشرط في خصال الايمان معرفة العدل، يريد به القدر خيره وشره من العبد، من غير أن يضاف إلى الباري تعالى منه شيء.

وأما غيلان بن مروان من القدرية المرجئة، (فقد) زعم أن الإيمان هو المعرفة الثابتة بالله والمحبة والخضوع له والإقرار بما جاء به الرسول وبما جاء من عند الله والمعرفة الأولى فطرية ضرورية، فالمعرفة على أصله نوعان، فطرية، وهو علمه بأن للعالم صانعاً، ولنفسه خالقاً، وهذه المعرفة لا تسمى إيماناً، إنما الإيمان هو المعرفة الثابتة المكتسبة.

تتمة رجال المرجئة كما نقل، الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، وسعيد [1]ابن جبير، وطلق [2] بن حبيب، وعمرو [3] بن مرة، .....

= : «استقيموا ولن تحصوا واعملوا وخير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»، وقال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». والله تعالى يقول: ﴿واسجد واقترب﴾، وقد قال ﷺ: «الصلاة قربان كل تقي»، وقال: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الرب عز وجل يقول انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك». وفي الحديث: «لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً»، والله يقول: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، بدأ بالصلاة لأنها أخص العبادات المتكررة لله لاشتمالها على أنواع متعددة مجتمعة فيها، ونسكي تلاها بالنسك وهو التعبد وقد يكون ذبحاً ويكون صلاة ومحياي ومماتي إشعار وإعلام بأن الملك لله الواحد القهار، وفيما ذكرناه غناء، يكشف أن الصلاة غرة العبادات.

(١) أبو عبد الله، وقيل أبو محمد سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، مولى بني والبة كوفي، أحد أعلام التابعين وكان أسود، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، قال له ابن عباس: حدّث، فقال: أحدث وأنت ههنا، فقال: أليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد فإن أصبت فذاك وإن أخطأت علمتك وقد أخذ عنه القراءة وسمع منه التفسير وأكثر روايته عنه، وكان أعلم التابعين بالطلاق، وكان يلعب بالشطرنج استدباراً، قتله الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين. (ابن خلكان أول ص ٢٥٦).

(٢) طلق بن حبيب العنزي من التابعين، صدوق في الحديث، وكان يرى الارجاء، وكان ممن يخشى الله تعالى، وهو من العباد ذكر فيمن مات بين التسعين والمائة. (تهذيب التهذيب جزء خامس ص ٣١).

(٣) عمرو بن مرة الجملي المرادي الكوفي الأعمى كان ثقة، مأموناً على ما عنده، قال مغيرة: لم يزل في الناس =

ومحارب[1] بن دثار، ومقاتل بـن سليمان، وذر[2]، وعمر[3] بن ذر، وحماد[4] بن أبي سليمان، وأبو حنيفة، وأبو يوسف[5] ومحمد بن الحسن، وقديد[6] بن جعفر، وهؤلاء كلهم أئمة الحديث لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة، ولم يحكموا بتخليدهم في النار خلافاً للخوارج والقدرية.

الشيعة

الشيعة هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته نصاً، ووصية، إما جلياً أو خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده [7]، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، قالوا: وليست الإمامة قضية مصلحية تناط

= بقية حتى دخل عمرو في الارجاء فتهافت الناس فيه توفي سنة ثماني عشرة ومائة. (تهذيب التهذيب جزء ثـامن ص ١٠٢).

(١) محارب بن دثار السدوسي قاضي الكوفة ثقة، ثبت مشهور، وقال ابن سعد: لا يحتجون به، ولي القضاء لخالد بن عبد الله القسري. توفي سنة ست عشرة ومائة (شذرات أول ص ١٥٢).

(٢) ذر بن عبد الله بن زرارة المرهبي الهمداني الكوفي كان مرجئاً، وكان من عباد أهل الكوفة ويقص قتله الحجاج سنة ثمانين. (تهذيب التهذيب ثالث ص ٢١٨).

(٣) عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني الكوفي، كان ثقة بليغاً وكان يرى الارجاء، وكان رأساً فيه وقد ذهب بصره وقد توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة ولم يشهده الثوري. (تهذيب التهذيب سابع ص ٤٤٤).

(٤) حماد بن أبي سليمان مسلم الأشعري، مولاهم، فقيه الكوفة كان يرمى بالارجاء وكان جواداً بالدنانير والدراهم، سخياً على الطعام يفطر كل ليلة خمسمائة إنسان، وكان سرياً محتشماً، صدوق اللسان، ولا يقول بخلق القرآن وينكر على من يقوله. توفي سنة عشرين ومائة. (تهـذيب التهذيب ثـالث ص ١٦، شذرات الذهب ص ١٥٧).

(٥) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، الكوفي، صاحب أبي حنيفة، كان فقيهاً عالماً حافظاً وقد خالف أبا حنيفة في مواضع كثيرة، وروى عنه محمد بن الحسن، وكان الرشيد يكرمه ويجله، وكان حظياً عنـده مكيناً، وهو أول من دعي بقاضي القضاة وأول من غيّر لباس العلماء إلى الهيئة التي هم عليها، وكان يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب ومن قوله: العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على عرر، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. (ابن خلكان ثان ص ٤٠٠).

(٦) قديد بن جعفر كان فقيهاً من أصحاب الرأي، وأخذ عن أبي حنيفة وله يد في علم الكلام. (الجواهر المضية أول ص ٤١٣).

(٧) زعمت الإمامية أنها اليوم في أحد مخصوص من أولاد علي، واختلفوا في ذلك الذي ينتظرون خروجه. وقالت الغلاة من الروافض: إن الإمامة في الأصل في علي وولده ثم أخرجوها إلى جماعة من غير قريش أما بدعواهم وصية بعض الأئمة إليه؛ وأما بدعواهم تناسخ الروح من الإمام إلى من زعموا أن الإمامة انتقلت إليه. (أصول الدين ص ٢٧٦).

باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية. هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي، والتبري قولاً، وفعلاً وعقداً، لا في حال التقية، ويخلفهم بعض الزيدية في ذلك، ولهم في تعدية الإمامة كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف مقالة، ومذهب وخبط، وهم خمس فرق، كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه.

الكيسانية

أصحاب كيسان، مولى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقيل: تلميذ للسيد محمد ابن الحنفية يعتقدون فيه اعتقاداً بالغاً، من إحاطته بالعلوم كلها، واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها، من علم التأويل والباطن، وعلم الآفاق والأنفس، ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية، من الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وغيرها، على رجال، فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ، والحلول، والرجعة بعد الموت، فمن مقتصر على واحد، معتقد أنه لا يموت، ولا يجوز أن يموت، حتى يرجع، ومن معد حقيقه، الإمامة إلى غيره، ثم متحسر عليه، متحير فيه، ومن مدع حكم الإمامة وليس من الشجرة، وكلهم حيارى منقطعون، ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له، فلا دين له، ونعوذ بالله من الحيرة، والحور بعد الكور [1].

المختارية

المختارية أصحاب المختار بن عبيد [2] كان خارجياً. ثم صار زبيرياً ثم صار

---

(١) نعوذ بالله من الحور بعد الكور، الحور النقصان والرجوع، والكور الزيادة أخذ من كور العمامة، وقيل الرجوع بعد الاستقامة والنقصان بعد الزيادة وروي عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ من الحور بعد الكور أي من النقصان بعد الزيادة.

(٢) المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان أبوه من جملة الصحابة وولد المختار عام الهجرة، وليست له صحبة، =

شيعياً، وكيسانياً، قال بإمامة محمد ابن الحنفية بعد عليّ، وقيل: لا بل بعد الحسن والحسين، وكان يدعو الناس إليه، ويظهر أنه من رجاله ودعاته، ويذكر علوماً مزخرفة ينوطها به، ولما وقف محمد ابن الحنفية على ذلك، تبرأ منه، وأظهر لأصحابه أنه إنما نمس [1] على الخلق، ذلك ليتمشى أمره، ويجتمع الناس عليه، وإنما انتظم له ما انتظم بأمرين، أحدهما انتسابه إلى محمد ابن الحنفية علماً ودعوة، والثاني قيامه بثأر الحسين عليه السلام، واشتغاله ليلاً ونهاراً، بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين، فمن مذهب المختار أنه يجوز البداء [2] على الله تعالى، والبداء له معان، البداء في العلم، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم، والبداء في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة.

وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأحوال، إما بوحي يوحى إليه، وإما برسالة من قبل الإمام، فكان إذا وجد أصحابه

= وهو ضال مضل، كذاب كان يزعم أن جبريل ينزل عليه، وكان ممن خرج على الحسن بن علي رضي الله عنهما في المدائن، ثم صار مع ابن الزبير بمكة فولاه الكوفة فغلب عليها، ثم أخذ يطلب بدم الحسين وثأره واجتمع عليه كثير من الشيعة، وكان يظهر لهم الأعاجيب، وقتلُ قتلة الحسين، وكان يرسل المال إلى ابن عمر وابن عباس وابن الحنفية وغيرهم فيقبلونه منه، وكان ابن عمر زوج صفية أخت المختار، وقد قيل لابن عمر: إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه، فقال: صدق. قال تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ وقد سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة في جمع كثير من أهل الكوفة وأهل البصرة فقتل المختار بالكوفة سنة سبع وستين وكانت إمارته على الكوفة سنة ونصف سنة. (أُسد الغابة رابع ص ٣٣٦ لسان الميزان سادس ص ٦ ابن كثير سابع ص ٢٩١).

(١) نمس، من الناموس والناموس ما سنمس به الرجل من الاحتيال والناموس المكر والخداع، والتنميس التلبيس.

(٢) السبب الذي جوزت الكيسانية البداء على الله تعالى أن مصعب بن الزبير بعث إليه عسكراً قوياً فبعث المختار إلى قتالهم أحمد بن شميط مع ثلاثة آلاف من المقاتلة وقال لهم: أوحي إلي أن الظفر يكون لكم فهزم ابن شميط فيمن كان معه، فعاد إليه فقال: أين الظفر الذي قد وعدتنا؟ فقال له المختار: هكذا كان قد وعدني ثم بدأ فإنه سبحانه وتعالى قد قال: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾. والبداء ظهور الرأي بعد أن لم يكن، والبدائية هم الذين جوزوا البداء على الله عز وجل، بأن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده، وهذا باطل لأن علم الله من لوازم ذاته المخصوصة، وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محالاً تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. (التبصير ص ٢٠ التعريفات ص ٢٩ تفسير الرازي خامس ص ٢١٦).

بكون شيء وحدوث حادثة، فان وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال قد بدا لربكم ، وكان لا يفرق بين النسخ والبداء.

قال: إذا جاز النسخ في الأحكام جاء البداء في الأخبار ، وقد قيل إن السيد محمد ابن الحنفية تبرأ من المختار حين وصل إليه أنه قد لبس على الناس أنه من دعاته ورجاله، وتبرأ من الضلالات التي ابتدعها المختار من التأويلات الفاسدة والمخاريق المموهة.

فمن مخاريقه أنه كان عنده كرسي [1] قديم قد غشاه بالديباج، وزينه بأنواع الزينة، وقال: هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل، فكان إذا حارب خصومه يضعه في براح الصف، ويقول: قاتلوا ولكم الظفر والنصرة وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني إسرائيل، وفيه السكينة، والبقية، والملائكة [2] من فوقكم ينزلون مدداً لكم ، وحديث الحمامات البيض التي

---

(١) قال الطفيل بن جعدة أضقنا إضاقة شديدة فخرجت يوماً فإذا جار لي زيات عنده كرسي ركبه الوسخ فقلت في نفسي: لو قلت للمختار في هذا شيئاً، فأخذته من الزيات وغسلته فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو أبيض فقلت للمختار: إني كنت أكتمك شيئاً وقد بدا لي أن أذكره لك إن أبي جعدة كان يجلس على كرسي عندنا ويروى أن فيه أثراً من علي قال: سبحان الله! أخرته إلى هذا الوقت ابعث به فأحضرته عنده وقد غشي فأمر لي باثني عشر ألفاً ، ثم دعا الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال المختار: إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله، وإن كان في بني إسرائيل التابوت وإن هذا فينا مثل التابوت فكشفوا عنه وقامت السبئية فكبروا ثم لم يلبثوا أن أرسل المختار الجند لقتال ابن زياد وخرج بالكرسي على بغل وقد غشي فقتل أهل الشام مقتلة عظيمة فزادهم ذلك فتنة وقد قال أعشى همدان:

شهدت عليكم أنكم سبئية ... وإني بكم يا شرطة الشرك عارف
فأقسم ما كرسيكم بسكينة ... وإن كان قد لفت عليه اللفائف

(ابن الأثير رابع ص ١٠٨).

(٢) أقبل المختار إلى القصر ومعه سراقة بن مرداس أسيراً، فناداه:

أمنن علي اليوم يا خير معد ... وخير من حلّ بتجر والجند

وخير من لبى وحنا وسجد

ثم قال:

نصرت على عدوك كل يوم ... بكل كتيبة تنعي حسينا
كنصر محمد في يوم بدر ... ويوم الشعب إذ لاقى حنينا
فأسحج إذ ملكت فلو ملكنا ... لحمرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فإني ... سأشكر إذ جعلت النقد دينا

فلما انتهى إلى المختار قال: أصلح الله الأمير أحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت الملائكة تقاتل معك على الخيول البلق من السماء والأرض فقال له المختار: اصعد المنبر فأعلم الناس فصعد فأخبرهم بذلك =

ظهرت في الهواء، وقد أخبرهم قبل ذلك بأن الملائكة [1] تنزل على صورة الحمامات البيض معروف والأسجاع [2] التي ألفها أبرد تأليف مشهور، وإنما حمله عَلَى الانتساب إلى محمد ابن الحنفية حسن اعتقاد الناس فيه، وامتلاء القلوب بحبه، والسيد كان كثير العلم غزير المعرفة وقاد الفكر مصيب الخاطر في العواقب، قد أخبره أمير المؤمنين عن أحوال الملاحم، وأطلعه عَلَى مدارج المعالم قد اختار العزلة وآثر الخمول على الشهرة، وقد قيل أنه كان مستودعاً علم الإمامة حتى سلم الأمانة إلى أهلها ، وما فارق الدنيا حتى أقرها في مستقرها، وكان السيد الحميري وكثير [1] الشاعر من شيعته قال كثير فيه:

إلا أن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
عليّ والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ... وَسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمه اللواء

= ثم نزل فخلا به فقال له: إني قد علمت أنك لم تر شيئاً وإنما أردت ما قد عرفت أن لا أقتلك فاذهب عني حيث شئت لا تفسد على أصحابي فخرج إلى البصرة فنزل عند مصعب وقال:

ألا أبلغ أبا إسحاق أني ... رأيت البلق دهماً مصمتات
كفرت بوحيكم وجعلت نذراً ... عليّ قتالكم حتى الممات
أرى عيني ما لم تبصراه ... كلانا عالم بالترهات

(ابن الأثير رابع ص ١٠٠).

(١) كان يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم في أنفسهم وعقولهم حتى لقد كان يخاطب منهم من يرفعهم، فيقول بأن الملك يأتيه بالوحي ويخبره بالغيب. (مروج الذهب ثالث ص ٣٢).

(٢) خرج المختار وأصحابه معهم الكرسي يحملونه على بغل أشهب وهم يدعون الله بالنصر، فلما رآهم المختار قال: أما ورب المرسلات عرفاً، لتقتلن بعد صف صفاً، وبعد ألف قاسطين ألفاً، ولما سجن كان يقول: أما ورب البحار والنخل والأشجار، والمهامه والقفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار، بجموع الأنصار، ليس بمثل أغمار ولا بغرار أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين، وزايلت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين، وأدركت ثأر النبيين، لم يكبر على زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذ أتى. (ابن الأثير رابع ص ٧٣ و ص ١٠٨).

(٣) أبو صخر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي الشاعر المشهور، أحد عشاق العرب المشهورين به، وهو صاحب عزة بنت جميل وهو من فحول شعراء الإسلام وكان غالياً في التشيع، يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ توفي سنة خمس ومائة، ومات هو وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد، فصلى عليهما في موضع واحد، وقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس وكان موتهما بالمدينة. (ابن خلكان أول ص ٥٤٧ الأغاني تاسع ص ٤).

يـغـيـب ولا يـرى فـيـهـم زمـانـا بـرضـوي عـنـده عـسـل ومـاء

وكان السيد [1] الحميري أيضاً يعتقد أنه لم يمت وأنه في جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل، ويعود بعد الغيبة فيملأ العالم عدلاً كما ملئت جوراً، وهذا هو الأول حكم بالغيبة والعود بعد الغيبة حكم به الشيعة وجرى ذلك في بعض الجماعة حتى اعتقدوه ديناً وركناً من أركان التشيع ، ثم اختلف الكيسانية بعد انتقال محمدابن الحنفية في سوق الإمامة وصار كل اختلاف مذهباً.

الهاشمية

اتباع أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية قالوا بانتقال محمد بن الحنفية إلى رحمة الله ورضوانه، وانتقال الإمامة منه إلى ابنه أبي هاشم، قالوا فانه أفضى إليه بأسرار العلوم، وأطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس، وتقدير التنزيل على التأويل، وتصوير الظاهر على الباطن قالوا إن لكل ظاهر باطناً، ولكل شخص روحاً، ولكل تنزيل تأويلاً ولكل مثال في هذا العلم حقيقة في ذلك العالم، والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار مجتمع في الشخص الإنساني وهو العلم الذي استأثر عليّ عليه السلام به ابنه محمد ابن الحنفية، وهو أفضى بذلك السر إلى ابنه أبي هاشم، وكل من اجتمع فيه هذا العلم، فهو الإمام حقاً، واختلف بعد أبي هاشم شيعته خمس فرق.

قالت فرقة أن أبا هاشم مات منصرفاً من الشام بأرض الشراة [2] وأوصى إلى محمد

(١) السيد، لقبه واسمه إسماعيل بن محمد الحميري ويكنى أبا هاشم، كان شاعراً متقدماً مطبوعاً ويقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشار وأبو العتاهية والسيد. فإنه لا يعلم أن أحداً أقدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه في شعره، ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم، وما مضى إلا على مذهب الكيسانية ويقول تجعفرت باسم الله والله أكبر؛ وقال: تجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا وهو من أشعر المحدثين، وقيل أنه لم يرجع عن مذهبه في ابن الحنفية وقصائده الجعفريات منحولة، فمذهبه مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد ابن الحنفية، وله في ذلك شعر كثير، وكان يقول بالرجعة وقد عاش إلى خلافة الرشيد فقال أحسب أبا هاشم تورع عن قبول جوائزنا. (الأغاني سابع ص ٢٢٩).

(٢) الشراة، صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة التي يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس في أيام بني مروان. (معجم خامس ص ٢٤٧).

ابن علي بن عبد الله بن عباس، وانجرت في أولاده الوصية، حتى صارت الخلافة إلى أبي العباس، قالوا ولهم في الخلافة حق لاتصال النسب، وقد توفي رسول الله ﷺ، وعمه العباس أولى بالوراثة [1].

وفرقة قالت إن الإمامة بعد موت أبي هاشم، لابن أخيه الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية.

وفرقة قالت لا بل إن أبا هاشم أوصى إلى أخيه علي بن محمد، وعلي أوصى إلى ابنه الحسن، فالإمامة عندهم في بني الحنفية لا تخرج إلى غيرهم.

وفرقة قالت إن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، وإن الإمامة خرجت من بني هاشم إلى عبد الله، وتحولت روح أبي هاشم إليه، والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانة، فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه فأعرضوا عنه، وقالوا بإمامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

وكان من مذهب عبد الله أن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص، وأن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص، إما أشخاص بني آدم، وإما أشخاص الحيوانات، قال وروح الله تناسخت حتى وصلت إليه، وحلت فيه وادعى الإلهية والنبوة معاً، وأنه يعلم الغيب فعبده شيعته الحمقى، وكفروا بالقيامة، لاعتقادهم، أن التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الأشخاص، وتأويل قوله تعالى: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ [المائدة: ٩٣] الآية على أن من وصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم، ووصل إلى الكمال والبلاغ، وعنه نشأت الخرمية والمزردكية بالعراق، وهلك عبد الله بخراسان وافترقت أصحابه، فمنهم من قال إنه بعد حي لم يمت ويرجع.

---

(١) كان عبد بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ يكتب لعلي بن أبي طالب، فأتى الحسن بن علي فقال أنا مولاك فقال مولى لتمام بن العباس بن عبد المطلب:

جحدت بني العباس حق أبيهم ... فما كنت في الدعوى كريم العواقب
متى كان أبناء البنات كوارث ... يحوز ويدعى والداً في المناسب

فقال مروان بن أبي حفصة:

أنى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البنات وراثة الأعمام

(الشعر والشعراء ص ٢٩٦).

ومنهم من قال: بل مات وتحولت روحه إلى إسحاق [1] بن زيد الحارث الأنصاري، وهم:

الحارثية

الذين يبيحون الحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه، وبين أصحاب عبد الله بن معاوية، وبين أصحاب محمد بن علي [2] خلاف شديد في الإمامة، فإن كل واحد منهما يدعي الوصية من أبي هاشم إليه ولم يثبت الوصية على قاعدة تعتمد.

البيانية

اتباع بيان بن سمعان النهدي، قالوا بانتقال الإمامة من أبي هاشم إليه وهو من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال حل في علي جزء إلهي، واتحد بجسده فيه، كان يعلم الغيب إذ أخبر عن الملاحم، وصح الخبر، وبه كان يحارب الكفار، وله النصرة والظفر، وبه قلع باب خيبر، وعن هذا قال: (والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكن بقوة ملكوتية بنور بها مضيئة) فالقوة الملكوتية في نفسه كالمصباح في المشكاة، والنور الإلهي كالنور في المصباح، قال: وربما يظهر علي في بعض الأزمان، وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ [البقرة: ٢١٠] أراد به علياً، فهو الذي يأتي في ظلل ﴿الغمام﴾، والرعد صوته، والبرق تبسمه، ثم ادعى بيان أنه قد انتقل إليه الجزء الإلهي بنوع من التناسخ، ولذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة، وذلك الجزء هو الذي استحق به آدم سجود الملائكة، وزعم أن معبوده على صورة إنسان عضواً فعضواً، جزءاً، وقال: يهلك كله

---

(١) إسحاق بن زيد بن الحرث الأنصاري الخزرجي، والده من الصحابة ومن البدريين، فهو من التابعين. (أُسد الغابة ثان ص ٢٢٤).

(٢) أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي، وهو والد السفاح والمنصور الخليفتين، وكان من أجمل الناس وأعظمهم قدراً، أوصى إليه أبو هاشم وقال له: أنت صاحب هذا الأمر وهو في ولدك ودفع إليه كتبه وصرف الشيعة نحوه، ولما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده إبراهيم المعروف بالإمام، فأمر مروان بقتل إبراهيم فأوصى إلى أخيه السفاح وهو أول من ولي الخلافة من أولاد العباس، وقد توفي سنة ست وعشرين ومائة. (ابن خلكان أول ص ٥٧٥).

إلا وجهه لقوله تعالى: ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] ومع هذا الخزي الفاحش كتب إلى محمد بن علي بن الحسين الباقر ودعاه إلى نفسه، وفي كتابه أسلم تسلم وترتق في سلم، فإنك لا تدري حيث يجعل الله النبوة [١]، فأمر الباقر أن يأكل الرسول قرطاسه الذي جاء به، فأكله فمات في الحال، وكان اسم الرسول عمر بن أبي عفيف (الأزدي) وقد اجتمعت طائفة على بيان بن سمعان ودانوا بمذهبه فقتله خالد بن عبد الله [٢] القسري على ذلك.

الرزامية [٣]

اتباع رزام ساقوا الإمامة من علي إلى ابنه محمد، ثم إلى ابنه أبي هاشم، ثم منه إلى علي بن عبد الله بن عباس بالوصية، ثم ساقوها إلى محمد بن علي، وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم الإمام، وهو صاحب أبي مسلم الذي دعاه إليه، وقال بإمامته، وهؤلاء ظهروا بخراسان في أيام أبي مسلم حتى قيل إن أبا مسلم كان على هذا المذهب، لأنهم ساقوا الإمامة إلى أبي مسلم، فقالوا له حظ في الإمامة، وادعوا حلول روح الإله فيه، ولهذا أيده على بني أمية حتى قتلهم (على) بكرة أبيهم، وقالوا بتناسخ الأرواح.

والمقنع [٤] الذي ادعى الإلهية لنفسه على مخاريق أخرجها، كان في الأول على

---

(١) ادعى بيان بعد وفاة أبي هاشم النبوة وكتب إلى أبي جعفر محمدَ بن علي بن الحسين يدعوه إلى نفسه والإقرار بنبوته ويقول له أسلم تسلم وترتق في سلم، وتنج وتغنم فإنك لا تدري أين تجعل الله النبوة والرسالة وما على الرسول إلا البلاغ وقد أعذر من أنذر فأمر أبو جعفر رسول بيان فأكل قرطاسه الذي جاء به. (فرق الشيعة ص ٣٤).

(٢) خالد بن عبد الله البجلي ثم القسري، وكان يزيد بن أسد جده وفد على النبي ﷺ فأسلم ونزل بالشام، ثم اشترى خالد بن عبد الله القسري لما ولي العراق خططاً بالكوفة وابتنى بها وله بها عقب وعدد وكان جواداً ممدحاً خطيباً مفوهاً توفي سنة ١٢٦. (المعارف ص ١٣٧ شذرات أول ص ١٦٩).

(٣) الرزامية طائفة من غلاة الشيعة يقولون بإمامة أبي مسلم الخراساني بعد المنصور ومنهم من يدعي الإلهية منهم المقنع الذي أظهر لهم القمر في نخشب وعلى رأيه اليوم جماعة فيما وراء النهر. (تاج العروس ثامن ص ٣١٢).

(٤) المقنع الخراساني اسمه عطاء الساحر كان في مبدأ أمره قصاراً من أهل مرو، وكان يعرف شيئاً من السحر والنيرنجات فادعى الربوبية من طريق التناسخ، وكان مشوه الخلق أعور ألكن قصيراً، وكان لا يسفر عن وجهه بل اتخذ وجهاً من ذهب فتقنع به فلذلك قيل له المقنع، وقد غلب على العقول بتمويهاته وسحره، ومن جملة ما أظهر لهم صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهر من موضعه ثم يغيب فعضم اعتقادهم فيه وقد ذكر المعري هذا القمر في قوله: =

هذا المذهب وتابعه، مبيضة [1] ما وراء النهر، وهؤلاء صنف من الخرمية [2]، دانوا بترك الفرائض، وقالوا الدين معرفة الإمام فقط.

ومنهم من قال: الدين أمران، معرفة الإمام وأداء الأمانة، ومن حصل له الأمران فقد وصل إلى حال الكمال، وارتفع عنه التكليف.

ومن هؤلاء من ساق الإمامة إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، من أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية وصية إليه، لا من طريق آخر.

وكان أبو مسلم صاحب الدولة علي مذهب الكيسانية في الأول، واقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها، وأحس منهم أن هذه العلوم مستودعة فيهم، يطلب المستقر فيه، فأنفذ إلى الصادق جعفر بن محمد: (إني قد أظهرت الكلمة، ودعوت الناس عن موالاة بني أمية إلى موالاة أهل البيت، فان رغبت فيه فلا مزيد عليك) فكتب إليه الصادق: (ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني) فحاد إلى أبي العباس بن محمد وقلده الخلافة.

الزيدية

أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام، ولم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي

= أفق إنما البدر المقنع رأسه ضلال وغى مثل بدر المقنع

وإليه أشار ابن سناء الملك في قوله:

إليك فما بدر المقنع طالعاً بأسحر من ألحاظ بدر المعمم

ولما اشتهر أمره ثار عليه الناس وقصدوه في قلعته التي كان إعتصم بها وحصروه فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سماً فمتن منه ثم تناول شربة من ذلك السم فمات ودخل المسلمون قلعته فقتلوا من فيها من أشياعه وأتباعه وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة. (ابن خلكان أول ص ٤٠٢).

(١) المبيضة كمحدثة، فرقة من الثنوية وهم أصحاب المقنع سموا بذلك لتصبيهم ثيابهم مخالفة للمسودة من العباسيين. (تاج جزء خامس ص ١٤).

(٢) الخرمية اسم لأصحاب التناسخ والحلول والإباحة وكانوا في زمن المعتصم فقتل شيخهم بابك وتشتتوا في البلاد وقد بقيت منهم في جبال الشام بقية ينسبون إلى بابك الخرمي الطاغية الذي كاد أن يستولي على الممالك زمن المعتصم وكان يرى رأي المزدكية من المجوس الذين خرجوا أيام قباذ وأباحوا النساء والمحرمات وقتلهم أنوشروان. (تاج ثامن ص ٢٧٢).

عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواء أكان من أولاد الحسن (أم) من أولاد الحسين، وعن هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين اللذين خرجا في أيام المنصور، وقتلا على ذلك، وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة، وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع، حتى يتحلى بالعلم فتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة، مع اعتقاد واصل بأن جده علي بن أبي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ما كان عَلَى يقين من الصواب، وأن أحد الفريقين منهما كان عَلَى الخطأ لا بعينه، فاقتبس منه الاعتزال، وصارت أصحابه كلها معتزلة وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، فقال: كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين نائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريباً، وسيف أمير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يجف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن لمن عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن، والسبق في الإسلام، والقرب من رسول الله ﷺ، ألا ترى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس، وقالوا: لقد وليت علينا فظاً غليظاً، فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر لشدته وصلابته، وغلظ له في الدين وفظاظة على الأعداء، حتى سكنهم أبو بكر [1]

(١) لما حضرت أبا بكر الوفاة، بعث إلى عمر يستخلفه فقال الناس: استخلف علينا فظاً غليظاً لو قد ملكنا كان أفظ وأغلظ فماذا تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر فقال أبو بكر: أتخوفونني بربي أقول: يا رب أمرت عليهم خير أهلك، ثم أمر من يحمله إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إحذروا الدنيا ولا تثقوا بها فإنها غدّارة وآثروا الآخرة على الدنيا وأحبوها فبحب كل واحدة منها تبغض الأخرى وأن هذا الأمر الذي هو أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صلح أوله ولا يتحمله إلا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه أشدكم في حال الشدة وأساسكم في حال اللين وأعملكم برأي ذوي الرأي لا يتشاغل بما لا يعنيه ولا يحزن لما ينزل به ولا يستحي من التعلم ولا يتحير عند البديهة قوي على الأمور لا يخور لشيء منها حده بعدوان ولا تقصير، يرصد لما هو آت عتاده من الحذر والظلم وهو عمر بن الخطاب ثم نزل فدخل فحمل الساخط إمارته الراضي بها وهي الدخول معهم توصلاً. (سيرة عمر لابن الجوزي ص ٤٩ و ٥١).

رضي الله عنه، وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً قائم، فيرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه في القضايا.

ولما سمعت شيعة الكوفةهـذه المقالـة منه، وعـرفوا أنـه لا يتبرأ عن الشيخين رفضوه، حتى أتى قدره عليه، فسميت رافضة، وجرت بينه وبين أخيـه محمد البـاقر مناظرة، لا من هذا الوجه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء، ويقتبس العلم، ممن يجوز الخطأ على جده في قتال الناكثين والقاسطين، ومن يتكلم في القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت، ومن حيث أنه كان يشترط الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً، حتى قال له يوماً على قضية مذهبك والدك ليس بإمام ، فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج.

ولما قتل زيد بن علي وصلب، قام بالإمامة بعده يحيى [1] بن زيد ومضى إلى خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة، وقد وصل إليه الخبر من الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنه بأنه يقتل كما قتل أبوه فجرى عليه الأمر كما أخبر، وقد فوض الأمر بعده إلى محمد وإبراهيم الإمامين، وخرجا بالمدينة ومضى إبراهيم إلى البصرة، واجتمع الناس عليهما فقتلا أيضاً، وأخبرهم الصادق بجميع ما تم عليهم، وعـرفهم أن أباءه عليهم السلام أخبره بذلك كله، وأن بني أمية يتطاولون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها، وهم يستشعرون بغض أهل البيت، ولا يجوز أن يخرج واحد من أهل البيت، حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وكان يشير إلى أبي العباس [2] وأبي

---

(١) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، لما قتل أبوه زيد سنة ١٢١ لم يزل مختفياً في خراسان حتى مات هشام فظهر أيام الوليد بن يزيد متنكراً للظلم فسار إليه نصر بن سيار، فعثر به، فحبسه، فكتب الوليد بإطلاقه وإرساله إليه صحبة أصحابه فأطلقهم وأطلق لهم وجهز لهم إلى دمشق فلما كانوا ببعض الطريق توسم نصر منه غدراً، فبعث إليه جيشاً عشرة آلاف فكسرهم يحيى وإنما معه سبعون رجلاً، وقتل أميرهم، واستلب منهم أموالاً كثيرة، ثم جاءه جيش آخر فقتل يحيى في المعركة أصابه سهم في صدغه بقرية يقال لها أرغونة سنة ١٢٦ ودفن بها وقبره مشهور. (ابن كثير عاشر ص ٥ شذرات أول ص ١٦٧).

(٢) أبو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أول خلفاء بني العباس نشأ بالحميمة وبويع بالكوفة، قبل لقد أفضت الخلافة إلى بني العباس وما في الأرض أحد أكثر قارئاً للقرآن، ولا أفضل عابداً ولا ناسكاً منهم؛ بويع بالخلافة سنة اثنين وثلاثين ومائة وقتل في مبايعته من بني أمية وجندهم ما لا يحصى من الخلائق وتوطدت له الممالك إلى أقصى المغرب، وكان السفاح أسخى الناس ما وعد عدّة فأخّرها عن وقتها ولا قام من مجلسه حتى يقفيها وله أخبار وأسمار حسان . توفي سنة ١٣٦ . (تاريخ الخلفاء ص ١٧٠ شذرات أول ص ١٩٥).

جعفر ابني محمد بن علي عبد الله بن العباس إنا لا نخوض في الأمر حتى يتلاعب بها، هذا وأولاده أشارة إلى المنصور، فزيد بن علي قتل بكناسة [1] الكوفة قتله هشام بن عبد الملك، ويحيى بن زيد، قتل بجوزجان خراسان، قتله أميرها، ومحمد الإمام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان [2]، وإبراهيم الإمام قتل بالبصرة أمر بقتلهما المنصور، ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك، حتى ظهر بخراسان ناصر الأطروش [3] فطلب مكانه ليقتل، فاختفى واعتزل إلى بلاد الديلم والجبل، ولم يتحلوا بدين الإسلام بعد، فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي، فدانوا بذلك، ونشئوا عليه، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين، وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة، وبلى أمرهم وخالفوا بني أعمامهم من الموسوية في مسائل الأصول، ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول، وطعنت في الصحابة طعن الإمامية.

وهم أصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية، والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد.

---

(١) الكناسة، والكنس كسح ما على وجه الأرض من القمام والكناسة ملقى ذلك وهي محلة بالكوفة عندها أوقع يوسف بن عمر الثقفي يزيد بن علي بن الحسن وفيها يقول الشاعر:

يا أيها الراكب الغادي لطيته ... يؤم بالقوم أهل البلدة الحرم
أبلغ قبائل عمرو ان أتيتهم ... أو كنت من دارهم يوماً على أمم
إنا وجدنا فقروا في بلادكم ... أهل الكناسة أهل اللوم والعدم
أرض تغير أحساب الرجال بها ... كما رسمت بياض الريط بالحمم

(معجم سابع ص ٢٨٢).

(٢) الذي أرسله المنصور إلى محمد بن عبد الله، هو ابن أخيه عيسى بن موسى، فسار إلى المدينة لقتال محمد، فأرسل إليه يخبره أن المنصور قد أمنه وأهله، فأعاد الجواب، يا هذا وأنى والله ما أنا منصرف عن هذا الأمر حتى ألقى الله عليه، فقال عيسى ليس بيننا وبينه إلا القتال وقد قاتل محمد يومئذ قتالاً عظيماً فقتل سبعين رجلاً ثم اشتد القتال فهزمت أصحاب عيسى ثم نشب القتال، فطعنه حميد بن قحطبة في صدره، فصرعه ثم نزل إليه فأخذ رأسه وأتى به عيسى وهو لا يعرف من كثرة الدماء، ولما قتل محمد أقام عيسى بالمدينة أياماً ثم سار عنها يريد مكة معتمراً ثم استخلف على المدينة كثير بن خضير. (ابن الأثير خامس ص ١١٨).

(٣) ناصر الأطروش، هو الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين وكان يلقب بالناصر وقد استولى على طبرستان سنة ٣٠١ وكان قد دخل الديلم بعد قتل محمد بن زيد وأقام بينهم نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام ويقتصر منهم على العشر فأسلم منهم خلق كثير ثم خرج بهم واستولى على طبرستان، وكان الاطروش زيدي المذهب شاعراً مفلقاً ظريفاً علامة إماماً في الفقه والدين كثير المجون حسن النادرة. (ابن الأثير ثامن ص ٢٨).

الجارودية

أصحاب أبي الجارود [1] زعموا أن النبي ﷺ نص على عليّ عليه السلام بالوصف دون التسمية، والإمام بعده علي، والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف، ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم، فكفروا بذلك، وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامة زيد بن علي، فإنه لم يعتقد بهذا الاعتقاد.

واختلفت الجارودية في التوقف والسوق، فساق بعضهم الإمامة من عليّ إلى الحسن، ثم إلى الحسين، ثم إلى علي بن الحسين زيد العابدين ثم إلى زيد بن علي، ثم منه إلى الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين، وقالوا بإمامته، وكان أبو حنيفة رحمه الله على بيعته، ومن جملة شيعته، حتى رفع الأمر إلى المنصور فحبس حبس الأبد حتى مات في الحبس [2] وقيل أنه إنما بايع محمد بن عبد الله الإمام في أيام المنصور، ولما قتل محمد بالمدينة بقي الإمام أبو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة أهل البيت، فرجع حاله إلى المنصور فتم عليه ما تم.

والذين قالوا بإمامة محمد الإمام اختلفوا، فمنهم من قال، أنه لم يقتل وهو بعد حي، وسيخرج فيملأ الأرض عدلاً، ومنهم من أقر بموته، وساق الإمامة إلى محمد [3]

---

(١) أبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني ويقال النهدي والثقفي الأعمى الكوفي، وهو كذاب، ليس بثقة وكان رافضياً يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ، رضي الله عنهم ويروي في فضائل أهل البيت رضي الله عنهم أشياء ما لها أصول، وهو من المعدودين من أهل الكوفة الغالين وقد ذكره البخاري في فصل من مات من الخمسين ومائة إلى الستين. (تهذيب التهذيب ثالث ص ٣٨٦.

(٢) المعروف أن المنصور أراده، أن يتولى القضاء ويخرج القضاة من تحت يده إلى جميع الكور فأبى واعتل بعلل فخلف المنصور أنه إن لم يقبله يحبسه قاصر على الاباء فحبسه وكان يرسل إليه في الحبس أنه إن لم يقبله يضربه فأبى فأمر أن يخرج ويضرب كل يوم عشرة أسواط فلما تتابع عليه الضرب في تلك الأيام بكى فأكثر البكاء فلم يثبت إلا يسيراً حتى انتقل إلى جوار الله تعالى فأخرجت جنازته وكثر بكاء الناس عليه ودفن في مقابر الخيزران. (المناقب للكردرى ثان ص ١٩).

(٣) محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين يكنى أبا جعفر وكانت العامة تلقبه الصوفي لأنه كان يدمن لبس الثياب من الصوف الأبيض وكان من أهل العلم والفقه والدين والزهد، وحسن المذهب وكان يذهب إلى القول، بالعدل والتوحيد ويرى رأي الزيدية الجارودية خرج في أيام المعتصم بالطالقان، فأخذ عبد الله بن طاهر، ووجه به إلى المعتصم بعد وقائع كانت بينه وبينه، سنة تسعة عشر ومائتين، فأمر به فحبس في قبة في بستان موسى مع المعتصم في داره، فهرب من حبسه، وتوارى أيام المعتصم وأيام الواثق، ثم أخذ في أيام المتوكل فحبس حتى مات في محبسه. (مقاتل الطالبيين ص ٣٧٦).

ابن القاسم بن (عمر) بن عليّ بن الحسين بن عليّ صاحب الطلقان [1] وقد أسر في أيام المعتصم، وحمل إليه فحبسه في داره حتى مات.

ومنهم من قال بإمامة يحيى [2] بن عمر صاحب الكوفة فخرج ودعا الناس، واجتمع عليه خلق كثير، وقتل في أيام المستعين [3] وحمل رأسه محمد [4] بن عبد الله ابن ظاهر حتى قال فيه بعض [5] العلوية:

---

(١) الطالقان بخراسان بين مرو الروذ وبلخ وهي أكبر مدينة بطخارستان وهي مدينة في مستو من الأرض، وبينها وبين الجبل غلوة سهم ولها نهر كبير وبساتين. (معجم سادس ص ٧).

(٢) أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين كان فارساً شجاعاً شديد البدن مجتمع القلب بعيداً من رهق الشباب وما يعاب به مثله، خرج أيام المتوكل، فرده ابن طاهر إليه، فحبسه، ثم خرج إلى الكوفة فدعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ وأظهر العدل وحسن السيرة بها، إلى أن قتل وانكفأ الحسين بن إسماعيل إلى بغداد ومعه رأس يحيى فضجّ الناس بالبكاء، ودخل أبو هاشم داود الجعفري على محمد بن عبد الله بن طاهر فقال: أيها الأمير قد جئتك مهنئاً بما لو كان رسول الله ﷺ حياً لعزى به فما ردّ عليه محمد شيئاً فخرج داود وهو يقول:

يا بني طاهر كلوه وبيا ... إن لحم النبي غير مري
إن وتراً يكون طالبه الله ... لو تر نجاحه بالخزى

قال محمد بن الحسين بن السميدع حدثني عمي قال: ما رأيت رجلاً أورع من يحيى بن عمر أتيته فقلت له: يا بن رسول الله لعل الذي حملك على هذا الأمر الضيقة، وعندي ألف دينار ما أملك سواها فخذها فهي لك أو آخذ لك من إخوان لي ألف دينار أُخر، فرفع رأسه ثم قال: فلانة بنت فلان يعني زوجته طالق ثلاثاً إن كان خروجي إلا غضباً لله تعالى، فقلت له: أمدد يدك فبايعته وخرجت معه وكان قتله سنة خمسين ومائتين. (مقاتل الطالبيين ص ٤١٠، ابن الأثير سابع ص ٤٣).

(٣) المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المعتصم ولاّه القواد ولم يكن له مع وصيف وبغا أمر، وقد تنكر له الأتراك واضطربت الأحوال وكثر القتل وغلت الأسعار وعظم البلاء فخلع نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقد ولي الخلافة سنة ثمان وأربعين. (تاريخ الخلفاء ص ٢٣٨).

(٤) محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي نائب بغداد كان جواداً ممدحاً قوي المشاركة جيد الشعر مات بالخوانق سنة ثلاث وخمسين ومائتين (شذرات ثان ص ١٢٨).

(٥) قال علي بن محمد بن جعفر العلوي يذكر دخول القوم على محمد بن عبد الله بن طاهر في التهنئة:

قتلت أعزّ من ركب المطايا ... وجئتك أستلينك في الكلام
وعزّ عليّ أن ألقاك إلا ... وفيما بيننا حدّ الحسام
ولكن الجناح إذا أهيضت ... قوادمه تدق على الأكام

وقال أيضاً يرثي يحيى:

تضوع مسكاً جانب النهر إن ثوى ... وما كان إلا شلوه يتضوع
مصارع أقوام كرام أعزّة ... أبيح ليحيى الخير في القوم مصرع

* (مقاتل الطالبين ص ٤٢٠).

قـتـلت أعـز مـن ركـب الـمـطايـا وجئتـك استـليـنـك فـي الـكـلام
وعـز عـلـيّ أن ألـقـاك إلا وفـيـمـا بـيـنـنـا حـد الـحـسـام

وهو يحى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي.

وأما أبو الجارود فكان يسمى سُرحوب سماه بذلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنه، وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر قاله الباقر تفسيراً، ومن أصحاب أبي الجارود فضيل الرسان وأبو خالد الواسطي، وهم مختلفون في الأحكام والسير، فزعم بعضهم أن علم ولد الحسن والحسين عليهما السلام كعلم النبي ﷺ، فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة، وبعضهم يزعم أن العلم مشترك فيهم وفي غيرهم وجائز أن يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العامة.

السليمانية

أصحاب سليمان بن جرير [1]، وكان يقول إن الإمامة شورى فيما بين الخلق، ويصح أن ينعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنها تصح في المفضول مع وجود الأفضل، وأثبت إمامة أبي بكر وعمر حقاً باختيار الأمة حقاً اجتهادياً، وربما كان يقول أن الأمة أخطأت في البيعة لهما مع وجود عليّ خطأ لا يبلغ درجة الفسق، وذلك الخطأ خطأ اجتهادي، غير أنه طعن في عثمان للأحداث التي أحدثها، وأكفره بذلك، وأكفر عائشة، والزبير، وطلحة، بإقدامهم على قتال عليّ، ثم إنه طعن في الرافضة، فقال إن أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم، لا يظهر أحد قط عليهم، **إحداهما**: القول بالبداء فإذا أظهروا قولاً إنه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور، ثم لا يكون الأمر على ما أخبروه، قالوا: بل بدا الله تعالى في ذلك، **والثانية**: التقية وكل ما أرادوا تكلموا به، فإذا قيل لهم ذلك ليس بحق، وظهر لهم البطلان، قالوا إنما قلناه تقية، وفعلناه تقية، وتابعه على القول بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل قوم من المعتزلة، منهم جعفر بن مبشر،

---

(١) سليمان بن جرير أحد الشيعة: كان يقول ان الصحابة تركوا الأصلح بتركهم مبايعة علي لأنه كان أولاهم بها وكان ذلك خطأ لا يوجب كفراً ولا فسقاً وكفر عثمان بما ارتكب من الأحداث فكفره أهل السنّة بتكفير عثمان وقد ظهر أيام الخليفة المنصور. (لسان الميزان ثالث ص ٨٠، الفرق بين الفرق ص ٢٣٢).

وجعفر بن حرب، وكثير النواء [1]، وهو من أصحاب الحديث، قالوا: الإمامة من مصالح الدين ليس يحتاج إليها لمعرفة الله تعالى وتوحيده، فإن ذلك حاصل بالعقل، لكنها يحتاج إليها لإقامة الحدود والقضاء، بين المتحاكمين، وولاية اليتامى والأيامي وحفظ البيضة، وإعلاء الكلمة، ونصب القتال مع أعداء الدين، وحتى يكون للمسلمين جماعة، ولا يكون الأمر فوضى بين العامة، فلا يشترط فيها أن يكون الإمام أفضل الأمة علماً، وأقدمهم رأياً وحكمة، إذ الحاجة تستند بقيام المفضول مع وجود الفاضل والأفضل [2].

ومالت جماعة من أهل السنة إلى ذلك، حتى يجوز أن يكون الإمام غير مجتهد ولا خبير بمواقع الاجتهاد [3] ولكن يجب أن يكون من أهل الاجتهاد فيراجعه في الأحكام، ويستفتى منه في الحلال والحرام، ويجب أن يكون في الجملة ذا رأي متين، وبصر في الحوادث نافذ.

---

(١) كثير بن إسماعيل ويقال ابن نافع النواء أبو إسماعيل، زائغ ضعيف الحديث، وكان غالياً في التشيع مفرطاً فيه، وقيل إنه لم يمت حتى رجع عن التشيع. (تهذيب التهذيب ثامن ص ٤١١).

(٢) قال الأشعري: يجب أن يكون الإمام أفضل زمانه في شروط الإمامة ولا تنعقد الإمامة لأحد مع وجود من هو أفضل منه فيها فإن عقدها قوم للمفضول كان المعقود له من الملوك دون الأئمة ولهذا قال في الخلفاء الأربعة أفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي واختار أبو العباس القلانسي جواز عقد الإمامة للمفضول إذا كانت فيه شروط الإمامة مع وجود الأفضل منه، وقال النظام والجاحظ أن الإمامة لا يستحقها إلا الأفضل ولا يجوز صرفها إلى المفضول وقال الباقون من المعتزلة الأفضل أولى بها فإن عرض للأمة خوف فتنة من عقدها للأفضل جاز لهم عقدها للمفضول واجتمعت الروافض على أنه لا يجوز إمامة المفضول إلا سليمان ابن جرير الزيدي فإنه قال بإمامة عثمان ست سنين مع كون علي أفضل منه عنده، ودليل قول من أجاز إمامة المفضول مبني على صحة إمامة أبي بكر وعمر فإذا صحت إمامة عمر فقد قال في أهل الشورى لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لوليته عليكم مع علمه بأن علياً أفضل منه وفي هذا دليل على أن الصحابة كانوا يريدون جواز إمامة المفضول. (أصول الدين ص ٢٩٣).

(٣) روى عن ابن حنبل ألفاظ تقتضي إسقاط اعتبار العدالة والعلم والفضل، فقال ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً عليه براً كان أو فاجراً فهو أمير المؤمنين، وكان يدعو المعتصم بأمير المؤمنين في غير موضع وقد دعاه إلى القول بخلق القرآن وضربه عليه، وكذلك قد كان يدعو المتوكل بأمير المؤمنين ولم يكن من أهل العلم ولا كان أفضل وقته وزمانه، واجتمع إليه فقهاء بغداد في ولاية الواثق وقالوا هذا أمر قد تفاقم وفشا. (يعنون إظهار الخلق للقرآن) نشاورك في أنا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه فقال: عليكم بالنكرة بقلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين. (الأحكام السلطانية لابن أبي يعلى ص ٤).

الصالحية

أصحاب الحسن بن صالح بن حي [1] والبترية أصحاب كثير النواء الأبتر وهما متفقان في المذهب، وقولهم في الإمامة كقول السليمانية إلا أنهم توقفوا في أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر، قالوا: إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة، قلنا يجب أن يحكم بصحة إسلامه وإيمانه، وكونه من أهل الجنة، وإذا رأينا الأحداث التي أحدثها من استهتاره بتربية بني أمية وبني مروان واستبداده بأمور لم توافق سيرة الصحابة، قلنا: يجب أن يحكم بكفره فتحيرنا في أمره، وتوقفنا في حاله، ووكلناه إلى أحكم الحاكمين.

وأما عليّ، فهو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالإمامة، لكنه سلم الأمر لهم راضياً، وفوض الأمر إليهم طائعاً، وترك حقه راغباً، فنحن راضون بما رضي، مسلمون لما سلم لا يحل لنا غير ذلك، ولو لم يرض عليّ بذلك لكان أبو بكر هالكاً، وهم الذين جوزوا إمامة المفضول وتأخير الفاضل والأفضل إذا كان الأفضل راضياً بذلك، وقالوا: من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين، وكان عالماً زاهداً شجاعاً، فهو الإمام وشرط بعضهم صباحة الوجه، ولهم خبط عظيم في إمامين [2] وجد فيهما هذه

---

(١) الحسن بن صالح بن صالح ابن حي، وهو حيان بن شعنى بن هنى بن رافع الهمداني الثوري، الكوفي العابد الفقيه أحد الأعلام، وكان الثوري سيىء الظن فيه، دخل الثوري يوم الجمعة فإذا الحسن يصلي فقال: نعوذ بالله من خشوع النفاق وأخذ نعليه فتحول وقال: أيضاً فيه ذاك رجل يرى السيف على الأمة وكان زائدة يجلس في المجلس يحذر الناس من ابن حي ويستتيب منه، وقال أبو زرعة اجتمع فيه إتقان وفقه وعبادة وزهد قال له ابن بكير صف لنا غسل الميت فما قدر عليه من البكاء، وكان هو وأخوه علي وأمهما من العباد قد قسموا الليل ثلاثة أجزاء، فقام الحسن الليل كله وقال الداراني: ما رأيت أحداً الخوف أظهر على وجهه من الحسن قام ليلة بعم يتساءلون فغشي عليه فلم يختمها وكان ممن تجرد للعبادة ورفض الرئاسة وكان من كبار الشيعة الزيدية فقيهاً متكلماً وله كتاب التوحيد، وكتاب الجامع في الفقه، وغيرهما وإنما حمل عليه من حمل لمحله من التشيع. توفي سنة ١٦٨ وقيل سنة ١٦٩. (تهذيب التهذيب ثان ص ٢٨٥، فهرست ابن النديم ص ٢٥٣).

(٢) اختلف الموجبون للإمامة في عدد الأئمة في كل وقت، فقال أصحابنا: لا يجوز أن يكون في الوقت الواحد إمامان واجبي الطاعة وإنما تنعقد إمامة واحد في الوقت ويكون الباقون تحت رايته وإن خرجوا عليه من غير سبب يوجب عزله فهم بغاة إلا أن يكون بين البلدين بحر مانع من وصول نصرة أهل واحد منهما إلى الآخرين، فيجوز حينئذ لأهل كل واحد منهما عقد الإمامة لواحد من أهل ناحيته، وقالت الرافضة: لا يجوز أن يكون في الوقت الواحد إمامان أحدهما ناطق والآخر صامت وزعموا أن الحسين بن علي كان صامتاً في وقت الحسن ثم نطق بعد موته وزعم قوم من الركامية أنه يجوز أن يكون في وقت واحد إمامان وأكثر، وقالت =

الشرائط وشهرا سيفهما ينظر إلى الأفضل والأزهد وان تساويا ينظر إلى الأمتن رأياً، والأحزم أمراً، وان تساويا تقابلا فينقلب الأمر عليهم كلا ويعود جذعاً [1]، والإمام مأموماً والأمير مأموراً، ولو كانا في قطرين انفرد كل واحد منهما بقطره، ويكون واجب الطاعة في قومه، ولو أفتي أحدهما بخلاف ما يفتي الآخر كان كل منهما مصيباً، وإن أفتى باستحلال دم الإمام الآخر، وأكثرهم في زماننا مقلدون لا يرجعون إلى رأي واجتهاد أما في الأصول فيرجعون إلى رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت، وأما في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي والشيعة.

رجال الزيدية، أبو الجارود، زياد بن [2] المنذر العبدي، جعفر [3] بن محمد، والحسن بن صالح، ومقاتل بن سليمان، والداعي ناصر الحق، الحسن [4] بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن (علي بن) الحسين بن عليّ، والداعي الآخر صاحب طبرستان الحسن [5] بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ومحمد بن (منصور [6]).

= جماعة منهم أن علياً ومعاوية كانا إمامين في وقت واحد إلا أن علياً كان إماماً على وفق السنّة وكان معاوية إماماً على خلاف السنّة وكان واجباً عل أتباع كل واحد منهما طاعة صاحبهما، فياعجباً من طاعة واجبة في خلاف السنّة ولو جاز إمامان وأكثر لجاز أن ينفرد كل ذي صلاح بالإمامة فيكون كل واحد منهم بولاية محلته وعشيرته وهذا يؤدي إلى سقوط فرض الإمامة من أصلها. (أصول الدين ص ٢٧٤).

(١) عاد الطلب جذعاً إذا أخذ فيه حديثاً لا قديماً.

(٢) زياد بن المنذر الهمذاني الخراساني العبدي الأعمى الكوفي، الملقب سرحوب لقبه به الباقر، ويكنى أبا الجارود زيدي المذهب رافضياً وإليه تنسب الزيدية الجارودية وله كتاب التفسير وقد كذبه ابن معين مات بعد الخمسين ومائة. (فهرست الطوسي ص ٧٢ التقريب ص ٧٤).

(٣) جعفر بن محمد بن قولويه القمي يكنى أبا القاسم له تصانيف كثيرة على عدد أبواب الفقه وكتاب جامع الزيادات وما روي في ذلك من الفضل عن الأئمة توفي سنة ٣٦٨. (فهرست الطوسي ص ٤٢).

(٤) الداعي إلى الله الإمام الناصر للحق الحسن بن علي بن زيد بن عمر بن علي بن الحسين على مذهب الزيدية والإقامة وغيرها من أبواب الفقه وزعم بعض الزيدية أن له نحواً من مائة كتاب. (فهرست ابن النديم ص ٢٧٣).

(٥) الداعي إلى الحق الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن، صاحب طبرستان ظهر بها سنة ٢٥٠ ومات بطبرستان مملكاً عليها سنة سبعين ومائتين وقام مكانه الداعي إلى الحق أخوه محمد بن زيد وملك الديلم وللحسن من الكتب كتاب الجامع في الفقه وكتاب البيان وكتاب الحجة في الإمامة. (فهرست ابن النديم ص ٢٧٤).

(٦) أبو جعفر محمد بن منصور المرادي الزيدي وله من الكتب كتاب التفسير وكتاب الكبير وكتاب سيرة الأئمة =

الإمامية

هم القائلون بإمامة علي عليه السلام بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين، قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام حتى يكون مفارقته الدنيا عَلَى فراغ قلب من أمر الأمة، فإنه إذا بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يفارق الأمة، ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأياً، ويسلك كل واحد طريقاً، لا يوافقه في ذلك غيره بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه، وقد عين علياً عليه السلام في مواضع تعريضاً، وفي مواضع تصريحاً.

أما تعريضاته فمثل أن بعث أبا بكر ليقرأ سورة البراءة على الناس في المشهد، وبعث بعد علياً ليكون هو القارىء عليهم، والبلغ عنه إليهم، وقال نزل على جبريل، فقال: يبلغه رجل منك أو قال من قومك، وهو يدل على تقديمه علياً عليه السلام.

ومثل ما كان يؤمر علي أبي بكر وعمر غيرهما من الصحابة في البعوث، وقد أمر عليهما عمرو بن العاص في بعث، وأسامة بن زيد في بعث، وما أمر عليّ أحداً قط.

وأما تصريحاته فمثل ما جرى في نأنأة [1] الإسلام حين قال: من الذي يبايعني على ماله، فبايعته جماعة، ثم قال: من الذي يبايعني على روحه وهو وصيي وولي هذا الأمر من بعدي، فلم يبايعه أحد، حتى مد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يده إليه فبايعه على روحه ووفى بذلك حتى كانت قريش تعير أبا طالب أنه أمر عليك ابنك، ومثل ما جرى في كمال الإسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى: ﴿ ياءيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة: ٦٧] فلما وصل إلى غدير [2] خم أمر بالدوحات فقممن ونادوا الصلاة جامعة، ثم قال عليه السلام وهو على الرجال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره،

= العادلة، وله كتب على تلاوة كتب الفقه ورسالة على لسان بعض الطالبيين إلى الحسن بن زيد بطبرستان. (فهرست ابن النديم ص ٢٧٤).

(١) النأنأة العجز والضعف وروى عكرمة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال طوبى لمن مات في النأنأة مهموزة بمعنى أول الإسلام قبل أن يقوى ويكثر أهله وناصروه، والداخلون فيه فهو عند الناس ضعيف.

(٢) خم واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير عنده خطب رسول الله ﷺ وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة. (معجم ثالث ص ٤٦٦).

واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار. ألا هل بلغت ثلاثاً»، فادعت الإمامية أن هذا نص صريح، فإنا ننظر من كان النبي ﷺ مولى له وبأي معنى فنطرد ذلك في حق عليّ، وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه، حتى قال عمر حين استقبل علياً طوبى لك يا عليّ أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، قالوا وقول النبي عليه السلام: «أقضاكم عليّ» نص في الإمامة فإن الإمامة لا معنى لها إلا أن يكون أقضى القضاء في كل حادثة الحاكم على المتخاصمين في كل واقعة، وهو معنى قوله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فأولي الأمر من إليه القضاء والحكم، حتى وفي مسألة الخلافة لما تخاصمت المهاجرون والأنصار كان القاضي في ذلك هو أمير المؤمنين عليّ دون غيره، فإن النبي ﷺ كما حكم لكل واحد من الصحابة بأخص وصف له فقال «أفرضكم زيد وأقرؤكم أبيّ، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ» كذلك حكم لعلي بأخص وصف وهو قوله أقضاكم عليّ، والقضا يستدعي كل علم، وليس كل علم يستدعي القضاء.

ثم إن الإمامية تخطت عن هذه الدزجة إلى الوقيعة في كبار الصحابة طعناً وتكفيراً، وأقله ظلماً وعدواناً، وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم، والرضا عن جماعتهم قال الله تعالى: ﴿لقد [1] رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ وكانوا إذ ذاك ألفاً وأربعمائة، وقال تعالى ثناء على المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ﴿والسابقون [2] الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان

---

(١) يعني بيعة الحديبية وتسمى بيعة الرضوان لهذه الآية، ورضاء الله سبحانه عنهم هو إرادته تعظيمهم ومثوبتهم، وهذا إخبار منه سبحانه أنه رضي عن المؤمنين إذ بايعوا النبي ﷺ في الحديبية تحت الشجرة المعروفة وهي شجرة السمرة، وقد بايعوه على أن لا يفروا، وعلى الموت وكان أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي وبايع رسول الله ﷺ لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى، قال جابر: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ: «أنتم خير أهل الأرض»، وقال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة».

(٢) أي السابقون إلى الإيمان وإلى الطاعات وإنما مدحهم بالسبق لأن السابق يتبعه غيره فيكون متبوعاً وغيره تابع له، فهو إمام فيه وداع له إلى الخير، يسبقه إليه وكذا من سبق إلى الشر يكون أسوأ حالاً لهذه العلة، من المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وإلى الحبشة ومن الأنصار الذين سبقوا نظراءهم من أهل المدينة، أو الأنصار الذين نصروا الرسول وآزروه، والذين اتبعوهم بإحسان من فعل الخير والدخول في الإسلام وسلوك مسلكهم، والاحتذاء بهم، والاقتداء بهديهم ممن يجيء بعدهم إلى يوم القيامة رضي الله عنهم ورضوا عنه رضي عنهم أفعالهم وآثارهم ورضوا عنه لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم وإيمانهم به ويقينهم وسبقهم.

رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة [١]﴾ [التوبة: ١١٧] وقال: ﴿وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض [٢]﴾ [النور: ٥٥]وفي ذلك دليل على عظم قدرهم عند الله وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول فليت شعري كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم، ونسبة الكفر [٣] إليهم، وقد قال النبي عليه السلام: «عشرة في الجنة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح» إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في حق كل واحد منهم على الانفراد، وإن نقلت هنات من بعضهم فليتدبر النقل، فان أكاذيب الروافض كثيرة.

---

(١) لقد تاب الله... نزلت في غزوة تبوك إذ خرجوا إليها في شدة من الأمر، في سنة مجدبة، وحر شديد وعسر شديد، حتى لقد كان النفر يتداولون الثمرة بينهم يمصها هذا، ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا، ويشرب عليها، وكان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب رجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه، قال عمر: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً فأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع وحتى أن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع وحتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع إلينا، فقال: تحب ذلك؟ قال: نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء، فأهطلت ثم سكنت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر، فأقسم الله تعالى في هذه الآية، لأن لام «لقد» لام القسم، بأنه سبحانه أكرمهم وقبل توبتهم وطاعتهم، وذكر النبي، مفتاح للكلام، وتحسين له، ولأنه سبب توبتهم، فلهم عند ربهم الدرجة الرفيعة، ورضي الله عنهم ورضوا عنه.

(٢) ﴿وعد الله الذين آمنوا﴾... هذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد ولهم تخضع العباد ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾، وحكماً فيهم، وقد فعل الله تبارك وتعالى ذلك ففتحت الفتوح وساد المسلمون، وامتد سلطانهم إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، لما عرفوا به من إيمان ويقين، وما عملوه من صالح الأعمال، فقد أطاعوا الله فأطاع لهم العالم؛ ومكن لهم دينهم، وأيد سلطانهم وكتب أمنهم، وظهرت كلمة الله في المشارق والمغارب، وأيدهم تأييداً عظيماً، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم، ولكن ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

(٣) أجمع أهل السنّة على إيمان المهاجرين والأنصار من الصحابة، وهذا خلاف قول من زعم من الرافضة أن الصحابة كفرت بتركها بيعة علي وخلاف قول الكاملية في تكفير علي بتركه قتالهم، والمهاجرون والأنصار بحمد الله ومنّه درجوا على الدين القويم والصراط المستقيم، ومن شهد بدراً وأُحُداً غير قزمان، وأهل بيعة الرضوان من أهل الجنة، ومن أكفر واحداً من العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، فهو كافر ومن أكفر المسلمين وأكفر أخيار الصحابة فهو الكافر دونهم. (الفرق بين الفرق ص ٣٥٢).

ثم إن الإمامية لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد الحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، على رأي واحد، بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها، حتى قال بعضهم إن نيفاً وسبعين فرقة من الفرق المذكورة في الخبر هو في الشيعة خاصة، ومن عداهم خارجون عن الأمة، وهم متفقون في سوق الإمامة[1] إلى جعفر بن محمد الصادق مختلفون في المنصوص عليه بعدة من أولاده، إذ كانت له خمسة أولاد[2] وقيل ستة محمد وإسحاق وعبد الله وموسى وإسماعيل وعليّ ومن ادعى منهم النص والتعيين (قال في تعيين) محمد، وعبد الله، وموسى، وإسماعيل، ثم منهم من مات وأعقب ومنهم من قال بالتوقف والانتظار. والرجعة، ومنهم من قال بالسوق والتعدية كما سيأتي اختلافاتهم عند ذكر طائفة طائفة، وكانوا في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم وتمادى الزمان اختار كل فرقة طريقة، وصارت الإمامية بعضها معتزلة، إما وعيدية، وإما تفضيلية، وبعضها إخبارية إما مشبهة وإما سلفية، ومن ضل عن الطريق وتاه لم يبال الله به في أي واد هلك.

الباقرية والجعفرية

الواقفية أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر الصادق، قالوا بإمامتهما وإمامة والدهما زين العابدين، إلا أن منهم من توقف على واحد منهما، وما ساق الإمامة إلى أولادهما، ومنهم من ساق، وإنما ميزنا هذه فرقة دون الأصناف المتشيعة التي نذكرها لأن من الشيعة من توقف على الباقر، وقال برجعته، كما توقف القائلون بإمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، وهو ذو علم غزير، في الدين وأدب كامل في الحكمة، وزهد في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق، وأقام بها مدة، ما تعرض للإمامة قط، ولا نازع أحداً في الخلافة، ومن غرق في بحر المعرفة لم

---

(١) الإمام سلالة النبوة أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين، علوي الأب بكري الأم وكان سيد بني هاشم وهو عند الإمامية من الأثني عشر، توفي سنة ثماني وأربعين ومائة ودفن بالبقيع. (شذرات ص ٢٢٠).

(٢) ذكر من أعيان الشيعة رابع، أنه كان له أحد عشر ولداً سبعة ذكرو وأربع بنات وسابع الذكرو العباس. (ص ٥٤٤).

يطمع في شط، ومن تعلى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط، وقيل من آنس بالله توحش عن الناس، ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس، وهو من جانب الأب ينتسب إلى شجرة النبوة، ومن جانب الأم ينتسب إلى أبي بكر [1] رضي الله عنه، وقد تبرأ مما كان ينسب بعض الغلاة إليه، وتبرأ عنه، ولعنهم، وبرىء من خصائص مذاهب الرافضة حماقاتهم، من القول بالغيبة، والرجعة، والبداء والتناسخ والحلول، والتشبيه، لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهباً، وأراد أن يروجه على أصحابه، ونسبه إليه، وربطه به، والسيد برىء من ذلك، ومن الاعتزال، والقدر أيضاً، هذا قوله في الإرادة إن الله تعالى أراد بنا شيئاً، وأراد منا شيئاً، فما أراد بنا طواه عنا، وما أراد منا أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا، عما أراده منا، وهذا قوله في القدر هو أمر بين أمرين، لا جبر ولا تفويض، وكان يقول في الدعاء (اللهم لك الحمد إن أطعتك، ولك الحجة إن عصيتك، لا صنع لي ولا لغيري في إحسان، ولا حجة لي، ولا لغيري في إساءة).

فنذكر الأصناف الذين اختلفوا فيه وبعده، لا على أنهم من تفاصيل أشياعه بل على أنهم منتسبون إلى أصل شجرته وفروع أولاده.

الناوسية [2]

أتباع رجل يقال له ناوس، وقيل: نسبوا إلى قرية ناوسا، قالت إن الصادق حي بعد، ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره، وهو القائم المهدي، ورووا عنه أنه قال: لو رأيتم رأسي يدهده [3] عليكم من الجبل فلا تصدقوا، فان صاحبكم صاحب السيف.

وحكى أبو حامد المروذي (أحمد بن بشر البصري إمام أصولي ولي الفضل توفي سنة ٢٦٣) أن الناوسية زعمت أن علياً مات، وستنشق الأرض عنه (قبل) يوم القيامة فيملأ العالم عدلاً.

---

(١) فأمه أم فروة وقيل أم القاسم واسمها قريبة أو فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر وهذا معنى قول الصادق أن أبا بكر ولدني مرتين وفي ذلك يقول الشريف الرضي:

وحزناً عتيقاً وهو غاية فخركم ... بمولد بنت القاسم بن محمد

(أعيان الشيعة رابع ص ٥٤٢).

(٢) الناوسية نسبة إلى عجلان بن ناوس، وهو رئيس لهم من أهل البصرة وتسمى هذه الفرقة بالصارمية. (فرق الشيعة ص ٦٧).

(٣) دهدهدت الحجارة فتدهدهت، أي دحرجتها فتدحرجت.

الأفطحية

قالوا بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأفطح، وهو أخو إسماعيل من أبيه وأمه، وأمهما فاطمة [1] بنت الحسين بن علي، وكان أسن أولاد الصادق، زعموا أنه قال الإمامة في أكبر أولاد الإمام، وقال الإمام من يجلس مجلسي، وهو الذي جلس مجلسه والإمام لا يغسله ولا يصلي عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه إلا الإمام وهو الذي تولى ذلك كله، ودفع الصادق وديعة إلى بعض أصحابه، وأمره أن يدفعها إلى من يطلبها منه، وأن يتخذه إماماً وما طلبها منه أحد إلا عبد الله، ومع ذلك ما عاش بعد أبيه إلا سبعين يوماً ومات ولم يعقب ولداً ذكراً.

الشميطية

أتباع يحيى بن شميط [2] قالوا إن جعفراً قال إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم، وقد قال له والده إن ولد لك ولد فسمه باسمي فهو إمام، فالإمام بعده ابنه محمد.

الموسوية والمفضلية [3]

فرقة واحدة قالت بإمامة موسى بن جعفر نصاً عليه بالاسم، حيث قال الصادق، سابعكم قائمكم، وقيل: صاحبكم قائمكم، ألا وهو سمي صاحب التوراة، ولما رأت الشيعة أن أولاد الصادق على تفرق فمن ميت في حال حياة أبيه لم يعقب، ومن مختلف في موته، ومن قائم بعد موته مدة يسيرة، ميت غير معقب، وكان موسى الذي تولى الأمر، وقام به بعد موت أبيه، رجعوا إليه، واجتمعوا عليه، مثل المفضل [4] ابن عمر،

---

(١) قال في المفيد: أمهما فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين بن علي. وقال الحافظ الجنابذي أمهما فاطمة بنت الحسين الأثرم بن حسن بن علي. (أعيان الشيعة رابع ص ٥٤٥).

(٢) يحيى بن أبي شميط، وفي بعض الكتب يحيى بن أبي سميط وفي بعضها يحيى بن شميط وفي بعضها يحيى بها شميط الأخمسي وكان قائداً من قواد المختار. (فرق الشيعة ص ٧٧).

(٣) المفضلية أتباع المفضل بن عمر (مقريزي رابع ص ١٧٥).

(٤) المفضل بن عمر أبو عبد الله أو أبو محمد الجعفي الكوفي من أصحاب الصادق والكاظم، ومن متكلمي المعتزلة روى كتاب التوحيد عن إمامة جعفر فعرف بتوحيد المفضل وهو مطبوع ومن أجود الكتب في الردّ على الدهرية وإثبات الصانع، وكان محموداً عند الأئمة ماضياً على منهاجهم ومن شيوخ أصحابهم وخاصتهم وثقات فقهائهم وله وصية يرويها. (فهرست الطوسي ص ١٦٩، أعيان الشيعة أول ص ٥٢٥).

وزرارة [1] بن أعين، وعمار [2] بن موسى الساباطي، وروت الموسوية عن الصادق عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه عد الأيام، فعدها من الأحد حتى بلغ السبت، فقال له: كم عددت، فقال: سبعة، فقال جعفر: منبت السبوت، وشمس الدهور، ونور الشهور، من لا يلهو ولا يلعب، وهو سابعكم قائمكم هذا، وأشار إلى موسى.

وقال فيه أيضاً إنه شبيه بعيسى، ثم إن موسى لما خرج وأظهر الإمامة حمله هارون الرشيد من المدينة، فحبسه عند عيسى بن جعفر [3]، ثم أشخصه إلى بغداد فحبسه عند السندي [4] بن شاهك، وقيل: إن يحيى [5] بن خالد بن برمك سمه في رطب فقتله وهو في الحبس [6]، ثم أخرج ودفن في مقابر قريش ببغداد.

---

(١) زرارة بن أعين، وإسمه عبد ربه، يكنى أبا الحسن، وزرارة لقب له وكان أعين بن سنسن عبداً رومياً لرجل من بني شيبان تعلم القرآن فأعتقه وزرارة أخو حمران يترفض، وكانوا ثلاثة أخوة شيعة وكان حمران أشدهم وكان من المحدثين، يدعى إمامة الأفطح، وقيل إنه رجع عن التشيع، إذ سأله قوم عن الأفطح، وكان المصحف بين يديه فأشار لهم إليه وقال لهم: هذا إمامي لا إمام لي غيره، وله تصنيفات منها كتاب الاستطاعة والجبر، ويعد من فقهاء الشيعة ومحدثيهم ومتكلميهم توفي سنة ١٥٠. (فهرست الطوسي ص ٧٤ لسان الميزان ثان ص ٤٧٣).

(٢) عمار بن موسى الساباطي كان فطحياً، له كتاب كبير جيد معتمد وقد روى عن الإمام أبي الحسن موسى، أنه قال: استوهبت عماراً من ربي فوهبه لي وكان من فقهاء الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله، ومن الأعلام الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام. (فهرست الطوسي ص ١١٧).

(٣) عيسى بن جعفر بن المنصور، من أمراء العباسيين وهو أخو زبيدة زوج الرشيد، وقد مات سنة ١٩٢ بطرارستان وقيل بالدسكرة وهو يريد اللحاق بالرشيد. (طبري عاشر ص ٥٣ و ١٠٩).

(٤) السندي بن شاهك كان يلي الجسرين ببغداد أيا الرشيد، وقد وكله بدور البرامكة وأسبابهم سراً، قال: فوكلت بدورهم سراً على خوف مني ووجل أن يبدو للرشيد في الرأي وأن يتصل خبر توكيلي بهم فيكون سبب هلاكي فظللت يومي مهموماً فلما كان في السحر إذا على بغل خرج فيه جثة جعفر مقطوعة نصفين وكتاب الرشيد إلي بصلب كل نصف على أحد الجسرين ففعلت ذلك. (الجهشياري ص ٢٣٦).

(٥) أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد، وكان جده برمك من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران، واشتهر برمك وبنوه بسدانته وقد سار ابنه خالد وولي الوزارة لأبي العباس، وكان يحيى من النبل، والعقل وجمع الخلال على أكمل حال وكان المهدي قد ضم إليه ولده هارون الرشيد، وجعله في حجره، فلما استخلف هارون عرف له حقه، فقلده الأمر ودفع له خاتمه، وكان يعظمه وإذا ذكره قال أبي وجعل إصدار الأمور وإيرادها إليه، إلى أن نكب البرامكة وحبسه وقتل ابنه جعفراً، وكان يحيى من العقلاء الكرماء البلغاء، لم يكن كيحيى وكولده أحمد في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة مات في محبسه سنة ١٩٠ ووجد في جيبه رقعة فيها مكتوب بخطه قد تقدم الخصم، والمدعى عليه في الأثر والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجوز ولا يحتاج إلى بيّنة فحملت الرقعة إلى الرشيد فلم يزل يبكي يومه كله وبقي أياماً يتبين الأسى في وجهه. (ابن خلكان ثان ص ٣٢١).

(٦) ولما طال سجنه كتب موسى إلى الرشيد رسالة يقول فيها: أما بعد؛ يا أمير المؤمنين إنه لم ينقض عني يوم =

واختلف الشيعة بعده فمنهم من توقف في موته وقال: لا ندري أمات أم لم يمت، ويقال لهم (الممطورة [1])، وسماهم بذلك علي بن إسماعيل [2]، فقال: ما أنتم إلا كلاب ممطورة، ومنهم من قطع بموته ويقال لهم: (القطعية [3])، ومنهم من توقف عليه، وقال إنه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة، ويقال لهم: (الواقفية) [4]، أسماء الأئمة الإثنا عشر عند الإمامية: المرتضى والمجتبى والشهيد والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والتقي والنقي والزكي والحجة القائم المنتظر.

الإسماعيلية

الواقفية قالوا إن الإمام بعد جعفر، إسماعيل نصا عليه باتفاق من أولاده، إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه. فمنهم من قال لم يمت [5] إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس وعقد محضراً، وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة، ومنهم من قال الموت صحيح، والنص لا يرجع قهقرى، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد

= من البلاء إلا إنقضى عنك يوم من الرخاء حتى يفضي بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون. (ابن كثير عاشر ص ١٨٣).

(١) غلب عليها هذا الاسم وشاع لها وكان سبب ذلك أن علي بن إسماعيل الميثمي ويونس بن عبد الرحمن ناظراً بعضهم فقال له علي بن إسماعيل وقد اشتد الكلام بينهم ما أنتم إلا كلاب ممطورة أراد أنكم أنتن من جيف لأن الكلاب إذا أصابها المطر فهي أنتن من الجيف فلزمهم هذا اللقب فهم يعرفون به اليوم لأنه إذا قيل للرجل أنه ممطور فقد عرف أنه من الواقفة على موسى بن جعفر. (فرق الشيعة ص ٨١).

(٢) علي بن إسماعيل بن شعيب ابن ميثم التمار، وميثم من جلة أصحاب أمير المؤمنين علي، وعلي سكن البصرة، وأحد الرافضة، ومن متكلميهم وقد ناظر أبا الهذيل عند أمير البَصرة، وله مجالس مع هشام بن الحكم وتوفي سنة ١٧٩ في عصر الرشيد العباسي. (فهرست الطوسي ص ٧٢ لسان الميزان رابع ص ٢٦٥).

(٣) زعمت هذه الفرقة بأن موسى مات في حبس ابن شاهك وأن يحيى بن خالد البرمكي سمه في رطب وعنب بعثهما إليه فقتله وأن الإمام بعد موسى هو علي بن موسى الرضا، فسميت هذه الفرقة القطعية لأنها قطعت على وفاة موسى بن جعفر وعلى إمامة علي ابنه بعده ولم تشك في أمرها ولا ارتابت ومضت على المنهاج الأول. (فرق الشيعة ص ٧٩).

(٤) أما هؤلاء، فقد أنكروا قتله وقالوا: مات ورفعه الله إليه وأنه يرده عند قيامه، فسموا بالواقفية، لوقوفهم على موسى بن جعفر أنه الإمام القائم ولم يأتموا بعده بإمام ولم يتجاوزوه إلى غيره. (فرق الشيعة ص ٨١).

(٥) وتعتقد فرقة من فرقه بأنه حي لم يمت وإنما غاب وهو القائم ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الأرض لا تخلو من إمام، وللقائم غيبتان؛ وأخرى أنه مات وعاش بعد موته وهو اليوم حي مستتر لا يظهر وسيظهر فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. (فرق الشيعة ص ٩٧).

المنصوص عليه دون غيره، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل [1] وهؤلاء يقال لهم المباركية [2].

ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل، وقال برجعته بعد غيبته.

ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية، وسنذكر مذهبهم على الانفراد، وإنما هذه فرقة الوقف على إسماعيل بن جعفر، ومحمد بن إسماعيل، والإسماعيلية المشهورة في الفرق هم الباطنية التعليمية الذين لهم مقالة مفردة.

الاثنا عشرية

إن الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر الكاظم وسموا قطعية ساقوا الإمامة بعده في أولاده، فقالوا: الإمام بعد موسى، (ابنه) علي الرضا ومشهده بطوس [3]، ثم بعده محمد التقي، وهو في مقابر [4] قريش، ثم بعده علي بن محمد النقي، ومشهده بقم [5] وبعده الحسن العسكري الزكي، وبعده ابنه القائم المنتظر الذي هو بسر [6] من رأى،

---

(١) محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهو الذي سأل عمه الإمام أبا الحسن موسى أن يأذن له في الخروج إلى العراق وأن يرضى عنه ويوشيه بوشية فأذن له وأوصاه، ودفع له ثلاث صرر كل صرة فيها مائة وخمسون ديناراً ثم أعطاه ألفاً وخمسمائة درهم فلما وصل إلى العراق دخل على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين، خليفتان في الأرض موسى بن جعفربالمدينة يجبى له الخراج وأنت بالعراق يجبى لك الخراج، فقال: والله وفقك الله فأمر الخليفة له بمائة ألف درهم فلما قبضها وحملت إلى منزله أخذته الريح في جوف ليلته فمات وحول من الغد المال الذي حمل إليه. (فرق الشيعة ص ٦٨).

(٢) سموا بالمباركية برئيس لهم كان يسمى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر وهو كوفي. (فرق الشيعة ص ٦٩).

(٣) طوس، مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ وبها آثار إسلامية جليلة وفي بعض بساتينها قبر علي بن موسى الرضا وقبر الرشيد. (معجم سادس ص ٧٠).

(٤) مقابر قريش ببغداد وهي مقبرة مشهورة، ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور بين الحربية ومقبرة أحمد بن حنبل والحريم الطاهري وبينها وبين دجلة شوط فرس جيد وهي التي فيها قبر موسى الكاظم، وكان أول من دفن فيها جعفر الأكبر بن المنصور، سنة ١٥٠ وكان المنصور أول من جعلها مقبرة لما ابتنى مدينته سنة ١٤٩. (معجم ثامن ص ١٠٧).

(٥) قم مدينة تذكر مع قاشان، وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها وبها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة وبرداً وأهلها كلهم شيعة إمامية. (معجم سابع ص ١٥٩).

(٦) سر من رأى أو سامراء مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وبها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه. (معجم خامس ص ١٢).

وهو الثاني عشر، هذا هو طريق الإثنا عشرية في زماننا إلا أن الاختلافات التي وقعت في حال كل واحد من هؤلاء الإثني عشر، والمنازعات التي جرت بينهم وبين إخوتهم، وبني أعمامهم، وجب ذكرها لئلا يشذ عنها مذهب لم نذكره، ومقالة لم نوردها.

فاعلم أن من الشيعة من قال بإمامة أحمد [1] بن موسى بن جعفر دون أخيه علي الرضا [2]، ومن قال بعلي شك أولاً في محمد بن علي إذ مات أبوه، وهو صغير غير مستحق للإمامة [3]، ولا علم عنده بمناهجها، فثبت [4] قوم على إمامته واختلفوا بعد موته، قوم بإمامة موسى بن محمد، وقال قوم بإمامة عليّ بن محمد، ويقولون هو العسكري، واختلفوا بعد موته أيضاً، فقال قوم بإمامة جعفر بن علي، وقال قوم بإمامة الحسن بن علي، وكان لهم رئيس يقال له علي بن فلان [5] الطاحن، وكان من أهل

---

(١) أحمد بن موسى: كان كريماً جليلاً ورعاً وكان أبوه يحبه ويقدمه، ووهب له ضيعته المعروفة باليسيرة، ويقال أنه أعتق ألف مملوك، وأنه مدفون بشيراز وكان في عصر المأمون. (فرق الشيعة ص ٨٧).

(٢) علي الرضا بن موسى الكاظم ولد سنة ١٥٣ وأمه أم ولد وسميت بالطاهرة، كان من أعلم وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالأسئلة، فيجيبه أجوبة سديدة، وكان المأمون يعظمه ويجلّه وهو أحد الأئمة الاثني عشر وقد زوجه المأمون بنته وجعله ولي عهده، وضرب اسمه على الدينار والدرهم وتوفي سنة ٢٠٣ بمدينة طوس وصلى عليه المأمون ودفن ملاصق قبر ابن الرشيد. (أعيان الشيعة رابع قسم ثان ص ٧٧ وابن خلكان أول ص ٤٠٤).

(٣) فقد توفي أبو الحسن الرضا وابنه محمد ابن سبع سنين فاستصبوه واستصغروه، وقالوا لا يجوز الامام إلا بالغاً ولو جاز أن يأمر الله عز وجل بطاعة غير بالغ لجاز أن يكلف الله غير بالغ، فكلما لا يعقل أن يحتمل التكليف غير بالغ فكذلك لا يفهم القضاء بين الناس وما تحتاج إليه من أمر دينها ودنياها طفل غير بالغ. (فرق الشيعة ص ٨٨).

(٤) أما من ثبت على إمامته، فقال بعضهم لا يجوز أن يكون علمه من قبل أبيه، ولكن الله عز وجل علمه ذلك عند البلوغ بضروب من إلهام، ونكت في القلب، ونقر في الأذن، ورؤيا صادقة وغير أولئك وقال بعضهم قبل البلوغ هو مام على معنى أن الأمر له دون غيره إلى وقت البلوغ فإذا بلغ علم، لا من جهة الإلهام ونحوه، مما ذكر آنفاً، لكن يعلم من كتب أبيه وما ورثه من العلم فيها وما رسم له فيها من الأصول والفروع وقال بعضهم: الإمام يكون غير بالغ ولو قلت سنه لأنه حجة الله فقد يجوز أن يعلم وإن كان صبياً ويجوز عليه الأسباب التي ذكرت من الإلهام والنكت والرؤيا وغيرها كل ذلك جائز عليه وفيه كما جاز عن سلفه من حجج الله الماضين، واعتلوا كل ذلك بيحيى بن زكريا وأن الله أتاه الحكم صبياً وبأسباب عيسى ابن مريم وبحكم الصبي بين يوسف بن يعقوب وامرأة الملك، وبعلم سليمان بن داود حكماً من غير تعليم وغير ذلك فإنه قد كان في حجج الله ممن كان غير بالغ عند الناس (فرق الشيعة ص ٧٩).

(٥) علي بن الطاحي الخزاز، نسبة إلى طاحية قبيلة من الأزد، بالبصرة وقيل الطاجني، نسبة إلى بيع الطاجن وسماه بعضهم علي بن طاحن وهو من متكلمي أهل الكوفة، وكان مشهوراً وكان مشهوراً في الفطحية، وهو ممن قوى إمامة جعفر وأمال الناس إليه، وكان متكلماً محجاجاً. (فرق الشيعة ص ٩٩).

الكلام قوى أسباب جعفر بن علي، وأمال الناس إليه، وأعانه فارس بن حاتم بن ماهوية، [1] وذلك أن محمداً قد مات وخلف الحسن العسكري، قالوا: امتحنا الحسن ولم نجد عنده علماً، ولقبوا من قال بإمامة الحسن الحمارية، وقووا أمر جعفر بعد موت الحسن، واحتجوا بأن الحسن مات بلا خلف، فبطلت إمامته، لأنه لم يعقب، والإمام لا يكون ألا ويكون له خلف وعقب، وحاز جعفر ميراث الحسن بعد دعوى ادعاها عليه، أنه فعل ذلك من حبل في جواريه وغيره، وانكشف أمرهم عند السلطان والرعية، وخواص الناس وعوامهم، وتشتت كلمة من قال بإمامة الحسن وتفرقوا أصنافاً كثيرة، فثبتت هذه الفرقة على إمامة جعفر ورجع إليهم كثير ممن قال بإمامة الحسن، منهم الحسن [2] بن علي بن فضال وهو من أجل أصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث، ثم قالوا بعد جعفر، بعلي ابن جعفر، وفاطمة بنت عليّ أخت جعفر، وقال قوم بإمامة عليّ بن جعفر دون فاطمة السيدة، ثم اختلفوا بعد موت عليّ وفاطمة اختلافاً كثيراً، وغلا بعضهم في الإمامة غلو أبي الخطاب [3] الأسدي، وأما الذين قالوا بإمامة الحسن، افترقوا بعد موته إحدى عشرة فرقة، وليست لهم ألقاب مشهورة، ولكنا نذكر أقاويلهم.

الفرقة الأولى: قالت إن الحسن لم يمت، وهو القائم ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهراً، لأن الأرض لا تخلو من إمام، وقد ثبت عندنا أن القائم له غيبتان، وهذه إحدى الغيبتين وسيظهر ويعرف ثم يغيب غيبة أخرى.

---

(١) ذكر في فرق الشيعة وأعانته على ذلك أخت الفارس بن حاتم بن ماهويه، القزويني غير أن هذه أنكرت إمامة الحسن بن علي وقالت: إن جعفراً أوصى إليه أبوه لا الحسن وفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني قد أطبق علماء الرجال والأخبار على ذمة وتكفيره ولعنه، قال نصر بن الصباح: «الحسن بن محمد المعروف بابن بابا ومحمد بن نصير النميري وفارس ابن حاتم القزويني لعن هؤلاء الثلاثة علي بن محمد العسكري»، وقد أمر أبو الحسن العسكري بقتله وضمن لمن قتله الجنة، وكان فارس هذا فتاناً يفتن الناس ويدعوهم إلى البدعة. (فرق الشيعة ص ٩٩).

(٢) الحسن بن علي بن فضال التيمي مولاهم الكوفي أبو بكر روى عن موسى بن جعفر وابنه علي وغيرهما، كان فطحياً يقول بإمامة عبد الله بن جعفر ثم رجع إلى إمامة أبي الحسن وكان خصيصاً بالرضا وكان جليل القدر عظيم المنزلة، ثقة في الحديث وفي رواياته وروى عنه ابن شاذان وبالغ في الثناء عليه بالزهد وكان من مصنفي الشيعة، وله كتب منها كتاب الزيارات وكتاب البشارات وكتاب الرد على الغالية وغيرها توفي سنة أربع وعشرين ومائتين. (لسان الميزان ثان ص ٢٢٥ فهرست الطوسي ص ٤٧).

(٣) أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي وقيل محمد بن مقلاص أبي زينب الأسدي الكوفي الأجدع الزراد البزار، ويكنى تارة أبو الخطاب وأخرى أبو الظبيان. (فرق الشيعة ص ٤٢).

الثانية: قالت إن الحسن مات لكنه يجيء وهو القائم، لأنا رأينا أن معنى القائم هو القيام بعد الموت فنقطع بموت الحسن لا نشك فيه ولا ولد له فيجب أن يجيء بعد الموت.

الثالثة: قالت إن الحسن قد مات، وأوصى إلى جعفر أخيه، ورجعت إمامة جعفر.

الرابعة: قالت إن الحسن قد مات والإمام جعفر، وأنا كنا مخطئين في الائتمام به إذ لم يكن إماماً فلما مات ولا عقب له تبينا أن جعفراً كان محقاً في دعواه والحسن مبطلاً.

الخامسة: قالت إن الحسن قد مات وكنا مخطئين في القول به، وأن الإمام كان محمد بن علي أخو الحسن وجعفر، ولما ظهر لنا فسق جعفر وإعلانه به، وعلمنا أن الحسن كان على مثل حاله إلا أنه كان يتستر، عرفنا أنهما لم يكونا إمامين، فرجعنا إلى محمد ووجدنا له عقباً، وعرفنا أنه كان هو الإمام دون أخويه.

السادسة: قالت إن للحسن ابناً وليس الأمر عَلَى ما ذكر، وأنه مات ولم يعقب بولد قبل وفاة أبيه بسنتين، فاستتر خوفاً من جعفر وغيره من الأعداء، واسمه محمد [1] وهو الإمام القائم المنتظر.

السابعة: قالت إن له ابناً، ولكنه ولد بعد موته بثمانية أشهر، وقول من ادعى أنه مات، وله ابن باطل، لأن ذلك لم يخف ولا يجوز مكابرة العيان.

الثامنة: قالت صحت وفاة الحسن، وصح أن لا ولد له، وبطل ما ادعى من الحبل في سرية له، وثبت أن لا إمام بعد الحسن، وهو جائز في المعقول أن يرفع الله الحجة عن أهل الأرض لمعاصيهم، وهي فترة وزمان لا إمام فيه، والأرض اليوم بلا حجة، كما كانت الفترة قبل مبعث النبي ﷺ [2].

---

(١) قال فرقة، أن للحسن ابناً، سماه محمداً، ولد سنة ٢٥٥، وأمه نرجس أو ريحانة أو صقيل، أو سوسن وكنيته أبو القاسم وألقابه كثيرة منها: صاحب الزمان وصاحب الدار والغريم والقايم والمهدي والهادي والصاحب وقد قطعوا على إمامته، وزعموا أنه مستور، وأنها إحدى غيباته وله غيبتان إحداهما من يوم وفات أبيه وهي الصغرى، والثانية الكبرى وابتداؤها من وفاة السمري آخر السفراء ولا يعلم إنتهاؤها إلا الله عز وجل، هذا هو اعتقاد الإمامية الاثني عشرية. (فرق الشيعة ص ١٠٢).

(٢) كما جاز أن لا يكون قبل النبي ﷺ فيما بينه وبين عيسى عليه السلام نبي ولا وصي، ولما روي أنه كانت بين =

التاسعة: قالت إن الحسن قد مات، وصح موته، وقد اختلف الناس هذا الاختلاف ، ولا ندري كيف هو، ولا نشك أنه قد ولد له ابن، ولا ندري قبل موته أو بعد موته، إلا أنا نعلم يقيناً أن الأرض لا تخلو عن حجة ، وهو الخلف الغائب، وفنحن نتولاه ونتمسك باسمه، حتى يظهر بصورته.

العاشرة: قالت نعلم أن الحسن قد مات، ولا بد للناس من إمام، ولا يخلو الأرض من حجة، ولا ندري من ولده أو من غيره.

الحادية عشرة: فرقة توقفت في هذه المخابط، وقالت لا ندري على القطع حقيقة الحال لكنا نقطع في الرضا، ونقول بإمامته وفي كل موضع اختلفت الشيعة فيه فنحن من الواقفية في ذلك، إلى أن يظهر الله الحجة، ويظهر بصورته فلا يشك في إمامته من أبصره، ولا يحتاج إلى معجزة وكرامة وبينة، بل معجزته إتباع الناس بأسرهم إياه، من غير منازعة ولا مدافعة، فهذه جملة فرق الإثنا عشرية قطعوا على واحد واحد منهم، ثم قطعوا على كل بأسرهم، ومن العجب أنهم قالوا: الغيبة قد امتدت مائتين ونيفاً وخمسين سنة، وصاحبنا قال: إن خرج القائم، وقد طعن في الأربعين فليس بصاحبكم، ولسنا ندري كيف ينقضي مايتان وخمسون سنة في أربعين سنة، وإذا سئل القوم عن مدة الغيبة كيف يتصور، قالوا، أليس الخضر وإلياس عليهما السلام يعيشان في الدنيا من آلاف (السنين) لا يحتاجان إلى طعام وشراب، فلم لا يجوز ذلك في واحد من أهل البيت قيل لهم ومع اختلافكم هذا، كيف يصح لكم دعوى الغيبة، ثم الخضر عليه السلام ليس مكلفاً بضمان جماعة، والإمام عندكم ضامن مكلف بالهداية والعدل، والجماعة مكلفون بالاقتداء به، والاستنان بسنته، ومن لا يرى كيف يقتدي به، فلهذا صارت الإمامية متمسكين بالعدلية في الأصول، وبالمشبهة في الصفات، متحيرين تائهين، وبين الأخبارية منهم والكرمية سيف وتكفير ، وكذلك بين التفضيلية والوعيدية

= الأنبياء فترات، روى ثلاثمائة سنة وروي مائتي سنة ليس فيها نبي ولا وصي وقد قال الصادق: «إن الفترة هي الزمان الذي لا يكون فيه رسول ولا إمام». والأرض اليوم بلا حجة إلا أن يشاء الله فيبعث القائم من آل محمد ﷺ فيحيي الأرض بعد موتها كما بعث محمد ﷺ على حين فترة من الرسل فجدد ما درس من دين عيسى، ودين الأنبياء، فكذلك يبعث القائم إذا شاء جل وعز، والحجة علينا، إلى بعث القائم وظهروه، الأمر والنهي من متقدمي الأئمة وعلمهم الذي بأيدينا كما كانت الحجة على الناس قبل ظهور نبينا ﷺ أمر عيسى عليه السلام ونهيه وما خرج من علمه وعلم أوصيائه. (فرق الشيعة ص ١٠٥).

قتال وتضليل، أعاذنا الله من الحيرة، ومن العجب أن القائلين بإمامة المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم لا يستحيون فيدعون فيه أحكام الإلهية ويتأولون قوله تعالى عليه: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ [التوبة: ١٠٥] قالوا هو الإمام المنتظر الذي يرد إليه علم الساعة، ويدعون فيه أنه لا يغيب عنا، ويستخبرنا بأحوالنا حين يحاسب الخلق، إلى تحكمات باردة، وكلمات عن العقول ردة شعر:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... عَلَى ذقن أو قارعاً سن نادم

الغالية

الغالية هم الذين غلوا في حق أئمتهم، حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفي الغلو والتقصير، وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية [١] ومذاهب التناسخية [٢]، ومذاهب اليهود والنصارى إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق، فسرت هذه المشبهات في أذهان الشيعة الغلاة، حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة، وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة، وإنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك، وتمكن الاعتزال فيهم، لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول، وأبعد من التشبيه والحلول.

وبدع الغلاة محصورة في أربع، التشبيه والبداء، والرجعة والتناسخ، ولهم

---

(١) الحلول، حلول الشيء في الشيء عبارة عن نزوله فيه، وفي عرف الحكماء اختصاص شيء بشيء بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر، أو هو أن يكون حاصلاً فيه بحيث تتحد الإشارة إليهما تحقيقاً كما في حلول الأعراض في الأجسام أو تقديراً كحلول العلوم في المجردات وهو قسمان، سرياني عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد فيسمى الساري حالاً والمسري فيه محلاً والحلول الجواري عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للأخذ كحلول الماء في الكوز. والذين يقولون بحلول الله في عبد من عباده، خرجوا عن فرق الإسلام، وتبعوا في قولهم أعداءه. (دستور ثان ص ٥٤ تعريفات ص ٦٣).

(٢) التناسخ عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمانين بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد. (تعريفات ص ٦٧).

ألقاب، وبكل بلد لقب، يقال لهم بأصفهان الخرمية والكودية؛ وبالري، المزدكية والسنبادية، وباذربيجان الذقولية، وبموضع المحمرة وبما وراء النهر، المبيضة.

السبئية

أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي عليه السلام أنت أنت، يعني أنت الإله، فنفاه إلى المداين، وزعموا أنه كان يهودياً فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى، مثل ما قال في عليّ عليه السلام، وهو أول من أظهر القول بالغرض بإمامة عليّ، ومنه انشعبت أصناف الغلاة، وزعموا أن علياً حي لم يقتل [1]، وفيه الجزء الإلهي، ولا يجوز أن يستولي عليه، وهو الذي يجيء في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال عليّ عليه السلام، واجتمعت عليه جماعة، وهم أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة، وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد عليّ، وهذا المعنى مما كان يعرفه الصحابة، وإن كانوا على خلاف مراده.

هذا عمر رضي الله عنه كان يقول فيه حين فقأ عين واحد في الحرم، ورفعت القصة إليه ماذا أقول في يد الله فقأت عيناً في حرم الله، فأطلق عمر اسم الإلهية عليه لما عرف منه ذلك.

---

(١) غلا ابن سبأ في علي وزعم أنه كان نبياً ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قوماً من غلاة الكوفة، فرفع خبرهم إلى علي فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين.

لترم بي الحوادث حيث شاءت ... إذا لم ترم بي في الحفرتين

ثم أنه خاف إحراق الباقين، فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن فلما قتل علي، زعم ابن سبأ، أن المقتول شيطان على صورته وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه، وزعم بعض السبئية أن علياً في السحاب وأن الرعد صوته، والبرق سوطه ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال عليك السلام يا أمير المؤمنين قال إسحاق بن سويد العدوي:

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا علياً ... يردون السلام على السحاب
ولكني أحب بكل قلبي ... وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حباً ... به أرجو غداً حسن الثواب

(الفرق بين الفرق ص ٢٢٣).

الكاملية[1]

أصحاب أبي كامل [2]، أكفر جميع الصحابة بتركهـا بيعة عليّ عليـه السلام، وطعن في عليّ بتركه طلب حقه، ولم يعذره في القعود ، قال: وكان عليه أن يخرج ، ويظهر الحق على أنه غلا في حقه، وكان يقول الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص، وذلك النور في شخص يكون نبوة وفي شخص يكون إمامة، وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة، وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت.

والغلاة على أصنافها، كلهم متفقون على التناسخ والحلول، ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل أمة تلقوها من المجوس المزدكية، والهند البرهمية، ومن الفلاسفة والصابئة، ومذهبهم أن الله تعالى قائم بكل مكان ، ناطق بكل لسان، ظاهر بكل شخص من أشخاص البشر، وذلك معنى الحلول، وقد يكون الحلول بجزء هو كإشراق الشمس في كوة ، أو كإشراقها على البلور، وأما الحلول بالكل، فهو كظهور ملك بشخص، أو كشيطان بحيوان.

ومراتب التناسخ أربعة، النسخ، والمسخ، والفسخ، والرسخ [3] وسيأتي شرح

---

(١) الكاملية شر الروافض نسبوا لرئيسهم أبي كامل القائل بتكفير الصحابة بترك نصرة علي وتكفير علي بترك طلب حقه وفي الشفاء الكميلية لتصغير كامل على كميل ونسبوا إليه على خلاف القياس تصغير تحقير. (تاج ثامن ص ١٠٤).

(٢) أبو كامل، وهو أفحشهم قولاً في علي وفي سائر الصحابة رضي الله عنهم وهو من الرافضة، وكان يزعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي وكفر علي، بتركه قتالهم وكان يلزمه قتالهم كما لزمه قتال أصحاب صفين وكان بشار على هذا المذهب قيل له ما تقول في الصحابة؟ قال: كفروا فقيل له: ما تقول في علي؟ فتمثل بقول الشاعر:

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

(الفرق بين الفرق ص ١٧ و ٣٩).

(٣) أما النفوس الناقصة التي بقي شيء من كمالاتها، فإنها تتردد في الأبدان الإنسانية، وتنتقل من بدن إلى آخر، حتى تبلغ النهاية فيما هو كمالها من علومها وأخلاقها فحينئذ تبقى مجردة مطهرة عن التعلق بالأبدان ويسمى هذا الانتقال نسخاً.

وقيل: ربما تنازلت إلى الأبدان الحيوانية فتنتقل من البدن الإنساني إلى بدن حيواني يناسبه في الأوصاف كبدن الأسد للشجاع والأرنب للجبان ويسمى مسخاً.

وقيل: ربما تنازلت إلى الأجسام النباتية ويسمى رسخاً.

وقيل: إلى الجمادية كالمعادن والبسائط أيضاً، ويسمى فسخاً. (شرح المواقف ثان ص ٤٤٤).

ذلك عند ذكر فرقهم من المجوس على التفصيل، وأعلى المراتب مرتبة الملكية أو النبوة وأسفل المراتب الشيطانية أو الجنية.

وهذا أبو كامل كان يقول بالتناسخ ظاهراً من غير تفصيل مذهبهم.

العلبائية

أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي، وقال قوم هو الأسدي، وكان يفضل علياً على النبي ﷺ، وزعم أنه الذي بعث محمداً، وسماه إلهاً وكان يقول بذم محمد، زعم أنه بعث ليدعو إلى عليّ، فدعا إلى نفسه، ويسمون هذه الفرقة الذمية، ومنهم من قال بإلهيتهما جميعاً ويقدمون علياً في أحكام الإلهية ويسمونهم العينية، ومنهم من قال بإلهيتهما جميعاً، ويقدمون محمداً في الإلهية ويسمونهم الميمية، ومنهم من قال بإلهية خمسة أشخاص أصحاب الكساء [1] محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وقالوا خمستهم شيء واحد، والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر، وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم، وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:

تـوليت بعـد الله في الـدين خمسـة ... نبيـاً وسبطيـه وشيخـاً وفـاطمـا [2]

---

(١) عن أم سلمة، قالت: جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ تحمل خزيرة لها فقال: «ادعي زوجك وابنيك»؛ فجاءت بهم فطعموا ثم ألقى عليهم كساء له خيبرياً فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» فقلت: يا رسول الله وأنا معهم، أنا من أهلك، قال: «تنحي فإنك إلى خير»، فأنزل الله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة»، لكن الآية هي بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي عليه الصلاة والسلام من أهل بيته قاضية بطلان رأي الشيعة في تخصيصهم بأهل الكساء، وما ورد آنفاً، فإنما يدل على كونهم من أهل البيت لا على أن من عداهم ليسوا كذلك. (مجمع البيان رابع ص ٣٥٧، إرشاد العقل السليم رابع ص ٢١١).

(٢) ودخل بشار على إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور، أولها:

أبـا جـعـفـر مـا طـول عـيش دائـم ... ومـا سـالم عـما اقـلـيـل بـسـالم

وفيها يقول:

أقـول لـبـسـام عـلـيـه جـلالـة ... غـداً أريحـيـاً عـاشـقـاً لـلـمـكـارم

من الفـاطميـين الـدعـاة إلى الهـدى ... جهـاراً ومن يهـديك مثـل ابن فـاطم

سراج لـعـين المـسـتضيء وتـارة ... يكـون ظـلامـاً للعـدو والمهـاجـم

المغيرية

أصحاب المغيرة [1] بن سعيد البجلي، ادعى أن الإمام بعد محمد بن عليّ بن الحسين، محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة، وزعم أنه حي لم يمت، وكان المغيرة مولى لخالد [2] بن عبد الله القسري وادعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد، وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه، وغلا في حق عليّ عليه السلام، غلواً لا يعتقده عاقل، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه، فقال: إن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء، على مثال حروف الهجاء، وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور، وله قلب تنبع منه الحكمة، وزعم أن الله تعالى لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم، فطار فوق رأسه تاجاً، قال، وذلك قوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى﴾ [الأعلى: ١]، ثم اطلع على أعمال العباد، وقد كتبها على كفه، فغضب من المعاصي فعرق، فاجتمع من من عرقه بحران، أحدهما مالح، والآخر عذب، والمالح مظلم، والعذب نيّر فاطلع في البحر النير فأبصر ظله، فانتزع عين ظله، فخلق منها الشمس والقمر، وأفنى باقي ظله، وقال لا ينبغي أن يكون معي إله غيري، قال: ثم خلق الخلق كله من البحرين، فخلق المؤمنين من البحر النير، والكفار من البحر المظلم، وخلق الناس، وأول ما خلق هو ظل محمد، وعليّ، قبل ظلال الكل، ثم عرض على السموات والأرض والجبال أن

---

(١) المغيرة بن سعيد البجلي أبو عبد الله الكوفي الرافضي الكذاب وكان يتنقص أبا بكر وعمر، وقد ذكر علياً وذكر الأنبياء ففضله عليهم، وقد ادّعى النبوة وقد نظر في سحر فأسعر النيران بالكوفة، على التمويه والشعبذة حتى أجابه خلق، وقد قال أبو جعفر: برىء الله ورسوله من المغيرة بن سعيد وبيان بن سمعان فإنهما كذبا علينا أهل البيت، وقد أخذه خالد بن عبد الله القسري وقتله ثم صلبه، وأحرقه في حدود العشرين ومائة. (لسان الميزان سادس ص ٧٥).

(٢) أبو يزيد، وأبو الهيثم خالد بن عبدالله البجلي ثم القسري، كان أمير العراقين لهشام بن عبد الملك وولي قبل ذلك مكة، وأمه كانت نصرانية، ولجده يزيد صحبة، وكان خالد معدوداً من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وكان جواداً كثير العطاء، ثم أن هشاماً عزله، وولى يوسف بن عمر الثقفي، الذي قدم الكوفة وأخذ خالداً وعماله وحبسه وعذبه ثم قتله أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ ولما كان خالد في سجن يوسف مدحه أبو الشغب العبسي فقال:

ألا إن خير الناس حياً وهالكاً ... أسير ثقيف عندهم في السلاسل
لعمري لئن عمرتم السجن خالداً ... وأوطأتموه وطأة المتثاقل
لقد كان يبني المكرمات لقومه ... ويعطي اللها في كل حق وباطل
فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ... ولا تسجنوا معروفه في القبائل

(ابن خلكان أول ص ٢١١).

يحملن الأمانة [1]، وهي أن يمنعن عليّ بن أبي طالب من الإمامة، فأبين ذلك، ثم عرض على الناس فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن يتحمل منعه من ذلك وضمن أن يعينه على الغدر به، على شرط أن يجعل الخلافة له من بعده، فقبل منه، وأقدما على المنع متظاهرين فذلك قوله: ﴿وحملها [2] الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا﴾ [الأحزاب: ٧٢] وزعم أنه نزل في عمر قوله تعالى: ﴿كمثل [3] الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾ [الحشر: ١٦].

ولما أن قتل المغيرة، اختلف أصحابه، فمنهم من قال بانتظاره ورجعته، ومنهم من قال بانتظار إمامة محمد، كما كان يقول هو بانتظاره وقد قال المغيرة لأصحابه انتظروه، فانه يرجع، وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام.

المنصورية

أصحاب أبي منصور [4] العجلي، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي جعفر محمد بن

---

(١) قال ابن عباس: أراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها على عباده، عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إذا أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، وقال ابن مسعود: الأمانة أداء الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل، وأشد من هذا كله الودائع، وقيل: جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وقال ابن عباس: هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً فعرضت على السموات والأرض والجبال فقلن لا يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله تعالى أن لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لأمره؛ وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لأمره ساجدة له. (لباب التأويل خامس ص ٢٢٩).

(٢) حملها الإنسان، ورضي ما كلفه به ربه، على عظمه وجلاله مع ضعفه، وضعف منته، فكان ظلوماً لنفسه حين عصى ربه، جهولاً لا يدري ما جزاؤه، أو أنه حملها فلم يف بها، وضمنها ولم يف ضمانها. (لباب التأويل خامس ص ٢٣٠).

(٣) ضرب الله مثلاً للمنافقين واليهود جميعاً في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض في غزوة بني النضير، فقال: ﴿مثلهم كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾، وهو برصيصا الذي عبد الله سبعين سنة لم يعصه طرفة عين، حتى أغواه الشيطان، فوقع على امرأة، فلما استبان حملها قتلها ودفنها، فعرف أمره، فصلبوه، فتمثل له الشيطان، وأغراه بخلوصه إن سجد له بالإيماء فسجد له فكفر وقتل، فضرب الله هذه القصة لبني النضير حين اغتروا بالمنافقين ثم تبرأوا منهم عند الشدة وأسلموهم. (مجمع البيان خامس ص ٢٦٤).

(٤) أبو منصور العجلي، وهو الذي ادّعى أن الله عز وجل عرج به إليه فأدناه وكلمه، ومسح بيده على رأسه وقال له بالسرياني: أي بني وذكر أنه نبي ورسول وأن الله اتخذه خليلاً، وكان أبو منصور هذا من أهل الكوفة من عبد القيس وله فيها دار، وكان منشؤه بالبادية وكان أمياً لا يقرأ فادّعى بعد وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن =

علي الباقر في الأول، فلما تبرأ عنه الباقر وطرده، زعم أنه هو الإمام، ودعا الناس إلى نفسه، ولما توفى الباقر قال: انتقلت الإمامة إليّ، وتظاهر بذلك، وخرجت جماعة منهم بالكوفة في بني كندة، حتى وقف يوسف [1] بن عمر الثقفي والي العراق في أيام هشام [2] ابن عبد الملك على قصته وخبث دعوته، فأخذه وصلبه.

زعم العجلي: أن علياً عليه السلام هو الكسف الساقط من السماء وربما قال: الكسف الساقط من السماء هو الله عز وجل.

وزعم حين ادعى الإمامة لنفسه أنه عرج به إلى السماء ورأى معبوده، فمسح بيده رأسه، وقال له يا بني انزل فبلغ عني، ثم أهبطه إلى الأرض فهو الكسف الساقط من السماء، وزعم أيضاً أن الرسل لا تنقطع أبداً والرسالة لا تنقطع، وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته، وهو إمام الوقت، وأن النار رجل أمرنا بمعاداته، وهو خصم الإمام، وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمر الله تعالى بمعاداتهم، وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم، واستحل أصحابه قتل مخالفيهم، وأخذ أموالهم

= الحسين أنه فوض إليه أمره وجعله وصيه من بعده ثم ترقى به الأمر إلى أن قال: أنا نبي ورسول وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم، وقتلهم بالاغتيال ويقول: من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفي، وزعم أن جبريل يأتيه بالوحي من عند الله عز وجل وأن الله بعث محمداً بالتنزيل، وبعثه هو بالتأويل واستمرت فتنته إلى أن وقف يوسف بن عمر الثقفي على عوراته فأخذه، وصلبه ثم ظفر عمر الخناق بابنه الحسين بن أبي منصور وقد تنبأ وادّعى مرتبة أبيه وتابعه على رأيه ومذهبه بشر كثير وقالوا بنبوته فبعث به للمهدي فقتله في خلافته، وصلبه بعد أن أقر بذلك وأخذ منه مالاً عظيماً وطلب أصحابه فظفر بجماعة منهم فقتلهم وصلبهم. (فرق الشيعة ص ٣٨، الفرق بين الفرق ص ٢٣٥).

(١) أبو يعقوب يوسف بن عمر الثقفي، ابن ابن عم الحجاج، ولّاه هشام اليمن سنة ١٠٦ ثم كتب بولايته على العراق سنة ١٢١ فاستخلف ابنه الصلت على اليمن، وكان يوسف حسن القراءة؛ فصيحاً، وكان مذموماً في عمله أحمق سيء الخلق والسيرة وكان جواداً فكان يطعم الناس على خمسمائة خوان أقصاها وأدناها سواء، وكان يضرب به المثل في التيه والحمق وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة، كانت لحيته تجوز سرته، ولما ولي يزيد بن الوليد، حبسه ومات في الحبس فقتل سنه ١٢٧. (ابن خلكان ثان ص ٤٧٥).

(٢) هشام بن عبد الملك كان حازماً عاقلاً، وكان لا يدخل بيت ماله مالاً حتى يشهد أربعون قسامة لقد أخذ من حقه ولقد أعطى لكل ذي حق حقه، وقال سجيل بن محمد: ما رأيت أحداً من الخلفاء أكره إليه الدماء ولا أشد عليه من هشام، وعن هشام أنه قال: ما بقي شيء من لذات الدنيا إلا وقد نلته إلا شيئاً واحداً أخاً أرفع مؤونة التحفظ فيما بيني وبينه وينسب إليه:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

ولي الخلافة سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٢٥. (تاريخ الخلفاء ص ١٦٤).

واستحلال نسائهم، وهم صنف من الخرمية، وإنما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرمات على أسماء رجال، هو أن من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف، وارتفع عنه الخطاب، إذ وصل إلى الجنة وبلغ إلى الكمال.

ومما أبدعه العجلي أن قال: أول ما خلق الله هو عيسى ابن مريم ثم عليّ بن أبي طالب.

الخطابية

أصحاب [1] أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه، وأخبر أصحابه بالبراءة منه، وشدد القول في ذلك، وبالغ في التبري عنه، واللعن عليه، فلما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه، وزعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة، وقال بإلهية جعفر بن محمد، وإلهية آبائه، وهم أبناء الله، وأحباؤه، والإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار.

وزعم أن جعفراً هو الإله في زمانه، وليس هو المحسوس الذي يرونه، ولكن لما نزل إلى هذا العالم، لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها، ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور عَلَى خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة، وافترقت الخطابية بعده فرقاً فزعمت فرقة أن الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال معمر [2]، ودانوا به كما دانوا بأبي الخطاب، وزعموا أن الدنيا لا تفنى، وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية. وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية، واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض وتسمى هذه الفرقة (معمرية).

---

(١) أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي، محمد بن مقلاص الزراد البزاز، كنيته أبو الخطاب وأبو الظبيان وأبو إسماعيل وقد ادّعت فرقة من فرقه بإلهية جعفر، وكان أبو الخطاب يدّعي أن جعفراً جعله قيّمه ووصيه من بعده وأنه علمه اسم الله الأعظم ثم ترقى أن ادّعى النبوة فالرسالة ثم ادّعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم قتل في خلافة المنصور. (فرق الشيعة ص٤٠).

(٢) معمر بن خيثم أبو بشار الشعيري، وقد لعنه الصادق فيمن لعن، لما يكذب على أهل البيت وقد ادّعى الألوهية، وقد خرج ابن اللبان يدعو إليه، وقال: إنه الله عز وجل وصلى له وصام، وأحلّ الشهوات كلها ما حلّ منها وما حرم، فأحلّ الزنا والسرقة وشرب الخمر والميتة والدم، ولحم الخنزير ونكاح الأمهات والبنات والأخوات وغير أولئك، وزعم أن كل شيء أحله الله في القرآن وحرمه فإنما هو أسماء رجال. (فرق الشيعة ص ٤٣، ٤٤).

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب بزيع [1]، وكان يزعم أن جعفراً هو الإله، أي ظهر الإله بصورته للخلق، .وزعم أن كل مؤمن يوحى إليه وتأويل قول الله تعالى: ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ [آل عمران: ١٤٥] أي يوحى من الله إليه، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وأوحى ربك إلى النحل﴾ [النحل: ٦٨].

وزعم أن في أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل، وزعم أن الإنسان إذا بلغ الكمال لا يقال إنه مات، لكن الواحد منهم إذا بلغ النهاية، قيل رفع إلى الملكوت، وادعوا كلهم معاينة أمواتهم، وزعموا أنهم يرونهم بكرة وعشيا وتسمى هذه الطائفة (البزيعية).

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب عمير [2] بن بيان العجلي، وقالوا كما قالت الطائفة الأولى، إلا أنهم اعترفوا بأنهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة، يجتمعون فيها عَلَى عبادة الصادق، فرفع خيرهم إلى يزيد [3] بن هبيرة فأخذ عميراً فصلبه في كناسة الكوفة، وتسمى هذه الطائفة العجلية.

---

(١) بزيع بن موسى الحائك وقد لعنه الصادق ولعن جماعة معه، وقد زعمت فرقته أنه نبي رسول وقد أرسله جعفر وشهد لأبي الخطاب بالرسالة وبرىء أبو الخطاب وأصحابه من بزيع كما برىء منه جعفر وشهد أنه كافر شيطان. (فرق الشيعة ص ٤٣ و ٤٤).

(٢) عمير بن بيان العجلي وقيل عمرو بن بيان العجلي رئيس العمروية وهم من الفرق الخارجة عن فرق الإسلام قالوا بتكذيب الذين قالوا أنهم لا يموتون وقالوا: إنا نموت ولكن لا يزال خلف منا في الأرض أئمة أنبياء وعبدوا جعفراً وسموه رباً وقالوا بإلهيته. (الفرق بين الفرق ص ٢٣٦، التبصير ص ٧٤).

(٣) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ولي أبوه العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين وكان يكنى أبا المثنى وفيه يقول الفرزدق:

أوليت العراق ورافديه ... فزارياً أحذ يد القميص

تفتق بالعراق أبا المثنى ... وعلم قومه أكل الخبيص

رافداه دجلة والفرات، وقوله أحذ يد القميص يريد أنه خفيف اليد نسبه إلى الخيانة، أما ابنه يزيد فولي العراقيين لمروان بن محمد خمس سنين وكان شريفاً يقسم على زواره في كل شهر خمسمائة ألف ويفطر الصائمين في رمضان، ويقضي حاج الناس، وكان عظيم الخطر، ولما سقطت الخلافة الأمويين، أمنه السفاح، وكان من رأي المنصور الوفاء له. فخرج إلى المنصور وبينه وبينه سترة فقال ابن هبيرة: أيها الأمير إن دولتكم بكر فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها تصل محبتكم إلى قلوبهم، ويعذب ذكركم على ألسنتهم وما زلنا منتظرين لدعوتكم، فرفع الستر وقال في نفسه: عجباً لمن يأمرني بقتل هذا. وكان أبو مسلم يحث السفاح على قتله، فأمر المنصور بقتله فقال: لا أفعل وله في عنقي بيعة وإيمان، فقال السفاح تقتله لغدره ونكثه فقتله خازم بن خزيمة سنة ١٣٢، فحمل رأسه إلى المنصور فقال للحرسي: أترى طينة =

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب. مفضل [1] الصيرفي وكان يقول بربوبية جعفر. دون نبوته. ورسالته. وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق، وطردهم ولعنهم. فان القوم كلهم حيارى ضالون جاهلون، بحال الأئمة تائهون.

الكيالية

أتباع أحمد [2] بن الكيال. وكان من دعاة واحد من أهل البيت. بعد جعفر بن محمد الصادق وأظنه من الأئمة المستورين. ولعله سمع كلمات علمية فخلطها برأيه الفائل. وفكره العاطل، وأبدع مقالة. في كل باب علمي على قاعدة غير مسموعة. ولا معقولة. وربما عاند الحس في بعض المواضع. ولما وقفوا على بدعته تبرءوا منه. ولعنوه. وأمروا شيعتهم بمنابذته. وترك مخالطته. ولما عرف الكيال ذلك صرف الدعوة إلى نفسه. وادعى الإمامة أولاً ثم ادعى أنه القائم ثانياً. وكان من مذهبه أن كل من قدر الآفاق عَلَى الأنفس. وأمكنه أن يبين مناهج العالمين. أعني عالم الآفاق. وهو العالم العلوي وعالم الأنفس وهو العالم السفلي، كان هو الإمام. وأن من قرر الكل في ذاته وأمكنه أن يبين كل كلي في شخصه المعين الجزء. كان هو القائم، قال: ولم يوجد في زمن (من) الأزمان أحد يقرر هذا التقرير إلا أحمد الكيال. فكان هو القائم. وإنما قبله من انتمى إليه. أولاً عَلَى بدعته وذلك أنه الإمام ثم القائم. وبقيت من مقالته في العالم تصانيف عربية وعجمية. كلها مزخرفة مردودة شرعاً وعقلاً. قال الكيال: والعوالم ثلاثة: العالم الأعلى، والعالم الأدنى، والعالم الإنساني. وأثبت في العالم الأعلى خمسة أماكن. الأول مكان الأماكن. وهو مكان فارغ لا يسكنه موجود ولا يدبره روحاني. وهو محيط بالكل. قال: والغرش الوارد في الشرع عبارة عنه. ودونه مكان النفس الإنسانية الأعلى. ودونه مكان النفس الناطقة. ودونه مكان النفس الحيوانية. ودونه مكان النفس الإنسانية، قال: وأرادت النفس الإنسانية الصعود إلى عالم النفس الأعلى، فصعدت وخرقت المكانين، أعني الحيوانية والناطقية، فلما قربت من الوصول إلى عالم النفس

= رأسه ما أعظمها؟ فقال الحرسي: طينة إيمانه أعظم من طينة رأسه. (المعارف ص ١٤٠، ابن خلكان ثان ص ٢٦٧).

(١) مفضل الصيرفي، زعيم المفضلية الذين قالوا بإلهية جعفر دون نبوته وتبرأوا من أبي الخطاب لبراءة جعفر منه. (الفرق بين الفرق ص ٢٣٦).

(٢) أحمد الكيال الملحد وقد كان ضالاً مضلاً وقد صنف كتاباً في الضلالة والترهات. (إعتقادات ص ٦١).

الأعلى كلت وانحسرت وتحيرت وتعفنت واستحالت أجزاؤها فأهبطت إلى العالم السفلي، ومضت عليها أكوار [1] وأدوار [2]، وهي في تلك الحالة من العفونة والاستحالة، ثم ساحت عليها النفس الأعلى وأفاضت عليها من أنوارها جزءاً، فحدثت التراكيب في هذا العالم، وحدثت السموات والأرض والمركبات من المعادن والنبات والحيوان والإنسان، ووقعت في بلايا هذا التركيب، تارة سروراً وتارة غماً، وتارة فرجاً، وتارة ترحاً، وطوراً سلامة وعافية، وطوراً بلية ومحنة، حتى يظهر القائم ويردها إلى حال الكمال، وتنحل التراكيب، وتبطل المتضادات، ويظهر الروحاني على الجسماني، وما ذلك القائم إلا أحمد الكيال، ثم دل عَلَى تعيين ذاته بأضعف ما يتصور، وأوهى ما يقدر، وهو ان اسم أحمد مطابق للعوالم الأربعة: فالألف من اسمه في مقابلة النفس الأعلى، والحاء في مقابلة النفس الناطقة، والميم في مقابلة النفس الحيوانية والدال في مقابلة النفس الإنسانية. قال: فالعوالم الأربعة هي المبادىء والبسائط وأما مكان الأماكن فلا وجود في البتة، ثم أثبت في مقابلة العوالم العلوية العالم السفلي الجسماني، قال: فالسماء خالية، وهي في مقابلة مكان الأماكن، ودونها النار، ودونها الهواء، ودونها الأرض، ودونها الماء، وهذه الأربعة في مقابلة العوالم الأربعة، ثم قال: الإنسان في مقابلة النار، والطائر في مقابلة الهواء، والحيوان في مقابلة الأرض، والحوت في مقابلة الماء فجعل مركز الماء أسفل المراكز والحوت أخس المركبات، ثم قابل الإنسان الذي هو أحد الثلاثة وهو عالم الأنفس، مع آفاق العالمين الأولين الروحاني والجسماني، قال: الحواس المركبة فيه خمس، فالسمع في مقابلة مكان الأماكن إذ هو فارغ، وفي مقابلة السماء والبصر في مقابلة النفس الأعلى من الروحاني وفي مقابلة النار من الجسماني وفيه انسان العين لأن الإنسان مختص بالنار والشم في مقابلة الناطقي من الروحاني والهواء من الجسماني، لأن الشم من الهواء يتروح ويتنسم، والذوق في مقابلة الحيوان من الروحاني، والأرض من الجسماني، والحيوان مختص بالأرض، والطعم بالحيوان، واللمس في مقابلة الإنسان من الروحاني والماء من الجسماني، والحوت

---

(١) الأكوار جمع كور، مأخوذ من تكوير الليل والنهار أن يلحق أحدهما الآخر، أو يدخل أحدهما على الآخر، والمعنى تعاقب الأيام والليالي.

(٢) أدوار، الفصيح أطوار. والله يقول: ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾، معناه ضروباً وأحوالاً مختلفة، وفي حديث سطيح: فإن ذا الدهر أطوار دهاريرُ الأطوار الحالات المختلفة.

مختص بالماء واللمس بالحوت وربما عبر عن اللمس بالكناية، ثم قال أحمد ألف وحاء وميم ودال وهو في مقابلة العالمين، أما في مقابلة العالم العلوي الروحاني فقد ذكرنا، في مقابلة العالم السفلي الجسماني، فالألف يدل على الإنسان، والحاء على الحيوان، والميم على الطائر، والدال عَلَى الحوت، فالألف من حيث استقامة القامة كالإنسان، والحاء كالحيوان لأنه معوج منكوس، ولأن الحاء من ابتداء اسم الحيوان، والميم يشبه رأس الطائر، والدال يشبه ذنب الحوت، ثم قال: ان الباري تعالى إنما خلق الإنسان على شكل اسم أحمد فالقامة مثل الألف واليدان مثل الحاء والبطن مثل الميم والرجلان مثل الدال، ثم من العجب أنه قال: الأنبياء هم قادة أهل التقليد، وأهل التقليد عميان، والقائم قائد أهل البصيرة وأهل البصيرة أولو الألباب وإنما يحصلون البصائر بمقابلة الآفاق والأنفس، والمقابلة كما سمعتها من أخس المقالات، وأوهى المقابلات، بحيث لا يستجيز عاقل أن يسمعها، فكيف يرضى أن يعتقدها وأعجب من هذا كله تأويلاته الفاسدة، ومقابلاته بين الفرائض الشرعية والأحكام الدينية وبين موجودات عالمي الآفاق والأنفس، وادعاؤه أنه متفرد بها، وكيف يصح له ذلك وقد سبقه كثير من أهل العلم بتقرير ذلك لا على الوجه المزيف الذي قرره الكيال، وحمله الميزان على العالمين، والصراط على نفسه، والجنة عَلَى الوصول إلى علمه من البصائر، والنار على الوصول إلى ما يضاده، ولما كانت أصول علمه ما ذكرناه فانظر كيف يكون حال الفروع.

الهشامية

الهشامية أصحاب الهشامين، هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه وهشام ابن سالم الجواليقي [1] الذي نسج على منواله في التشبيه، وكان هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة وجرت بينه وبين أبي الهذيل مناظرات في علم الكلام، منها في التشبيه ومنها في تعلق علم الباري تعالى.

(١) هشام بن سالم الجواليقي الجعفي العلاف مولى بشر بن مروان، كنيته أبو محمد وأبو الحكم كان من سبي الجوزجان روى عن الإمامين أبي عبد الله وأبي الحسن، وهو من شيوخ الرافضة، وممن ذهب أن الله عز وجل ذو قدّ وصورة وحدّ يتحرك ويدنو ويبعد ويخف ويثقل وأن علمه محدث، وأنه كان غير عالم فعلم، وهو ممن يقول بالبداء، وهو أن الله يخير أن يفعل الأمر ثم يبدو له فلا يفعله، وممن يقول بالرجعة إلى دار الدنيا قبل القيامة، وقد وردت روايات في مدحه، وفي ذمه وله أصل، ولهشام بن الحكم ـ الذي كان من خواص موسى بن جعفر وانقطع للبرامكة وتوفي بعد نكبتهم ـ كتاب في الرد على هشام الجواليقي. (فهرست الطوسي ص ١٧٤ و ١٧٥، ابن النديم ص ٢٠٥، الانتصار ص ٦).

حكى ابن الراوندي عن هشام أنه قال ان بين معبوده وبين الأجسام تشابهاً ما بوجه من الوجوه، ولولا ذلك لما دلت عليه، حكى الكعبي عنه أنه قال: هو جسم ذو أبعاض، له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء، ونقل عنه أنه قال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة، وأنه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان إلى مكان، وقال هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة، وحكى عنه أبو عيسى الوراق[1] أنه قال: أن الله تعالى مماس لعرشه، لا يفضل منه شيء من العرش، ولا يفضل عن العرش شيء منه، ومن مذهب هشام أنه لم يزل عالماً بنفسه ويعلم الأشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه محدث أو قديم، لأنه صفة، والصفة لا توصف ولا يقال فيه هو هو أو غيره أو بعضه، وليس قوله في القدرة والحياة كقوله في العلم لأنه لا يقول بحدوثهما، قال: ويريد الأشياء وإرادته حركة ليست غير الله ولا هي عينه، وقال في كلام الباري تعالى أنه صفة لله تعالى لا يجوز أن يقال هو مخلوق ولا غير مخلوق، وقال: الأعراض لا تصلح دلالة عَلَى الله تعالى، لأن منها ما يثبت استدلالاً وما يستدل به على الباري تعالى يجب أن يكون ضروري الوجود، وقال: الاستطاعة كل ما لا يكون الفعل إلا به، كالآلات والجوارح والوقت والمكان، وقال هشام بن سالم: أنه تعالى على صورة انسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس، ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء[2] وهو نور أسود، ولكنه ليس بلحم ولا دم، وقال هشام: الاستطاعة بعض المستطيع، وقد نقل عنه أنه أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة[3] الأئمة؛ ويفرق بينهما أن النبي يوحى إليه، فينبه على وجه الخطأ فيتوب

---

(١) محمد بن هارون الوراق أبو عيسى له تصانيف على مذهب المعتزلة وكان من نظاريهم ثم خلط، وقال بالمنانية ونصر الثنوية ووضع لها الكتب يقوي مذهبها ويؤكد قولها، وقد نفته المعتزلة وطردته عنها وقد أخذ عنه ابن الراوندي، فألقى إليه الإلحاد وأخرجه عن عز الاعتزال إلى ذل الكفر والإلحاد وكان منانياً، لا يرى قتل شيء ولا يستجيز إتلافه.
وقال المسعودي: له مصنفات حسان في الإمامة وغيرها وتوفي سنة سبع وأربعين ومائتين. (لسان الميزان خامس ص ٤١٢، الانتصار ص ١٤٩ و ١٥٥).

(٢) الوفرة، الشعر المجتمع على الرأس، وقيل ما سال على الأذنين من الشعر والجمع وفار. قال كثير:
كأن وفار القوم تحت رحالها إذا حسرت عنها العمائم عنصل
وهي وفرة ثم جمة ثم لمة، وفي حديث أبي رمثة انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ فإذا هو ذو وفرة فيها ردع من حسنها. الوفرة شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.

(٣) قال أصحابنا مع أكثر الأمة إن العصمة من شروط النبوة والرسالة وليست من شروط الإمامة، وإنما يشترط =

منه، والإمام لا يوحى إليه فيجب عصمته، وغلا هشام بن الحكم في حق عليّ، حتى قال: انه إله واجب الطاعة، وهذا هشام بن الحكم صاحب غور [1] في الأصول لا يجوز أن يغفل عن الزاماته على المعتزلة، فان الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنه ألزم العلاف، فقال: إنك تقول الباري عالم بعلم وعلمه ذاته، فيشارك المحدثات في أنه عالم بعلم، ويباينها في أن علمه ذاته، فيكون عالماً لا كالعالمين، فلم لا تقول هو جسم لا كالأجسام، وصورة لا كالصور، وله قدر لا كالأقدار، إلى غير ذلك، ووافقه زرارة بن أعين [2] في حدوث علم الله تعالى، وزاد عليه

= فيها عدالة ظاهرة فمتى أقام في الظاهر على موافقة الشريعة كان أمره في الإمامة منتظماً، ومتى زاغ عن ذلك كانت الأمة عياراً عليه في العدول به من خطئه إلى صواب أو في العدول عنه إلى غيره، وسبيلهم معه فيها كسبيله مع خلفائه وقضاته وعماله وسعاته، إن زاغوا عن سنته عدل بهم، أو عدل عنهم. وقالت الشيعة كلها، بوجوب عصمة الإمام في الجملة وهم مناقضون لهذه الدعوى في التفصيل لأنهم ثلاث فرق، زيدية، وإمامية، وغلاة، فالزيدية فرق منها الجارودية وهي تزعم أن علياً والحسن والحسين كانوا أئمة معصومين عن الخطأ والمعصية، فإذا سئلوا عن بيعة الحسن لمعاوية لم يمكنهم أن يقولوا إنها كانت صواباً، لأن هذا القول يوجب تصحيح ولاية معاوية وهو عندهم ظالم كافر ولم يمكنهم أن يقولوا إنها كانت خطأ فيبطلوا عصمة الحسن، والبترية من الزيدية، تقول بإمامة عثمان ست سنين ولا تكفره بالأحداث التي كانت منه بل يتوقف فيه، فهذا إمام قد توقفوا فيه، والسليمانية من الزيدية تكفر عثمان بعد الأحداث التي نقموها منه، فهذا إمام قد أخرجوه من العصمة والإمامية كلها تدعي عصمة الإمام ثم تزعم أن الإمام يجوز أن ينكر إمامة نفسه في حال التقية حتى يقول لمن يخاف منه أني لست بالإمام، وهذا كذب قد أجازوه عليه وإن زعموا أن قوله لست بإمام صدق منه فما أنكروا أن قوله أنا الإمام كذب منه والكاملية من الإمامية قد أكفروا علياً بقعوده عن قتال أبي بكر وعمر وزعمت الكيسانية منهم أن محمد بن الحنفية هو الإمام المنتظر وأنه الآن محبوس في جبل رضوى عقوبة له على خروجه إلى يزيد بن معاوية وخروجه إلى عبد الملك بن مروان وكيف تصح دعوى العصمة لمن يستحق العقوبة بزعمهم، والكلام مع غلاتهم في عصمة الإمام فضل مع قولهم بالتشبيه وبإلهية الأئمة، ثم لو اشترطت عصمة خلفائه وأعوانه ولو كان كل واحد منهم معصوماً لاستغنوا عن إمام معصوم يقيم على منهج الصواب.
(أصول الدين ص ٢٧٧).

(١) غور كل شيء، قعره، وعمقه، وصاحب غور، من تعمق في علمه، حتى وصل إلى حقيقته، ومنه فلان بعيد الغور أي متعمق النظر وهو بحر لا يدرك غوره.

(٢) زرارة بن أعين الكوفي واسمه عبد ربه، وكان أبوه عبداً رومياً تعلم القرآن فأعتقه مولاه وكان جده سنبس راهباً في بلد الروم وكانوا إخوة ثلاثة بكير وحمران وزرارة يتشيعون، وكان حمران أشدهم تشيعاً.
وقال ابن السماك: حججت، فلقيني زرارة بالقادسية، فقال: إن لي إليك حاجة وعظمها، فقلت: ما هي؟ فقال: إذا لقيت جعفر بن محمد فأقرئه مني السلام وسله أن يخبرني، أنا من أهل النار، أم من أهل الجنة؟ فأنكرت عليه فقال لي إنه يعلم ذلك، ولم يزل بي حتى أجبته فلما لقيت جعفر بن محمد أخبرته بالذي كان منه، فقال: هو من أهل النار فوقع في نفسي مما قال جعفر فقلت: ومن أين علمت ذلك؟ فقال: =

بحدوث قدرته وحياته وسائر صفاته وأنه لم يكن قبل خلق هذه الصفات عالماً ولا قادراً ولا حياً ولا سميعاً ولا بصيراً ولا مريداً ولا متكلماً، وكان يقول بإمامة عبد الله بن جعفر فلما فاوضه في مسائل، ولم يجده بها ملياً رجع إلى موسى بن جعفر، وقيل أيضاً إنه لم يقل بإمامته، إلا أنه أشار إلى المصحف فقال هذا إمامي، وإنه كان قد التوى على جعفر بعض الإلتواء، وحكى عن الزرارية أن المعرفة ضرورية، وأنه لا يسع جهل الأئمة فان معارفهم كلها ضرورية وكل ما يعرفه غيرهم بالنظر فهو عندهم أولي ضروري، ونظرياتهم لا يدركها غيرهم.

النعمانية أصحاب محمد [1] بن علي بن النعمان أبي جعفر الأحول، الملقب بشيطان الطاق، والشيعة تقول هو مؤمن الطاق، وافق هشام بن الحكم في أن الله تعالى لا يعلم شيئاً حتى يكون، والتقدير عنده الإرادة، والإرادة فعله تعالى، وقال: ان الله تعالى نور على صورة إنسان ويأبى أن يكون جسما، لكنه قال: قد ورد في الخبر: «إن الله خلق آدم على صورته، وعلى صورة الرحمن» فلا بد من تصديق الخبر، ويحكى عن مقاتل بن سليمان عن مقالته في الصورة، وكذلك يحكى عن داود الجواربي، ونعيم [2]

= من ادعى على علم هذا فهو من أهل النار فلما رجعت لقيني زرارة فأخبرته بأنه قال لي إنه من أهل النار فقال: كان لك من جراب النورة فقلت: وما جراب النورة؟ قال: عمل معك بالتقية، وكان زرارة محدثاً، روى عن أبي جعفر كتاباً، تتبع في حديثه، ولم يره وكان يدعي إمامة الأفطح عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين هو وجماعة معه، فقدم زرارة المدينة فلقي عبد الله فسأله فألفاه لا يدري فرجع إلى الكوفة فسأله أصحابه عنه وكان المصحف بين يديه فأشار لهم إليه وقال لهم: هذا إمامي لا إمام لي غيره، ممايدل على أنه رجع عن تشيعه، وكان من أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفة بالكلام والتشيع وله تصنيفات منها كتاب الاستطاعة والجبر. (لسان الميزان ثان ص ٤٧٣، فهرست الطوسي ص ٧٤، ابن النديم ص ٣٠٨).

(١) محمد بن علي بن النعمان البجلي الكوفي الملقب بشيطان الطاق نسب إلى سوق في طاق المحامل بالكوفة كان يجلس للصرف بها، ولما بلغ هشام بن الحكم شيخ الرافضة أنهم لقبوه شيطان الطاق سماه هو مؤمن الطاق، ودرجت على ذلك الشيعة؛ وكان حسن الاعتقاد والهدى حاذقاً في صناعة الكلام سريع الحاضر والجواب وله مع أبي حنيفة مناظرات منها لما مات جعفر الصادق قال أبو حنيفة له: قد مات إمامك. قال: لكن إمامك لا يموت إلى يوم القيامة، يعني إبليس، وهو من أصحاب جعفر وقد لقي زيد بن زين العابدين، وناظره على إمامة أبي عبد الله؛ ولقي زين العابدين؛ وكان شاعراً، وكان جعفر يقدمه في الشعر على غيره، إلا أنه اشتغل بالكلام عن الشعر، وله كتب منها كتاب الإمامة وكتاب المعرفة وغيرهما. (لسان الميزان خامس ص ٣٠٠ تكملة ابن النديم ص ٨ فهرست الطوسي ص ١٣١).

(٢) نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي أبو عبد الله المروزي الفارض سكن مصر، ويقال أنه أول من جمع المسند وكان كاتباً لأبي عصمة، وهو شديد الرد على الجهمية وأهل الأهواء، ومنه تعلم نعيم وهو من الثقات وكان ذا ديانة وأمانة رجّاعاً إلى الحق، وجمع كتباً في الرد على محمد بن الحسن وشيخه وكتباً في الرد على =

ابن حماد المصري وغيرهما من أصحاب الحديث أنه تعالى ذو صورة وأعضاء، ويحكى عن داود أنه قال: اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك، فان في الأخبار ما يثبت ذلك، وقد صنف ابن النعمان كتباً جمة للشيعة منها: افعل لم فعلت، ومنها: افعل لا تفعل [1]، ويذكر فيها أن كبار الفرق أربعة: القدرية والخوارج والعامة والشيعة، ثم عين الشيعة بالنجاة في الآخرة من هذه الفرق.

وذكر عن هشام بن سالم [2] ومحمد بن النعمان [3] أنهما أمسكا عن الكلام في الله ورويا عمن يوجبان تصديقه، أنه سئل عن قول الله وأن إلى ربك المنتهى، قال: إذا بلغ الكلام إلى الله فأمسكوا، فأمسكا عن القول في الله والتفكر فيه، حتى ماتا، هكذا نقل الوراق، ومن جملة الشيعة (اليونسية) أصحاب يونس [4] بن عبد الرحمن القمي مولى

= الجهمية وكان من أعلم الناس بالفرائض. وكان النسائي يذكر فضله، وتقدمه في العلم والمعرفة، ولكن كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة، فصار في حدّ من لا يحتج به، وقيل: إنه كان يضع الحديث في تقوية السنّة وحكايات في ثلب أبي حنيفة كلها كذب وذلك لصلابته في أهل الرأي، وقد طلب الحديث كثيراً بالعراق والحجاز ثم نزل مصر فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة المعتصم وسئل في محنة القرآن فأبى أن يجيب. فحبس، ومات في حبسه سنة ثمان وعشرين ومائتين. (تهذيب التهذيب عاشر ص ٤٥٨).

(١) منها كتاب الردّ على المعتزلة في إمامة المفضول، وكتاب الجمل في أمر طلحة والزبير، وكتاب إثبات الوصية. (فهرست الطوسي ص ١٣٢).

(٢) أبو محمد، وأبو الحكم هشام بن سالم الجواليقي الجعفي العلاف، مولى بشر بن مروان، كان من سبي الجوزجان، ومن أصحاب جعفر الصادق وموسى الكاظم، وله أصل، روى عن الإمامين أبي عبد الله، وأبي الحسن وهو ثقة، ووردت فيه روايات كثيرة، في مدحه وذمه. (فهرست الطوسي ص ١٧٤، فرق الشيعة ص ٧٨ و ١٣٦).

(٣) أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان، وقيل محمد بن جعفر، البجلي مولاهم الأحول، الكوفي، وكان دكانه في طاق المحامل بالكوفة فيرجع إليه في النقد فيرد رداً يخرج كما يقول، ويلقب عند الشيعة مؤمن الطاق ويلقبه المخالفون بشيطان الطاق، ذكره ابن حزم في غلاة الرافضة، ويروى عن علي بن الحسين، والباقر، والصادق، وكان من أصحاب جعفر الصادق، وكان ثقة متكلماً حاذقاً حاضراً الجواب. وله مع أبي حنيفة حكايات كثيرة، منها أنه لما مات الإمام جعفر الصادق قال له أبو حنيفة: مات إمامك. قال: لكن إمامك لا يموت إلى يوم القيامة، يعني الشيطان؛ وقال له يوماً: يا أبا جعفر تقول بالرجعة. فقال له: نعم، فقال له: أقرضني من كيسك هذا خمسمائة دينار فإذا عدت أنا وأنت رددتها إليك. فقال له: في الحال أريد ضميناً يضمن لي أنك تعود إنساناً فإني أخاف أن تعود قرداً فلا أتمكن من استرجاع ما أخذت مني. وله كتب منها: كتاب الإمامة وكتاب المعرفة، وكتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضول وغيرها. (فهرست الطوسي ص ١٣١ تكملة فهرست ابن النديم ص ٨ لسان الميزان خامس ص ١٠٨).

(٤) أبو محمد يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين، كان وجيهاً في الشيعة، متقدماً عظيم المنزلة =

آل يقطين، زعم أن الملائكة تحمل العرش ، والعرش يحمل الرب تعالى إذ قد ورد في الخبر إن الملائكة تئط أحياناً من وطأة عظمة الله تعالى على العرش[1] ، وهو من مشبهة الشيعة، وقد صنف لهم كتباً في ذلك.

النصيرية[2] والإسحاقية[3]

من غلاة الشيعة، ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن أصحاب مقالاتهم، وبينهم خلاف في كيفية إطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت، قالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، أما في جانب الخير كظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصور بصورة اعرابي، والتمثل بصورة البشر، وأما في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة الإنسان، حتى يعمل الشر بصورته، وظهور الجن بصورة بشر، حتى يتكلم بلسانه، فلذلك نقول إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص، ولما

= عندهم ولد أيام هشام بن عبد الملك، ورأى جعفر بن محمد، بين الصفا والمروة ولم يرو عنه، وروى عن أبي الحسن موسى، والرضا، وكان الرضا يشير إليه في العلم والفتيا، قال عبد العزيز بن المهتدي: وكان وكيل الرضا سألت الرضا فقلت: إني لا ألقاك في كل وقت فعمن آخذ معالم ديني؟ قال: خذ عن يونس بن عبد الرحمن، وله كتب كثيرة أكثر من ثلاثين كتاباً منها: كتاب جامع الآثار وكتاب الشرائع وكتاب العلل وغيرها. وكان في الإمامية على مذهب القطيعة الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر، وقد أفرط يونس هذا في باب التشبيه، فزعم أن الله عز وجل يحمله حملة عرشه، وهو أقوى منهم كما أن الكرسي يحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه، واستدل على أنه محمول بقوله ويحمل عرش ربك فوقهم ثمانية، وقال أصحابنا: الآية دالة على أن العرش هو المحمول دون الرب تعالى، وتوفي سنة ٢٠٨. (فهرست الطوسي ص ١٨١ الفرق بين الفرق ص ٥٢).

(١) هذا مثل وإيذان بعجز الملائكة عن حمله، وفيه إشعار بعظمة العرش بله أنه كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله عز وجل، وجلاله.

(٢) النصيرية، ويقال لها النميرية؛ أحدثها محمد بن نصير النميري، وهو من أتباع الشريعي الذي زعم أن الله تعالى حلّ في خمسة أشخاص، وهم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وزعموا أن هؤلاء الخمسة آلهة ولها أضداد خمسة، ثم ادّعى الشريعي أن الإله حلّ فيه، أما النميري وأتباعه من النصيرية فإنهم ذهبوا إلى أن الله حلّ في علي، ثم ادّعى في نفسه أن الله تعالى حلّ فيه، وكان النميري من أصحاب الحسن العسكري، وادّعى النبوة، ثم ادّعى الربوبية وقال بإباحة المحارم. (الفرق بين الفرق ص ٢٣٩ شرح ابن أبي الحديد ثان ص ٣٠٩ تعريفات ص ١٦٣).

(٣) الإسحاقية، وهي التي أحدثها إسحاق بن زيد بن الحرث وكاد من أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب وكان يقول بالإباحة وإسقاط التكليف ويثبت لعلي شركة مع رسول الله ﷺ ثم صارت الإسحاقية مثل النصيرية، فقالوا إن الله حلّ في علي. (ابن أبي الحديد ثان ص ٣٠٩ تعريفات ص ١٧).

لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من عليّ عليه السلام، وبعده أولاده المخصوصون، هم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم، وإنما أثبتنا هذا الاختصاص لعليّ دون غيره، لأنه كان مخصوصاً بتأييد من عند الله تعالى، مما يتعلق بباطن الأسرار، قال النبي ﷺ: « أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر» وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبي ﷺ وقتال المنافقين إلى عليّ، وعن هذا شبهه بعيسى ابن مريم، وقال: لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى ابن مريم، وإلا لقلت فيك مقالاً، وربما أثبتوا له شركة في الرسالة، إذ قال فيكم من يقاتل عَلَى تأويله كما قاتلت على تنزيله، ألا وهو خاصف النعل فعلم التأويل، وقتال المنافقين، ومكالمة الجن، وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانية من أدل الدليل على أن فيه جزءاً إلهياً، وقوة ربانية، أو يكون هو الذي ظهر الإله بصورته، وخلق بيده، وأمر بلسانه، وعن هذا قالوا: كان هو موجوداً قبل خلق السموات والأرض، قال: كنا أظلة على يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، فتلك الظلال وتلك الصور العرية عن الأظلال هي حقيقية وهي مشرقة بنور الرب تعالى إشراقاً لا ينفصل عنها سواء كانت في هذا العالم أو في ذلك العالم، وعن هذا قال عليّ أنا من أحمد كالضوء من الضوء، يعني لا فرق بين النورين، إلا أن أحدهما أسبق، والثاني لا حق به، قال له، وهذا يدل على نوع شركة، فالنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الإلهي والاستحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة، ولهم اختلافات أخر، لم نذكرها وقد نجزت الفرق الإسلامية، وما بقيت إلا فرقة الباطنية، وقد أوردهم أصحاب التصانيف في كتب المقالات، إما خارجة عن الفرق، وإما داخلة فيها وبالجملة هم قوم يخالفون اثنتين وسبعين فرقة.

رجال الشيعة ومصنفو كتبهم من الزيدية

أبو خالد [1] الواسطي، ومنصور [2] بن أبي الأسود، وهارون [3] بن سعد

(١) أبو خالد بن عمرو بن خالد الواسطي من مشايخ الشيعة، ومتكلمي الزيدية، وهو ممن روى الفقه عن أئمتهم، وله كتاب في الفقه وأصوله. (فهرست ابن النديم ص ٢٥٣ ص ٣٠٨).

(٢) منصور بن أبي الأسود الليثي الكوفي يقال اسم أبيه حازم، كان من الشيعة الكبار، وهو ثقة، يكتب حديثه، وكان تاجراً كثير الحديث ذكره ابن حبان في الثقات وذكره ابن سعد في الطبقة السادسة، وهو من متكلمي الزيدية. (تهذيب التهذيب عاشر ص ٣٠٥ وفهرست ابن النديم ص ٣٥٢).

(٣) هارون بن سعد العجلي ويقال الجعفي، الكوفي الأعور، صالح، ليس به بأس، وكان قد خرج مع إبراهيم ابن عبدالله بن حسن، فلما هرب إبراهيم هرب إلى واسط فكتب عنه بها، ذكره ابن حيان في الضعفاء =

العجلي، ووكيع[1] بن الجراح ويحيى[2] بن آدم، وعبد الله[3] بن موسى، وعليّ[4] بن صالح، والفضل[5] بن دكين من الجارودية، وأبو حنيفة من البترية،

= فقال: كان غالياً في الروافض لا تحل الرواية عنه بحال وعن ابن معين كان من غلاة الشيعة وعن ابن قتيبة أنه أنشد له شعراً يدل على نزوعه عن الرفض. (تهذيب التهذيب حادي عشر ص ٦).

(١) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان الكوفي الحافظ قال ابن حنبل: مارأيت أوعى للعلم من وكيع ولا أحفظ منه كان مطبوع الحفظ وقيل لأحمد: إن أبا قتادة يتكلم في وكيع. قال: من كذب بأهل الصدق فهو الكذاب وكان وكيع صديقاً لحفص بن غياث فلما ولي القضاء هجره وقد عرض على وكيع القضاء فامتنع منه وقال أحمد: ما رأيت مثل وكيع في الحفظ والإسناد والأبواب مع خشوع وورع، يذاكر بالفقه فيحسن ولا يتكلم في أحد، أكبر في القلب وأمام المسلمين في وقته، كان يقوم الليل ويسرد الصوم ويفتي بقول أبي حنيفة. قال يحيى بن معين: رأيت عند مروان بن معاوية لوحاً مكتوب فيه أسماء شيوخ فلان كذا وفلان كذا ووكيع رافضي. قال يحيى فقلت له وكيع خير منك. قال: مني؟ قلت: نعم فسكت وقدم وكيع مكة فانجفل الناس إليه وحج في تلك السنة غير واحد من العلماء، قال علي بن خشرم: رأيت وكيعاً وما رأيت بيده كتاباً قط إنما هو يحفظ فسأله عن دواء الحفظ فقال: ترك المعاصي، وكان يؤتى بطعامه ولباسه ولا يسأل عن شيء ولا يطلب شيئاً قدم مكة فقال له فضيل: ما هذا السمن وأنت راهب العراق؟ فقال له وكيع: هذا من فرحي بالاسلام. حج سنة ست وتسعين ومائة ومات بفيد منصرفاً من الحج سنة سبع وتسعين ومائة. (تهذيب التهذيب حادي عشر ص ١٢٠).

(٢) يحيى بن آدم بن سليمان الأموي مولى آل أبي معيط، أبو زكريا الكوفي كان يتفقه وهو ثقة كثير الحديث فقيه البدن، وكان جامعاً للعلم عاقلاً ثبتاً في الحديث وكان علي بن المديني يقول: يرحم الله تعالى يحيى بن آدم أي علم كان عنده وجعل يطيه. توفي سنة ثلاث ومائتين. (تهذيب التهذيب حادي عشر ص ١٧٥).

(٣) عبيدالله بن موسى بن أبي المختار، واسمه باذام العبسي مولاهم الكوفي صدوق ثقة، حسن الحديث كان عالماً بالقرآن رأساً فيه، ما رؤي رافعاً رأسه، ولا ضاحكاً قط، وكان حسن الهيئة وكان يتشيع، ويروي أحاديث في التشيع منكرة، وضعف بذلك عند كثير من الناس، قال الساجي: صدوق كان يفرط في التشيع، وقال الجوزجاني: عبيد الله بن موسى أغلى وأسوأ مذهباً وأروى للعجائب. توفي سنة ٢١٣. (تهذيب التهذيب سابع ص ٥٠).

(٤) علي بن صالح بن صالح بن حي الهمذاني أبو محمد، ويقال أبو الحسن الكوفي، أخو الحسن بن صالح وهما توأمان وكان من عباد الكوفة وفقهائها وكان وأخوه يتشيعان وكان صاحب قرآن وكان ثقة إن شاء الله قليل الحديث، قال الحسن: لما حضر أخي رفع بصره، ثم قال: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين﴾ إلى آخر الآية، مات سنة أربع وخمسين ومائة. (تهذيب التهذيب سابع ص ٣٣٢ شذرات أول ص ٢٦٣).

(٥) الفضل بن دكين وهو لقب، واسمه عمرو بن حماد، التميمي أبو نعيم الملائي الكوفي الأحول، روى عنه ابن المبارك وابن حنبل، قال أبو نعيم: كتبت عن نيف ومائة شيخ ممن كتب عنه سفيان، وقال قال لي سفيان مرة وسألته عن شيء: أنت لا تبصر النجوم بالنهار فقلت: وأنت لا تبصرها كلها بالليل فضحك، وكان أبو نعيم ثقة ثبتاً، كيّساً يتحرى الصدق، قال ابن حنبل: إذا مات أبو نعيم صار كتابه إماماً، إذا اختلف الناس في شيء فزعوا إليه، وكان عالماً بأنساب العرب، وكان مزّاحاً ذا دعابة مع تدينه وثقته وأمانته، توفي سنة ثماني عشرة ومائتين. (تهذيب التهذيب ثامن ص ٢٧٠).

وخرج محمد بن عجلان[1] مع محمد الإمام، وخرج إبراهيم[2] بن عباد بن عوام ويزيد[3] بن هارون والعلاء[4] بن رزين، وهشيم[5] بن بشير، والعوام[6] بن حوشب، (ومستلم)[7] بن سعيد، مع إبراهيم الإمام من الإمامية، وسائر أصناف الشيعة، سالم[8] بن أبي الجعد، وسالم[9] بن أبي حفصة،

---

(١) محمد بن عجلان المدني القرشي، أبو عبد الله أحد العلماء العاملين كان عابداً ناسكاً، صادقاً قدم مصر، وصار إلى الاسكندرية، فتزوج بها امرأة، ثم رجع إلى المدينة. قال ابن سعد: كان ناسكاً فقيهاً وكانت له حلقة في المسجد وكان يفتي، مات سنة ثمان وأربعين ومائة. (تهذيب التهذيب تاسع ص ٣٤١).

(٢) في ابن الأثير، الذي أجاب إبراهيم، منهم عباد بن العوام، وجماعة من الفقهاء وأهل العلم. (ابن الأثير خامس ص ٢٢٧).

(٣) يزيد بن هارون بن وادي، ويقال زاذان بن ثابت السلمي مؤلاهم أبو خالد الواسطي أحد الأعلام الحفاظ المشاهير أصله من بخارى كان حافظاً صحيح الحديث كثير العبادة وكان هو وهشيم معروفين بطول الصلاة ومن خيار عباد الله وكان له فقه وفطنة وذكاء وقد كفّ بصره في آخر عمره. قيل له: ما فعلت تلك العينان الجميلتان؟ قال: ذهب بهما بكاء الأسحار. وكان من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. توفي سنة ٢٠٦. (تهذيب التهذيب حادي عشر ص ٣٦٦).

(٤) العلاء بن رزين القلا الثقفي كان يقلي السويق، ثقة جليل القدر وله كتاب من أربع نسخ، روى بروايات مختلفة، وكان أكثر رواية من صفوان بن يحيى. (فهرست الطوسي ص ١١٢).

(٥) هشيم بن بشير السلمي أبو معاوية بن أبي حازم الواسطي قيل أنه بخاري الأصل، كان ثقة حافظاً، قيل له: كم تحفظ؟ قال: كنت أحفظ في اليوم مائة ولو سئلت عنها بعد شهر لأجبت، وكان رابع أربعة هم حفاظ الحديث في زمنهم، وكان هو شيخهم يحفظ الأحاديث المقطوعة حفظاً عجيباً وكان يحدث بالمعنى، وكان كثير التسبيح صالحاً صادقاً أميناً توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة. (تهذيب التهذيب حادي عشر ص ٥٩).

(٦) العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني الربعي أبو عيسى الواسطي أسلم جده على يد علي فوهب له جارية فولدت له حوشب وقد روى العوام عن سلمة بن كهيل. قال العجلي شيباني من أنفسهم، ثقة صاحب سنّة ثبت صالح وكان أبوه صاحب شرطة الحجاج وكان العوام صاحب أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. قال هشيم: ما رأيت أقول بالحق من العوام وقد توفي سنة ثمان وأربعين ومائة. (تهذيب التهذيب ثامن ص ١٦٣).

(٧) مستلم بن سعيد الثقفي الواسطي العابد شيخ ثقة من أهل واسط قليل الحديث. قال يزيد بن هارون: كان مستلم عندنا هاهنا بواسط وكان لا يشرب إلا في كل جمعة ومكث أربعين سنة لا يضع جنبه على الأرض وقد ذكره ابن حبان في الثقات ولما مات قال أصبغ بن زيد: لو كان هذا في بني إسرائيل لاتخذوه حبراً. (تهذيب التهذيب عاشر ص ١٠٤).

(٨) سالم بن أبي الجعد رافع الأشجعي مولاهم الكوفي ثقة تابعي كثير الحديث. قال إبراهيم الحربي: مجمع على ثقته توفي سنة مائة. (تهذيب التهذيب ثالث ص ٤٣٢).

(٩) سالم بن أبي حفصة العجلي أبو يونس الكوفي قال ابن حنبل: كان شيعياً ما أظن به بأساً في الحديث وهو قليل الحديث، وقال أبو حاتم: هو من عتق الشيعة يكتب حديثه ولا يحتج به. قال له عمر بن ذر: أنت قتلت عثمان، فجزع وقال: أنا؟ قال: نعم أنت ترضى بقتله. وقال سعيد بن منصور: قلت لابن إدريس =

وسلمة [1] بن (كهيل)، وثوير [2] بن أبي فاختة، وحبيب [3] بن أبي ثابت، (و) أبو المقدام [4]، وشعبة [5]

= رأيت سالم بن أبي حفصة؟ قال: نعم رأيته طويل اللحية أحمقها وهو يقول: لبيك لبيك قاتل نعثل لبيك لبيك مهلك بني أمية وقيل إنه كان من رؤوس من ينتقص أبا بكر وعمر وقال ابن عدي له أحاديث وعامة ما يرويه في فضائل أهل البيت وهو من الغالين في متشيعي أهل الكوفة وإنما عيب عليه الغلو فيه، وأما أحاديثه فأرجو أنه لا بأس به، وقال الجوزجاني: زائغ وبالغ فيه كعادته في أمثاله، وتوفي قريباً من سنة أربعين ومائة. (تهذيب التهذيب ثالث ص ٤٣٣).

(١) سلمة بن كهيل الحضرمي التنعي، أبو يحيى الكوفي، تابعي ثقة، ثبت في الحديث، وكان فيه تشيع قليل، وهو ذكي متقن، كثير الحديث. قال سفيان الثوري: حدثنا سلمة بن كهيل وكان ركناً من الأركان وشد قبضته، ولما قدم شعبة البصرة قالوا له: حدثنا عن ثقات أصحابك، فقال: إن حدثتكم عن ثقات أصحابي فإنما أحدثكم عن نفر يسير من هذه الشيعة، الحكم بن عتيبة، وسلمة بن كهيل، وحبيب بن أبي ثابت، ومنصور، وأتى سلمة، زيد بن علي بن الحسين لما خرج فنهاه عن الخروج وحذره من غدر أهل الكوفة فأبى، فقال له: أفتأذن لي أن أخرج من البلد؟ فقال: لِمَ؟ قال: لا آمن أن يحدث لك حدث فلا آمن على نفسي، فأذن له فخرج إلى اليمامة، توفي سنة إحدى وعشرين ومائة. (تهذيب التهذيب رابع ص ١٥٥).

(٢) ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علاقة الهاشمي أبو الجهم الكوفي، مولى أم هانىء، وقيل مولى زوجها جعدة، كان رافضياً، ضعفه جماعة وأثر الضعف على رواياته بيّن، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى غيره، وروى عنه الأعمش والثوري، وقال الجوزجاني: إنه ليس بثقة، وقال الحاكم في المستدرك: لم ينقم عليه إلا لتشيعه. (تهذيب التهذيب ثان ص ٣٦).

(٣) حبيب بن أبي ثابت، قيس بن دينار، ويقال قيس بن هند، وقيل أن اسم أبي ثابت هند الأسدي مولاهم أبو يحيى الكوفي قال أبو بكر بن عياش: كان هؤلاء الثلاثة أصحاب الفتيا، حبيب بن أبي ثابت، والحكم، وحماد، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة، ثبت في الحديث، توفي سنة تسع عشر ومائة. (تهذيب التهذيب ثان ص ١٧٨).

(٤) هشام بن زياد بن أبي زيد القرشي أبو المقدام البصري، أخذ عنه وكيع، وابن المبارك، قال عنه ابن معين ضعيف ليس بثقة، وقال البخاري: كانوا يتكلمون فيه، وقد ترك ابن المبارك حديثه، وقد ضعفه أحمد، وقال أبو داود غير ثقة، وقال يعقوب بن سفيان: ضعيف لا يفرح بحديثه. (تهذيب التهذيب حادي عشر ص ٣٨ وميزان الاعتدال ثالث ص ٢٥٣).

(٥) شعبة بن الحجاج العتكي الأزدي، مولاهم أبو بسطام الواسطي ثم البصري، قال الثوري: لم يكن في زمن شعبة مثله في الحديث ولا أحسن حديثاً منه، قسم له من هذا حظ، وروى عن ثلاثين رجلاً من أهل الكوفة لم يرو عنهم سفيان، وكان الثوري يقول: شعبة أمير المؤمنين في الحديث، وقال لسلم بن قتيبة: ما فعل أستاذنا شعبة؟ وقال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق، وكان عبد الله ما رؤي في زمنه أعبد منه ولقد عبد الله حتى جف جلده على ظهره، قال قراد أبو نوح: رأى شعبة علي قميصاً فقال: بكم أخذت هذا؟ قلت: بثمانية دراهم. قال لي: ويحك أما تتقي الله تلبس قميصاً بثمانية، ألا اشتريت قميصاً بأربعة وتصدقت بأربعة. قلت: أنا مع قوم تتجمل لهم. قال: إيش تتجمل لهم وكان أعلم بالرجال وأول من تكلم في الرجال وكان من سادات أهل زمانه حفظاً واتقاناً وورعاً وفضلاً وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين وجانب الضعفاء والمتروكين وصار علماً يقتدى به وتبعه عليه بعده أهل العراق وكان صاحب نحو =

والأعمش [١] ،وجابر الجعفي [٢]، وأبو عبد الله الجدلي [٣] ،وأبو إسحاق السبيعي [٤] ، والمغيرة [٥] وطاووس [٦] ، والشعبي [٧] ، .....

= وشعر وكان يقول: تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل، توفي سنة ستين ومائة. (تهذيب التهذيب رابع ص ٣٣٨).

(١) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش، يقال أصله من طبرستان وولد بالكوفة، قال هشيم: ما رأيت بالكوفة أحد أقرأ لكتاب الله منه، وكان جرير إذا حدث عن الأعمش قال: هذا الديباج الخسرواني. وقال العجلي: كان ثقة ثبتاً في الحديث، وكان محدث أهل الكوفة في زمانه ولم يكن له كتاب وكان رأساً في القرآن، عالماً بالفرائض وكان لا يلحن حرفاً، وكان فيه تشيع، وكان من النساك، وهو علامة الاسلام، وكان ورعاً مجانباً للسلطان، مات سنة خمسة وأربعين ومائة. (تهذيب التهذيب رابع ص ٢٢٢).

(٢) جابر بن يزيد الجعفي أبو عبد الله ويقال أبو يزيد الكوفي، قال شعبة: كان جابر إذا قال حدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس وقيل إنه كان يؤمن بالرجعة، وتكلموا فيه، وعامة ما قذفوه به أنه كان يؤمن بالرجعة وهو مع هذا إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق، وكان صاحب نيرنجات وشبه. قال عثمان بن أبي شيبة: حدثني أبي عن جدي قال: كنت آتيه في وقت ليس فيه فاكهة ولا قثاء، ولا خيار فيذهب فيجيء بقثاء وخيار فيقول: كُلْ فوالله ما زرعته، وكان رافضياً يشتم أصحاب النبي ﷺ توفي سنة ثمان وعشرين ومائة. (تهذيب التهذيب ثان ص ٤٦).

(٣) أبو عبد الله الجدلي الكوفي اسمه عبد الله بن عبد وقيل عبد الرحمن بن عبد تابعي، ثقة، كان شديد التشيع ويزعمون أنه كان على شرطة المختار فوجهه إلى ابن الزبير في ثمانمائة من أهل الكوفة ليمنعوا محمد ابن الحنفية مما أراد به ابن الزبير، وكان المختار يستخلفه، وخرج على رأس جيش إلى مكة، فأخرج محمد ابن الحنفية من محبسه، وكفهم محمد عن القتال في الحرم. (تهذيب التهذيب ١٢ ص ١٤٨).

(٤) عمرو بن عبد الله بن عبيد ويقال علي ويقال ابن أبي شعيرة أبو إسحاق السبيعي الكوفي، تابعي ثقة، من أثبت الناس، قال رجل لشعبة سمع أبو إسحاق من مجاهد قال: ما كان يصنع بمجاهد كان هو أحسن حديثاً من مجاهد والحسن وابن سيرين، قال الأعمش: كان أصحاب عبد الله إذا رأوا أبا إسحاق قالوا هذا عمرو القاري وقال له عون بن عبد الله ما بقي منك؟ قال: أصلي بالبقرة في ركعة. قال: ذهب شرك وبقي خيرك، وكان من متشيعي الكوفة ومحدثيهم، ولما ولي يوسف بن عمر الكوفة أخرج بنو أبي إسحاق أبا إسحاق علي برذون ليأخذ صلة يوسف فأخذت وهو راكب، ومات سنة ستة وعشرين ومائة. (تهذيب التهذيب ثامن ص ٦٣).

(٥) المغيرة بن سعد البجلي أبو عبد الله الكوفي الرافضي الكذاب سبقت ترجمته.

(٦) طاوس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرحمن الحميري الجندي من أبناء الفرس، أحد الأعلام التابعين، قال ابن عباس: إني لأظن طاوساً من أهل الجنة وكان من عباد أهل اليمن ومن سادات التابعين، وكان قد حج أربعين حجة وكان مستجاب الدعوة. قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أعفّ عما في أيدي الناس من طاوس، وقال ابن عيينة: متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذر في زمانه، وطاوس في زمانه، والثوري في زمانه. مات نيف ومائة. (تهذيب التهذيب خامس ص ٨).

(٧) عامر بن شراحيل بن عبد وقيل عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري أبو عمر الكوفي من شعب همذان، كان كثير العلم عظيم الحلم قديم السلم من الإسلام بمكان، مرّ ابن عمر على الشعبي وهو =

وعلقمة [1] ، وهبيرة بن بريم [2] ، وحبة العرني [3] ، والحارث [4] الأعور.

ومن مؤلفي كتبهم هشام [5] بن الحكم، وعلي بن منصور [6] ، ويونس بن عبد

= يحدث بالمغازي فقال: لقد شهدت القوم فلهو أحفظ لها وأعلم بها وكان الشعبي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء. ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته ولا حدثني رجل بحديث، فأحببت أن يعيده عليّ، وقد قضى لعمر بن عبد العزيز وكان فقيهاً شاعراً على دعاية فيه، قال الطبري في طبقات الفقهاء كان ذا أدب وفقه وعلم وكان يقول ما حللت حبوتي إلى شيء مما ينظر الناس إليه ولا ضربت مملوكاً لي قط وما مات ذو قرابة لي وعليه دين إلا قضيته عنه، توفي سنة ١٠٩ (تهذيب التهذيب خامس ص ٦٥).

(١) علقمة بن قيس النخعي الكوفي، ولد في حياة رسول الله ﷺ وكان ثقة من أهل الخف، وكان أشبه الناس هدياً وسمتاً ودلاً بابن مسعود وكان من أصحاب عبد الله الذين يقرنون الناس ويعلمونهم السنّة ويصدر الناس عن رأيهم. قال مرة الهمذاني: كان علقمة من الربانيين، وقال عبد الله: ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه ويعلمه، وكان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون علقمة ويستفتونه وكان من الخمسة الذين يقدمهم أهل الكوفة، وكان ثالثهم، وقد شهد صفين؛ توفي سنة اثنتين وستين. (تهذيب التهذيب سابع ص ٢٧٦).

(٢) هبيرة بن بريم الشيباني، ويقال الخارفي، أبو الحرث الكوفي، قال أحمد: لا بأس بحديثه هو أحسن استقامة من غيره، وكان خال العالية زوجة أبي إسحاق السبيعي، وكان مختارياً، توفي سنة ست وستين. (تهذيب التهذيب حادي عشر ص ٢٣).

(٣) حبة بن جوين العرني البجلي، أبو قدامة الكوفي، قال سلمة بن كهيل: ما رأيته قط إلا يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله؛ والله أكبر إلا أن يصلي، أو يحدثنا، كان يتشيع، وليس هو بمتروك، ولا ثبت، وكان غالياً في التشيع واهياً في الحديث، توفي سنة ست وسبعين. (تهذيب التهذيب ثان ص ١٧٦).

(٤) الحارث بن عبد الله الأعور الهمذاني الخارقي؛ أبو زهير الكوفي ويقال، الحارث بن عبيد الحوتي وحوت بطن من همدان، كان زيفاً كذاباً، لا يحتج بحديثه، وكان الشعبي يختلف إليه ليتعلم منه الحساب إذ كان أحسب الناس، قال ابن أبي داود: كان الحرث أفقه الناس وأحسب الناس، وأفرض الناس، تعلم الفرائض من علي، وكان غالياً في التشيع واهياً في الحديث وقيل إن المحدثين يقبلون على حديثه وما نقموا عليه إلا إفراطه في حب عليّ، توفي سنة خمس وستين. (تهذيب التهذيب ثان ص ١٤٥).

(٥) هشام بن الحكم كان من خواص موسى بن جعفر وكانت له مباحث كثيرة مع المخالفين في الأصول وغيرها وكان له أصل وله من المصنفات كتب كثيرة منها: كتاب الإمامة وكتاب الرد على الزنادقة وكتاب الرد على أصحاب الاثنين وكتاب في الحكمين وكتاب الرد على أرسطو وغيرها، وكان كوفياً ثم تحول إلى بغداد ولقي جعفر بن محمد وابنه موسى وله عنهما روايات كثيرة ولهما فيه مدائح جليلة وكان ممن فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب في النظر وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب وكان منقطعاً إلى يحيى بن خالد البرمكي وكان القيم بمجالس كلامه ونظره توفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة مستتراً وقيل بل في خلافة المأمون. (فهرست الطوسي ص ١٧٤).

(٦) علي بن منصور، من مشايخ الرافضة ومتكلميهم، وهو إمامي المذهب، ومن نظار الشيعة ومن أصحاب هشام بن الحكم. (الانتصار ص ٦ و ١٧٨).

الـرحمن، وشكال [1]، والفضـل بن شـاذان [2]، والحسين بن إبـراهيم الملقب [3] أشكاب، ومحمد [4] بن عبد الرحمن بـن قبة، وأبو سهل النوبختي [5]، وأحمد [6] بن يحيى الراوندي، ومن المتأخرين أبو جعفر [7] الطوسي.

الإسماعيلية

قد ذكرنا أن الإسماعيلية امتازت عن الموسوية، وعن الإثنا عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر، قالوا: ولم يتزوج

---

(١) الشكال، صاحب هشام بن الحكم وخالفه في الأشياء إلا في أصل الإمامة وله من الكتب كتاب المعرفة وكتاب الاستطاعة وكتاب الإمامة وغيرها. (فهرست ابن النديم ص ٢٥٠).

(٢) الفضل بن شاذان النيسابوري، فقيه متكلم جليل القدر له كتب ومصنفات منها: كتاب الفرائض الكبير، وكتاب الفرائض الصغير، وكتاب الإيمان، وكتاب الرد على الدامغة الثنوية، وكتاب في إثبات الرجعة، وكتاب الردّ على الغلاة، وكتاب مسائل البلدان وغير ذلك من المصنفات الكثيرة. تـوفي سنة ٢٦٠. (فهرست الطوسي ص ١٢٤).

(٣) الحسين بن إبراهيم بن الحر بن زعلان العامري أبو علي البغدادي الملقب باشكاب، وهو والد محمد وعلي ابني أشكاب وهو من أبناء أهل خراسان من أهل نسا، وكان أبوه ممن خرج في دعوة أبي العباس مع أسد بن عبد الرحمن الذي ظهر بنسا، وقد نشأ الحسين ببغداد وطلب الحديث ولزم أبا يوسف القاضي فاتصل بالوالي ثم بعد عنهم فلم يدخل في شيء من القضاء ولا غيره ولم يزل ببغداد يقرىء الحديث والفقه إلى أن مات سنة ست عشرة ومائتين في خلافة المأمون. (تاريخ بغداد ثامن ص ١٧).

(٤) محمد بن قبة الرازي يكنى أبا جعفر من متكلمي الإمامية وحذّاقهم وكان أول معتزلياً ثم انتقل إلى القول بالإمامة وحسن طريقه وبصيرته وله كتب في الإمامة منها: كتاب الانصاف وكتاب المستثبت نقض كتاب المسترشد لأبي القاسم البلخي وكتاب التعريف على الزيدية وغير ذلك من الكتب. (فهرست الطوسي ص ١٢).

(٥) إسماعيل بن علي النوبختي أبو سهل كان شيخ المتكلمين من الشيعة ببغداد ووجيههم ومتقدم النوبختيين في زمانه وصنف كتباً كثيرة منها: كتاب الاستيفاء في الإمامة وكتاب الرد على اليهود وكتاب الأنوار في تاريخ الأئمة وكتاب الرد على الغلاة وكتاب نقض رسالة الشافعي، وكتاب الرد على أصحاب الصفات وغيرها. توفي سنة ٣١١. (فهرست الطوسي ص ١٢).

(٦) أبو الحسين أحمد بن يحيى الراوندي العالم المشهور له مقالة في علم الكلام وكان من فضلاء عصره وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشر كتاباً منها: كتاب فضيحة المعتزلة، وكتاب التاج وكتاب الزمرد وغير ذلك، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه أهل الكلام وقد توفي سنة خمس وأربعين ومائتين وعمره أربعون سنة. (ابن خلكان أول ص ٣٣).

(٧) محمد بن الحسن بن علي أبو جعفر الطوسي فقيه الشيعة أخذ عن ابن النعمان وطبقته وله مصنفات كثيرة في الكلام على مذهب الإمامية وجمع تفسير القرآن وأملى أحاديث وحكايات في مجلس وقد أحرقت كتبه بمحضر من الناس في رحبة جامع النصر واستتر هو خوفاً على نفسه بسبب ما يظهر عنه من انتقاص السلف ومات بمشهد في المحرم سنة ستين وأربعمائة. (لسان الميزان خامس ص ١٣٥).

الصادق على أمه بواحدة من النساء ولا اشترى جارية، كسنة رسول الله في حق خديجة، وكسنة عليّ في حق فاطمة، وذكرنا اختلافهم في موته في حال حياة أبيه، فمنهم من قال إنه مات، وإنما فائدة النص عليه انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة، كما نص موسى (على) هارون عليهما السلام، ثم مات هارون في حال حياة أخيه، وإنما فائدة النص انتقال الإمامة منه إلى أولاده، فان النص لا يرجع قهقرى، والقول بالبدء محال، ولا ينص الإمام على واحد من ولده، إلا بعد السماع من آبائه، والتعيين لا يجوز على الإبهام والجهالة، ومنهم من قال: انه لم يمت، لكن أظهر موته تقية عليه، حتى لا يقصد بالقتل، ولهذا القول دلالات، منها أن محمداً كان صغيراً وهو أخوه لأمه، مضى إلى السرير الذي كان إسماعيل نائماً عليه ورفع الملاءة فأبصره، وهو قد فتح عينه، وعدا إلى أبيه مفزعاً، وقال عاش أخي عاش أخي، قال والده أن أولاد الرسول كذا يكون حالهم في الآخرة، قالوا: وما السبب في الإشهاد على موته، وكتب المحضر عليه، ولم نعهد ميتاً سجل على موته، وعن هذا لما رفع إلى المنصور: أن إسماعيل بن جعفر رؤي بالبصرة ومر على مقعد، فدعا له فبرىء باذن الله، بعث المنصور إلى الصادق أن إسماعيل في الأحياء، وأنه رؤي بالبصرة وأنفذ السجل إليه، وعليه شهادة عامله بالمدينة.

قالوا، وبعد إسماعيل محمد بن إسماعيل السابع التام، وإنما تم دور السبعة به، ثم ابتدأ به بالأئمة المستورين، والذين كانوا يسيرون في البلاد سراً، ويظهرون الدعاة جهراً، قالوا: ولن تخلو الأرض قط عن إمام حي قائم، إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور، فإذا كان الإمام ظاهراً، ويجوز أن تكون حجته مستورة، وإذا كان الإمام مستوراً، فلا بد أن تكون حجته ودعاته ظاهرين، وقالوا: إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة [1] سبعة، كأيام الأسبوع، والسموات السبع، والكواكب السبع، والنقباء تدور

---

(١) ولهذا يلقبون بالسبعية، إذ أنهم يذهبون إلى أن أدوار الإمامة سبعة، ويزعمون أن دور الإمامة انتهى إلى إسماعيل بن جعفر إذ كان هو السابع، من محد وأدوار الإمامة سبعة، وأن السابع آخر الدور، وهو نبي نسخ بشريعته شريعة محمد ﷺ، والدور انقضى بإسماعيل بن جعفر وابتدأ محمد بن إسماعيل الدور الثاني، وذهبوا إلى أن الدور تم بسبعة بعد الناطق وهو الرسول ﷺ، فابتدأوه بالأساس، وهو وصية، يعني علياً، ثم من القائمين بعد الأساس فمتى انقضى هذا الدور تلاه دور آخر، فيه ناطق ناسخ لشريعة من قبله وأساس، وبعده أئمة، ثم كذلك إلى ما لا انقضاء له ولا نهاية، ودليل الأسابيع عندهم، ما قاولوا أن السماوات سبع والكواكب السيّارة سبع والأرضين سبع والأيام سبع وأعضاء الانسان سبع، والنقب في الرأس سبع إلى غير ذلك مما ذكروه في كتبهم فهذه كلها إشارة إلى أن الأئمة سبعة، والجواب عنه، بأن نقول الطبائع التي هي =

أحكامهم، على اثني عشر، قالوا: وعن هذا وقعت الشبهة للإمامية القطعية، حيث قرروا عدد النقباء للأئمة، ثم بعد الأئمة المستورين كان ظهور المهدي، والقائم بأمر الله وأولادهم نصاً بعد نص عَلَى إمام بعد إمام، ومذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية، وكانت لهم دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان، فنذكر مقالاتهم القديمة، ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة، وأشهر ألقابهم الباطنية.

الباطنية[1]

وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم، بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً،

= أصل المخلوقات أربع والملائكة الفضلاء أربعة، وكذلك الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وكذلك الأشهر وكذلك عدد ركعات صلاة الظهر والعصر والعشاء، فهذا يدل على أن فضلاء الصحابة أربعة والأئمة أربعة، أو نقول الحواس خمس، وأوقات الصلاة خمس؛ وأصابع اليدين والرجلين خمس، وفضلاء الأنبياء خمس، فهذا يدل على أن الأئمة خمس، وعلى هذا القياس ما من عدد إلا ويمكن أن يؤيد بمثل ذلك.

وقالت السبعية أيضاً: إن العالم السفلي تدبره الكواكب السبعة وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر. (عقائد آل محمد ص ٢٢).

(١) الباطنية، والإمامية والغلاة، مختلطة بعضها ببعض، فكل متشيع وغال، وخارج عن نهج المسلمين.

نشأ مذهبهم في منتصف القرن الثالث، وضعه قوم أشرب في قلوبهم بغض الدين، وكراهية النبي الكريم، من الفلاسفة والملاحدة، والمجوس واليهود، ليصرفوا الناس عن دين الله؛ وكانوا يبعثون دعاتهم إلى الآفاق، لدعوة الناس إلى مذهبهم المشؤوم، لعلهم أن تعود دولتهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ومن دعاتهم ميمون بن ديصان، القداح الثنوي، وظاهر مذهبهم فروع الشريعة، ولكن عقيدتهم عقيدة الفلاسفة والملاحدة، وعرف الناس أنهم براء من الشيعة، فظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض.

وكان أصل دعوتهم ظهور ميمون في الكوفة سنة ١٧٦ فنصب للمسلمين الحبائل، وبغى بهم الغوائل، ونمس الحق بالباطل، ومكر أولئك هو يبور؛ جعل لكل آية تفسيراً ولكل حديث تأويلاً وذهب إلى أن الفرائض والسنن رموز وإشارات ومثلات وأمر بالاعتصام بالغائب المفقود، والاعراض عن الحاضر الموجود من العترة الزكية، وكان عارفاً بالنجوم، فجعل أصل دعوته اختصاص علي بإمامته، ليستر بجلال الإسلام وبجاه علي وآله، كفره وزندقته، وأطلق لسانه في الطعن على الصحابة وكان يسر اليهودية ويظهر الإسلام وكان يخدم إسماعيل بن جعفر وظهر أيام قرمط فاجتمعا وأخذا ناموساً يدعوان إليه فسموا بالقرامطة واجتمع عليهم جماعة يفسدون في الأرض ولا يصلحون وحيل بينهم وبين ما يشتهون وألقابهم؛ الإسماعيلية الباطنية القرامطة القرمطية المباركية السبعية التعليمية الإباحية والملاحدة الزنداقة المزدكية البابكية الخرمية المحمرة الحرمدينية ولهم حيل وأساليب ينصبونها ليصلوا إلى ما يريدون وذهبوا في التوحيد إلى القول بإلهين قديمين العقل والنفس والباري لا يوصف بموجود ولا بمعدوم ولا هو بمعلوم ولا بمجهول إلى آخر الصفات ويقولون: بالطبع وبتأثير الكواكب وصلة إلى نفي الصانع وينكرون الوحي ونزول الملائكة ووقوع المعجزات ويذهبون إلى أنها رموز وإشارات ومثلات فعصا موسى غلبته وإظلال =

ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم، فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية، وبخراسان التعليمية والملحدة، وهم يقولون، نحن إسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم، وهذا الشخص، ثم ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم

= الغمام إمرته والقرآن كلام محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ ونبع الماء كثرة علمه وطلوع الشمس من مغربها بخروج الإمام فتأولوا المعجزات ليزحزحوا الناس عن عقائدهم وذهبوا إلى أنه لا بد من إمام معصوم يرجع إليه وهو كالنبي في عصمته وإطلاعه لا ينزل عليه وحي وإنما يتلقى ذلك من النبي لأنه خليفته ومدة شريعة كل نبي سبعة أعمار منهم الناطق والصامت وهو القائم ونكروا القيامة والبعث والنشور والجنة والنار وجعلوا لكل رمز إشارة وكما أنهم احتالوا في أصول الدين احتالوا في اختداع أتباعهم واستمالة قلوبهم فأباحوا لهم جملة اللذات والشهوات وأباحوا لهم نكاح البنات والأخوات وأسقطوا عنهم فرائض العبادات وقاولوا أركان الشريعة فمعنى الفرائض موالاة زعماتهم وأئمتهم ومعنى المحرمات تحريم موالاة أبي بكر وعمر وكل من خالف مذهب الباطنية ويؤولون الملائكة على دعاتهم والشياطين مخالفوهم ويسمون موافقيهم المؤمنين ومخالفيهم الحمير والظاهرية وقد قال شاعرهم في أيام علي بن فضل إذا ادعى النبوة وأظهر مذهبه في الكفر واستحلال المحرمات وتزويج الأخوات والبنات.

خذي الدف يا هذه والعبي ... وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة ... وهذي شرائع هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة ... وحط الصيام فلم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي ... وإن صاموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا ... ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين ... من الأقربين ومن أجنبي
فكيف حللت لهذا الغريب ... وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه ... ورواه في الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السما ... محل، فقدست من مذهب

وقد كان لهم المشهد الأعظم، لا يشهده إلا من دفع للداعي قربانه فإذا جن الليل، ودارت الكؤوس وطابت النفوس، وقد أحضر جميع أهل الدعوة نساءهم وحريمهم فيدخلن عليهم وقد أطفأوا السرج، فيأخذ كل واحد من تقع في يده، ويقع عليها فتنطلق بشكر الداعي على ما أتاه من فضل، فيقول: ليس إلا من فضل أمير المؤمنين، فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم، وكانوا يخاطبون الناس بحسب عقولهم وأهوائهم وعقائدهم. ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾. (عقائد آل محمد ص ٣ ـ ٨٢ التبصير ص ٨٦).

ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج، فقالوا في الباري تعالى: إنا لا نقول هو موجود ولا لا موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات فان الإثبات الحقيقي، يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلعتنا عليه وذلك تشبيه، فلم يمكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق، بل هو إله المتقابلين، وخالق الخصمين، والحاكم بين المتضادين، ونقلوا في هذا أيضاً عن محمد بن عليّ الباقر أنه قال: لما وهب العلم للعالمين قيل: هو عالم، ولما وهب القدرة للقادرين قيل: هو قادر، فهو عالم قادر، بمعنى أنه وهب العلم والقدرة، لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة، أو وصف بالعلم والقدرة، فقيل فيهم أنهم نفاة الصفات حقيقة، معطلة الذات عن جميع الصفات، قالوا: وكذلك نقول في القدم إنه ليس بقديم ولا محدث بل القديم أمره وكلمته، والمحدث خلقه وفطرته، أبدع بالأمر العقل الأول، الذي هو تام بالفعل، ثم بتوسطه، أبدع النفس الذي هو غير تام، ونسبة النفس إلى العقل أما نسبة النطفة إلى تمام الخلقة والبيض إلى الطير، وإما نسبة الولد إلى الوالد، والنتيجة إلى المنتج، وأما نسبة الأنثى إلى الذكر، والزوج إلى الزوج، قالوا: ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال، واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة، فحدثت الأفلاك السموية، وتحركت حركة دورية بتدبير النفس، وحدثت الطبائع البسيطة بعدها، وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس أيضاً، فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والإنسان، واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان، وكان نوع الإنسان متميزاً عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار، وكان عالمه في مقابلة العالم كله وفي العالم العلوي عقل ونفس كلي، وجب أن يكون في هذا العالم عقل مشخص، هو كل، وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق، وهو النبي ونفس مشخصة هو كل أيضاً، وحكمها حكم الطفل الناقص التوجه إلى الكمال، أو حكم النطفة المتوجهة إلى التمام، أو حكم الأنثى المزدوج بالذكر، ويسمونه الأساس، وهو الوصي، قالوا: وكما تحركت الأفلاك بتحريك النفس والعقل والطبائع، كذلك تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي، في كل زمان، دائراً عَلَى سبعة سبعة، حتى ينتهي إلى الدور الأخير، ويدخل زمان القيامة، وترتفع التكاليف، وتضمحل السنن والشرائع، وإنما هذه الحركات الفلكية، والسنن الشرعية، لتبلغ النفس إلى حال كمالها وكمالها بلوغها إلى درجة

العقل، واتحادها به ووصولها إلى مرتبة فعلاً، وذلك هو القيامة الكبرى، فتنحل تراكيب الأفلاك والعناصر والمركبات، وتنشق السماء وتتناثر الكواكب، وتبدل الأرض غير الأرض، وتطوى السموات كطي السجل للكتاب الموقوم فيه: ويتميز الخير عن الشر، والمطيع عن العاصي، وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكاملة وجزئيات الباطل بالشيطان المبطل، فمن وقت الحركة إلى السكون هو المبدأ، ومن وقت السكون إلى ما لا نهاية له هو الكمال، ثم قالوا، ما من فريضة أو سنة أو حكم من أحكام الشرع، من بيع وأجارة وهبة ونكاح وطلاق، وجراح وقصاص، ودية إلا وله وزان من العالم عدداً في مقابلة عدد، وحكماً في مطابقة حكم، فان الشرائع عوالم روحانية أمرية، والعوالم شرائع جسمانية، خلقية، وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان تركيبات الصور والأجسام والحروف المفردة نسبتها إلى المركبات من الكلمات كالبسائط المجردة إلى المركبات من الأجسام، ولكل حرف وزان في العالم وطبيعة يخصها وتأثير من حيث تلك الخاصية في النفوس، فعن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس كما صارت الأغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للأبدان، وقد قدر الله تعالى أن يكون غذا كل موجود مما خلقه منه، فعلى هذا الوزان صاروا إلى ذكر أعداد الكلمات والآيات، وان التسمية مركبة من سبعة واثني عشر، وأن التهليل مركب من أربع كلمات في إحدى الشهادتين، وثلاث كلمات في الشهادة الثانية، وسبع قطع في الأولى، وست في الثانية، واثنا عشر حرفاً في الثانية، وكذلك في كل آية أمكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكرته فيه إلا ويعجز عن ذلك خوفاً عن مقابلته بضده، وهذه المقابلات كانت طريقة أسلافهم، قد صنفوا فيها كتباً، ودعوا الناس إلى إمام في كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم، ويعدي إلى مدارج هذه الأوضاع والرسوم.

ثم أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن [1] بن

---

(١) الحسن بن الصباح الاسماعيلي الملقب بالعباد صاحب الدعوة النزارية وجد أصحاب قلعة الموت كان من كبار الزنادقة ومن دهاة العالم. قال ابن الأثير: كان الحسن بن الصباح رجلاً شهماً كافياً عالماً بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك، وقد اتهمه صهر نظام الملك بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه فخاف ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوماً من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من أبي مسلم صهر نظام الملك طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذي ملك قلعة أصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل إلى مصر ودخل =

الصباح دعوته، وقصر عن الإلزامات كلمته، واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع، وكان بدء صعوده إلى قلعة [1] الموت، في شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وذلك بعد أن هاجر إلى بلاد إمامه، وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه، فعاد ودعا الناس أول دعوة، إلى تعيين إمام صادق قائم في كل زمان، وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكبة، وهو أن لهم إماماً، وليس لغيرهم إمام، وإنما يعود خلاصة كلامه بعد ترديد القول فيه عوداً على بدء بالعربية والعجمية إلى هذا الحرف، ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية إلى العربية، ولا معاب على الناقل، والموفق من اتبع الحق، واجتنب الباطل والله الموفق والمعين.

= على المستنصر صاحبها فأكرمه وأعطاه مالاً وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته فقال له الحسن: فمن الإمام بعدك؟ فأشار إلى ابنه نزار وعاد من مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع إلى خراسان ودخل كاشغر وما وراء النهر يطوف على قوم يضلهم، إلى أن ملك قلعة الموت وأخرج منها نائبها العلوي إلى دامغان وأعطاه ماله، ولما بلغ الخبر نظام الملك بعث عسكراً إلى قلعة الموت فحصروه فيها وأخذوا عليه الطرق فضاق ذرعه بالحصر فأرسل من قتل نظام الملك فرجع العسكر عنها وقد رأى السلطان محمد بن ملكشاه أن مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثار الباطنية وإخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان في أيامه المقدم عليهم والقيم بأمرهم الحسن بن الصباح الرازي وكانت أيامه قد طالت وله منذ ملك قلعة الموت ما يقارب ستاً وعشرين سنة وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزواته عليهم وقتله وأسره رجالهم وسبي نسائهم فسيّر إليه السلطان العساكر فعادت من غير بلوغ غرض، فندب لقتاله الأمير أنوشتكين وأمدّه بعدّة من الأمراء، فحصرهم وكان السلطان ينقل إليه الميرة والذخائر والرجال فضاق الأمر على الباطنية فأنزلوا نسائهم وأبناءهم مستأمنين ويسألون أن يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا إلى ذلك، وأعادهم إلى القلعة قصداً ليموت الجميع جوعاً فلما بلغ بهم الأمر إلى الحد الذي لا مزيد عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم؛ ففك الحصار وغنم الباطنية ما تخلف عندهم وكان الحسن قوي المشاركة في الفلسفة كثير المكر والحيل بعيد الغور مات سنة ثماني عشرة وخمسمائة. (لسان الميزان ثان ص ٢١٤ ابن الأثير عاشر ص ١١٨ و ١٩٩).

(١) قلعة الموت وهي من نواحي قزوين. قيل إن ملكاً من ملوك الديلم كان كثير التصيد فأرسل يوماً عقاباً وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة فوجده موضعاً حصيناً، فأمر ببناء قلعة عليه فسماها إله الموت ومعناها بلسان الديلم تعليم العقاب، ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان وفيها قلاع حصينة أشهرها الموت وكانت هذه النواحي في ضمان شرفشاه الجعفري وقد استناب فيها رجلاً علوياً فيه بله وسلامة صدر وكان الحسن بن الصباح قد اتهمه أبو مسلم صهر نظام الملك بدخول جماعة من دعاة المصريين، فهرب منه خوفاً على نفسه فاستقر به المطاف إلى قلعة الموت، فلما رآها واختبر أهل تلك النواحي أقام عندهم وطمع في إغوائهم ودعاهم في السر، وأظهر الزهد ولبس المسح فتبعه أكثرهم والعلوي قد أحسن الظن به فقربه وأخذ يتبرك به فلما أحكم الحسن أمره، أخرج العلوي من القلعة واستولى عليها. (ابن الأثير عاشر ص ١١٧).

فنبدأ بالفصول الأربعة التي ابتدأ الدعوة بها وكتبها عجمية فعربتها قال للمفتى في معرفة الباري تعالى أحد قولين إما أن يقول: أعرف الباري تعالى بمجرد العقل والنظر من غير احتياج إلى تعليم معلم، وإما أن يقول لا طريق إلى المعرفة مع العقل والنظر إلا بتعليم معلم صادق، قال: ومن أفتى بالأول فليس له الانكار على عقل غيره ونظره، فإنه متى أنكر فقد علم، والإنكار تعليم، ودليل على أن المنكر عليه يحتاج إلى غيره. قال: والقسمان ضروريان، فإن الإنسان إذا أفتى بفتوى، وقال قولاً، فاما أن يقول من نفسه أو من غيره، وكذلك إذا اعتقد عقداً فإما أن يعتقده من نفسه أو من غيره هذا هو الفصل الأول، وهو كسر على أصحاب الرأي والعقل، وذكر في الفصل الثاني أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم أفيصلح كل معلم على الإطلاق، أم لا بد من معلم صادق، قال: ومن قال أنه يصلح كل معلم ما ساغ له الإنكار عَلَى معلم خصمه، وإذا أنكر فقد سلم أنه لا بد من معلم معتمد صادق، قيل: وهذا كسر على أصحاب الحديث، وذكر في الفصل الثالث أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم صادق أفلا بد من معرفة المعلم **أولاً** والظفر به ثم التعلم منه، أم جاز التعلم من كل معلم من غير تعيين شخصه وتبيين صدقه، **والثاني**: رجوع إلى الأول ومن لم يمكنه سلوك الطريق إلا مقدم ورفيق فالرفيق ثم الطريق، وهو كسر على الشيعة، وذكر في الفصل الرابع أن الناس فرقتان، فرقة قالت: يحتاج في معرفة الباري تعالى إلى معلم صادق، ويجب تعيينه وتشخيصه أولاً، ثم التعلم منه، وفرقة أخذت في كل علم من معلم وغير معلم، وقد تبين بالمقدمات السابقة إن الحق مع الفرقة الأولى، فرأسهم يجب أن يكون رأس المحققين، وإذا تبين أن الباطل مع الفرقة الثانية، فرؤساؤهم يجب أن يكونوا رؤساء المبطلين، قال: وهذه الطريقة التي عرفتنا المحق بالحق معرفة مجملة ثم نعرف بعد ذلك الحق بالمحق معرفة مفصلة حتى لا يلزم دون المسائل، وإنما عنى بالحق هنا هنا الاحتياج، وبالمحق المحتاج إليه، وقال بالاحتياج عرفنا الإمام، وبالإمام عرفنا مقادير الاحتياج، كما بالجواز عرفنا الوجوب، أي واجب الوجود، وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات قال: والطريق إلى التوحيد كذلك حذو القذة بالقذة [1]، ثم ذكر فصولاً في تقرير مذهبه إما تمهيداً وإما كسراً على المذاهب وأكثرها كسر إلزام، واستدلال بالاختلاف عَلَى البطلان، وبالاتفاق على

(١) القذة ريش السهم وجمعه قذذ وقذاذ ومنه الحديث: «لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة»، أي كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع بضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان.

الحق، منها فصل الحق والباطل والصغير والكبير يذكر أن في العالم حقاً وباطلاً، ثم يذكر أن علامة الحق هي الوحدة، وعلامة الباطل هي الكثرة، وأن الوحدة مع التعليم، والكثرة مع الرأي، والتعليم مع الجماعة، والجماعة مع الإمام، والرأي مع الفرق المختلفة، وهي مع رؤسائهم، وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه، والتمايز بينهما من وجه التضاد في الطرفين والترتب في أحد الطرفين ميزاناً يزن به جميع ما يتكلم فيه، قال: وإنما أنشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة وتركيبها من النفي والإثبات أو النفي والاستثناء، قال: فما هو مستحق النفي باطل، وما هو مستحق الإثبات حق، ووزن بذلك الخير والشر والصدق والكذب، وسائر المتضادات ونكتته أنه يرجع في كل مقالة وكلمة إلى إثبات المعلم، وأن التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً، حتى يكون توحيداً، وأن النبوة هي النبوة والإمامة معاً، حتى تكون نبوة، وهذا هو منتهى كلامه، وقد منع العوام عن الخوض في المعلوم، وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة، إلا من عرف كيفية الحال في كل كتاب، ودرجة الرجال في كل علم، ولم يتعد بأصحابه في الإلهيات عن قوله إن إلهنا إله محمد ، قال: إنا وأنتم تقولون إلهنا إله العقول، أي ما هدي إليه عقل كل عاقل، فان قيل لواحد منهم: ما تقول في الباري تعالى وأنه هل هو وأنه واحد أم كثير عالم قادر أم لا لم يجب إلا بهذا القدر، إن إلهي إله محمد، وهوالذي أرسل رسوله بالهدى، والرسول هو الهادي إليه كم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم: أفنحتاج إليك أو نسمع هذا منك، أو نتعلم عنك، وكم قد ساهلت القوم في الاحتياج وقلت: أين المحتاج إليه، وايش يقدر لي في الإلهيات، وماذا يرسم في المعقولات إذ المعلم لا يعني لعينه، وإنما يعني ليعلم، وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقليد، وليس يرضى عاقل بأن يعتقد مذهباً على غير بصيرة، وأن يسلك طريقاً من غير بينة، فكانت مبادىء الكلام تحكيمات وعواقبها تسليمات [1] ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً، مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) وحكم الشريعة في طائفة الباطنية، من كان ذا عقيدة إسلامية صحيحة ثم رجع إلى عقيدتهم الكفرية فهو مرتد. ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾، ووجب قتله وقتل من رجع إليهم ومتى كانت لطائفة منهم شوكة، فدارهم دار حرب، فيجوز قتل رجالهم، وسبي نسائهم، وذراريهم وغنيمة أموالهم ولا تجوز مناكحتهم، فمن نكح منهم أو نكح إليهم، مع العلم بمذهبهم، كان حكمه حكم الزاني، فلا يلحق به =

أهل الفروع المختلفون في الأحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية اعلم أن أصول الاجتهاد [1] وأركانه أربعة وربما تعود إلى اثنين، الكتاب والسنة والإجماع والقياس،

= الولد، ولا يثبت توارث، ولا شيء من أحكام النكاح صحيحاً، أم فاسداً ولا تجوز موالاتهم فإنهم ممن حادوا الله ورسوله، ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا الصلاة عليهم ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾ ولا يجوز تشميتهم ولا عيادة مرضاهم ولا ردّ السلام عليهم كما لا تجوز محاسنتهم ولا مجاملتهم، ولا مدحهم، والثناء عليهم، ولا يجوز أكل ذبائحهم، ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾، ولا ريب في أنهم لا يسمون الله بالحقيقة، لأنهم جاحدوه، وحكم أولادهم الصغار الذين ولدوا بعد كفر آبائهم في الدنيا حكم آبائهم في تحريم دفنهم في مقابر المسلمين والصلاة عليهم، وأكل ذبائحهم؛ كما في أولاد المرتدين لإلحاد الباطنية ولا يجوز إقرارهم على كفرهم مع التمكن بل يجب قتلهم، لأنه لا يجوز وضع الجزية عليهم فوجب قتلهم، إذ ليس على الإسلام أضر منهم إضلالاً، لا من اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا الفلاسفة ولا غيرهم من الكفار فكان قتلهم أقرب إلى الله تعالى. (قواعد عقائد آل محمد ص ٩٧).

(١) الاجتهاد في اللغة عبارة عن استفراغ الوسع في تحقيق أمر من الأمور مستلزم للكلفة والمشقة، وأما في اصطلاح الأصوليين، فمخصوص باستفراغ الوسع في طلب العلم بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من نفسه بالعجز عن المزيد فيه، وللاجتهاد أحكامه.

(١) واجب عيني على مسؤول عن حادثة وقعت وخاف فوتها وكذلك إن كانت الحادثة قد حصلت له شخصياً وأراد معرفة حكمها.

(٢) واجب كفائي على مسؤول لم يخف فوت الحادثة وثم غيره من المجتهدين فإذا تركوه كلهم أثموا وإذا أفتى أحدهم سقط الطلب عن جميعهم.

(٣) الندب وهو الاجتهاد في حكم حادثة لم تحصل سواء سئل عنها أم لم يسأل، والمجتهد كل من اتصف بصفة الاجتهاد ويجب أن يتوافر فيه:

(١) عدالة، وهذا شرط لجواز الاعتماد على فتواه، أما أخذه لنفسه باجتهاده فلا يشترط ذلك له.

(٢) أن يكون ملماً عالماً، عارفاً محيطاً بمدارك الأحكام الشرعية، وأقسامها وطرق إثباتها ووجوه دلالاتها على مدلولاتها واختلاف مراتبها عارفاً جهات ترجيحها عند تعارضها، متمكناً من استثارة الظن بالنظر فيها وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره عارفاً كيفية استثمار الأحكام منها قادراً على تحريرها وتقريرها، ومدارك الأحكام وأدلتها التفصيلية هي الكتاب والسنّة والاجماع والقياس، فالكتاب هو القرآن وهو اللفظ العربي المنزّل على محمد ﷺ، للتذكر والتدبر، المنقول متواتراً، وهو ما بين دفتي المصحف المبدوء بفاتحة الكتاب والمختوم بسورة الناس، وهو عمدة الشريعة، وقطبها وعليه تدور الأدلة الأخرى، والسنّة ما جاء منقولاً عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير وهي حجة في الدين ودليل من أدلة الأحكام والله تعالى يقول: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾، والسنّة هي التي جاءت مبينة لما أجمل من الأحكام. ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾، والإجماع اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر على حكم شرعي، ولا ينعقد الاجماع إلا عن مستند فالفتوى بدون المستند خطأ، إذ تكون قولاً في الدين بغير علم والأمة معصومة عن الخطأ، وقد قال ﷺ: «لا تجتمع أمتي على خطأ»، والقياس حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من إثبات حكم أو =

وإنما تلقوا صحة هذه الأركان وانحصارها من إجماع الصحابة، وتلقوا أصل الاجتهاد والقياس وجوازه منهم أيضاً، فان العلم بالتواتر قد حصل أنهم إذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال أو حرام فزعوا إلى الاجتهاد، وابتدأوا بكتاب الله تعالى، فان وجدوا فيه نصاً أو ظاهراً تمسكوا به، وأجروا حكم الحادثة عَلَى مقتضاه، وإن لم يجدوا فيه نصاً فزعوا إلى السنة، فان روى لهم في ذلك خبر أخذوا به ونزلوا على حكمه، وإن لم يجدا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد، فكانت الأركان الاجتهادية عندهم اثنين أو ثلاثة، ولنا بعدهم أربعة إذا وجب علينا الأخذ بمقتضى اجماعهم واتفاقهم، والجري على مناهج اجتهادهم وربما كان اجماعهم على حادثة اجماعاً اجتهادياً، وربما كان اجماعاً مطلقاً لم يصرح فيه بالاجتهاد، وعلى الوجهين جميعاً، فالإجماع حجة شرعية لاجماعهم على التمسك بالاجماع، ونحن نعلم أن الصحابة الذين هم الأئمة الراشدون لا يجتمعون على ضلال، وقد قال النبي ﷺ: «لا تجتمع أمتي على الضلالة» ولكن الإجماع لا يخلو عن نص خفي أو جلي قد اختصه، لأنا على القطع نعلم أن الصدر الأول لا يجمعون عَلَى أمر إلا عن ثبت وتوقيف [1]، فاما أن يكون ذلك النص في نفس الحادثة قد اتفقوا على حكمها من غير بيان ما يستند إليه حكمها، وإما أن يكون النص في أن الإجماع حجة، ومخالفة الإجماع بدعة، وبالجملة مستند الإجماع نص خفي أو جلي لا محالة، وإلا فيؤدي إلى إثبات الأحكام المرسلة، ومستند الاجتهاد والقياس هو الاجماع، وهو

= صفة أو نفيهما عنهما، فيثبت للفرع من الحكم ما للأصل، فلا يثبت بالقياس ابتداء أي بدون أصل ثبت حكمه.

(١) فكانت الصحابة في الصدر الأول يعتمدون في فتاواهم:

(١) على القرآن، إذ هو أساس الدين، وعماد الملة، وكانوا يفهمونه واضحاً جلياً إذ هو قد نزل بلغتهم، بله ما امتازوا به من الإحاطة بأسباب نزوله ولم يكن دخل بينهم دخيل من غير العرب.

(٢) سنّة رسول الله ﷺ وقد اتفقوا على إتباعها، متى ظفروا بها، ووثقوا من صدق روايتها فكان أبو بكر إذا وردت عليه حادثة نظر في كتاب الله فإن وجد فيه حكمها قضى به وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنّة رسول الله ﷺ فإن وجد عنده ما يقضى به قضى به فإن أعياه، سأل الناس هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء فربما قام إليه القوم، فيقولون قضى فيه بكذا أو كذا، وكان عمر يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد في الكتاب والسنّة سأل هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء قضي به إن لم يبن له خلافه وكذلك كان عثمان، وعلي مع الحيطة في القبول، وكانت ترد على الصحابة أقضية لا يرون فيها نصاً من كتاب وسنة فيلجؤون إلى القياس، ولقد كان أبو بكر يجمع جلّة الصحابة ويستشيرهم فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به، وكذلك كان عمر يفعل ذلك.

أيضاً مستند إلى نص مخصوص في جواز الاجتهاد، فرجعت الأصول الأربعة في الحقيقة إلى اثنين، وربما يرجع إلى واحد، وهو قول الله تعالى، وبالجملة نعلم قطعاً ويقيناً أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد، ونعلم قطعاً أيضاً أنه لم يرد في كل حادثة نص، ولا يتصور ذلك أيضاً، والنصوص إذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى علم قطعاً أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد، ثم لا يجوز أن يكون الاجتهاد مرسلاً خارجاً عن ضبط الشرع، فان القياس المرسل شرع آخر، وإثبات حكم من غير مستند وضع آخر والشارع هو الواضع للأحكام، فيجب عَلَى المجتهد أن لا يعدو في اجتهاده عن هذه الأركان، وشرائط الاجتهاد خمسة معرفة صدر صالح من اللغة، بحيث يمكنه فهم لغات العرب، والتمييز بين الألفاظ الوضعية والمستعارة. والنص والظاهر. والعام . والخاص. والمطلق. والمقيد. والمجمل. والمفصل. وفحوى الخطاب. ومفهوم الكلام. وما يدل على مفهومه بالمطابقة وما يدل بالتضمن. وما يدل بالاستتباع، فان هذه المعرفة كالآلة التي بها يحصل الشيء. ومن لم يحكم الآلة والأداة لم يصل إلى تمام الصنعة، ثم معرفة تفسير القرآن خصوصاً ما يتعلق بالأحكام، وما ورد من الأخبار في معاني الآيات، وما رأى من الصحابة المعتبرين كيف سلكوا مناهجها وَأي معنى فهموا من مداركها، ولو جهل تفسير سائر الآيات التي تتعلق بالمواعظ والقصص قيل: لم يضره ذلك في الاجتهاد، فان من الصحابة من كان لا يدري تلك المواعظ، ولا يتعلم بعد جميع القرآن، وكان من أهل الاجتهاد، ثم معرفة الأخبار بمتونها وأسانيدها، والإحاطة بأحوال النقلة وَالرواة عدولها وَثقاتها وَمطعونها ومردودها والإحاطة بالوقائع الخاصة فيها وما هو عام، ورد في حادثة خاصة، وما هو خاص عمم في الكل حكمه ثم الفرق بين الواجب، والندب والإباحة والحظر، والكراهة ، حتى لا يشذ عنه وجه من هذه الوجوه، ولا يختلط عليه باب بباب، ثم معرفة مواقع اجماع الصحابة والتابعين من السلف الصالحين، حتى لا يقع اجتهاده في مخالفة الاجماع، ثم التهدي إلى مواضع الأقيسة، وكيفية النظر والتردد فيها من طلب أصل أولاً، ثم طلب معنى مخيل يستنبط منه فيعلق الحكم عليه، أو شبه مغلب على الظن فيلحق الحكم به، فهذه خمس شرائط لا بد من اعتبارها، حتى يكون المجتهد مجتهداً واجب الاتباع والتقليد في حق العامي، وإلا فكل حكم لم يستند إلى قياس واجتهاد مثل ما ذكرنا فهو مرسل مهمل، قالوا: فإذا

حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد، ويكون الحكم الذي أدى إليه اجتهاده سائغاً في الشرع، ووجب على العامي تقليده، والأخذ بفتواه، وقد استفاض الخبر عن النبي ﷺ أنه لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: «يا معاذ بم تحكم» قال: بكتاب الله. قال: «فان لم تجد»، قال: فبسنة رسول الله، قال: «فان لم تجد» قال: اجتهد رأيي، قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي وفق رسول رسوله لما يرضاه [1]»، وقد روى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: بعثني رسول الله ﷺ قاضياً إلى اليمن. قلت: يا رسول الله كيف أقضي بين الناس وأنا حديث السن، فضرب رسول الله بيده صدري وقال: « اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه»، فما شككت بعد ذلك في قضاء بين اثنين [2].

ثم اختلف أهل الأصول في تصويب المجتهدين في الأصول والفروع، فعامة أهل الأصول على أن الناظر في المسائل الأصولية، والأحكام العقلية واليقينية القطعية، يجب أن يكون متعين الإصابة، فالمصيب فيها واحد بعينه، ولا يجوز أن يختلف المختلفان في حكم عقلي حقيقة الاختلاف بالنفي والإثبات، على شرط التقابل المذكور، بحيث ينفي أحدهما ما يثبته الآخر من الوجه الذي يثبته في الوقت الذي يثبته الأوان يقتسما الصدق والكذب، والحق والباطل، سواء كان الاختلاف بين أهل الأصول في الإسلام، أو بين أهل الملل والنحل الخارجة عن الإسلام فان المختلف فيه لا يحتمل توارد الصدق والكذب والصواب والخطأ عليه في حالة واحدة، وهو مثل قول أحد المخبرين، زيد في هذه الدار في هذه الساعة، وقول الثاني ليس زيد في هذه الدار في هذه الساعة، فانا نعلم قطعاً أن أحد المخبرين صادق، والثاني كاذب، لأن المخبر عنه لا يحتمل اجتماع الحالتين فيه معاً، فيكون زيد في الدار ولا يكون في الدار، لعمري قد يختلف المختلفان في مسألة ويكون محل الاختلاف مشتركاً، وشرط تقابل القضيتين

---

(١) حدث معاذ؛ أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال: كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنّة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟ قال: أجتهد برأيي لا آلو، قال: فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ فتبين أن النبي ﷺ أقرّ معاذاً على اجتهاد رأيه فيما لم يجد فيه نصاً عن الله ورسوله. (أعلام الموقعين أول ص ٢٤٣).

(٢) ولما كان علي باليمن أتاه ثلاثة نفر يختصمون في غلام. فقال كل منهم هو ابني فأقرع عليّ بينهم فجعل الولد للقارع وجعل عليه للرجلين ثلثي الدية فبلغ ذلك النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه من قضاء علي. (أعلام الموقعين أول ص ٢٩٥).

فاقداً فحينئذٍ يمكن أن يصوب المتنازعان، ويرتفع النزاع بينهما برفع الاشتراك، أو يعود النزاع إلى أحد الطرفين، مثال ذلك المختلفان في مسألة الكلام ليسا يتواردان على معنى واحد بالنفي والإثبات، فان الذي قال هو مخلوق أراد به أن الكلام هو الحروف والأصوات في اللسان، والرقوم والكلمات في الكتابة، قال: وهذا مخلوق، والذي قال ليس بمخلوق لم يرد به الحروف والرقوم، وإنما أراد معنى آخر، فلم يتوارد بالتنازع في الخلق على معنى واحد، وكذلك في مسألة الرؤية، فان النافي قال: الرؤية اتصال شعاع بالمرئي، وهو لا يجوز في حق الباري تعالى، والمثبت قال: الرؤية إدراك أو علم مخصوص، ويجوز تعلقه بالباري تعالى، فلم يتوارد النفي والإثبات على معنى واحد، إلا إذا رجع الكلام إلى إثبات حقيقة الرؤية فيتفقان أولاً عَلَى أنها ما هي، ثم يتكلمان نفياً واثباتاً، وكذلك في مسألة الكلام يرجعان إلى إثبات ماهية الكلام، ثم يتكلمان نفياً وإثبات، وإلا فلا يمكن أن تصدق القضيتان، وقد صار (ابن) الحسن [1]العنبري إلى أن كل مجتهد ناظر في الأصول مصيب، لأنه أدى ما كلف من المبالغة في تسديد النظر، والمنظور فيه، وإن كان متعيناً نفياً وإثباتاً إلا أنه أصاب من وجه، وإنما ذكر هذا في الإسلاميين من الفرق، وأما الخارجون عن الملة فقد تقررت النصوص والإجماع على كفرهم وخطئهم، وكان سياق مذهبهم يقتضي تصويب كل ناظر مجتهد على الإطلاق، إلا أن النصوص والإجماع صدته عن تصويب كل ناظر [2]، وتصديق كل قائل،

---

(١) عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبري القاضي، كان فقيهاً ثقة، محموداً عاقلاً من الرجال، لما مات سوار ابن عبيدالله، طلبوا عبيد الله بن الحسن فهرب، ثم استقضى، أتاه رجل فقال: كنا عند الأمير محمد بن سليمان فذكرت كل الجميل إلا المزاح. فقال: والله إني لأمزح وما أقول إلا الحق، وقال ابن مهدي: كنا في جنازة فسألته عن مسألة فغلط فيها فقلت له: أصلحك الله أتقول فيه كذا وكذا، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه فقال: إذا أرجع وأنا صاغر لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل، وكان من سادات أهل البصرة فقهاً وعلماً ولد سنة ١٠٥ وولي القضاء سنة ١٥٧ وقد عزله المهدي سنة ١٦٦، وكان عبيد الله اتهم بأمر عظيم، وروي عنه كلام رديء يعني قوله: كل مجتهد مصيب، وقيل إنه رجع عن المسألة التي ذكرت عنه لما تبين له الصواب وقال ابن قتيبة في اختلاف الحديث، لم نصير إلى عبيد الله بن الحسن العنبري فنهجم من قبيح مذهبه وشدة تناقض قوله على ما هو أولى مما أنكره وذلك أنه كان يقول إن القرآن يدل على الاختلاف فالقول بالقدر صحيح والقول بالأحبار صحيح ولهما أصل في الكتاب فمن قال بهذا فهو مصيب ومن قال بهذا فهو مصيب هؤلاء قوم عظموا الله، وهؤلاء قوم نزهوا الله كان يقول في قتال علي وطلحة والزبير وقتالهما إياه، كله لله طاعة، توفي سنة ١٦٨. (تهذيب التهذيب سابع ص ٧).

(٢) مذهب الجمهور من المسلمين أنه ليس كل مجتهد في العقليات مصيباً وأن الإثم غير محطوط عن مخالف ملة الإسلام سواء نظر وعجز عن معرفة الحق أم لم ينظر. وقال الجاحظ: وعبيد الله بن الحسن العنبري من =

وللأصوليين خلاف في تكفير أهل الأهواء، مع قطعهم بأن المصيب واحد بعينه، لأن التكفير حكم شرعي، والتصويب حكم عقلي، فمن مبالغ متعصب لمذهبه كفر وضلل مخالفه، ومن متساهل متألف لم يكفر، وَمن كفر قرب كل مذهب، ومقالة، بمقالة واحدة من أهل الأهواء والملل، كتقريب القدرية بالمجوس، وتقريب المشبهة باليهود، والرافضة بالنصارى، فأجرى حكم هؤلاء فيهم من المناكحة وأكل الذبيحة، ومن ساهل ولم يكفر قضى بالتضليل، وحكم بأنهم هلكى في الآخرة، واختلفوا في اللعن على حسب اختلافهم في التكفير والتضليل، وكذلك من خرج على الإمام الحق بغياً وعدواناً، فان كان صدر خروجه عن تأويل اجتهاد سمي باغياً مخطئاً، ثم البغي هل يوجب اللعن فعند أهل السنة إذا لم يخرج بالبغي عن الإيمان، لم يستوجب اللعن، وعند المعتزلة يستحق اللعن بحكم فسقه، والفاسق خارج عن الإيمان، وإن كان صدر خروجه عن البغي والحسد والمروق عن اجماع المسلمين، استحق اللعن باللسان، والقتل بالسيف والسنان، وأما المجتهدون في الفروع، فاختلفوا في الأحكام الشرعية من الحلال والحرام، ومواقع الاختلاف مظان غلبات الظنون، بحيث يمكن تصويب كل مجتهد فيها، وإنما يبتنى ذلك على أصل، وهو أنا نبحث هل الله تعالى حكم في كل حادثة أم لا، فمن الأصوليين من صار إلى أن حكم الله تعالى في الوقائع المجتهد فيها حكماً بعينه قبل الاجتهاد، من جواز وحظر، بل وفي كل حركة يتحرك بها الإنسان حكم تكليف، من تحليل وتحريم، وإنما يرتاده بالطلب، والاجتهاد يجب أن يكون في شيء إلى شيء، فالطلب المرسل لا يعقل، ولهذا يتردد المجتهد بين النصوص والظواهر والعمومات، وبين المسائل المجمع عليها، فيطلب الرابطة المعنوية، والتقريب من حيث الأحكام والصور حتى يثبت في المجتهد في مثل ما تلقاه في المتفق عليه، ولو لم

= المعتزلة بحط الإثم عن مخالف ملة الإسلام إذا نظر واجتهد فأداه اجتهاده إلى معتقده وأنه معذور بخلاف المعاند وزاد عبيد الله بن الحسن العنبري بأن قال: كل مجتهد في العقليات مصيب وهو يخالف ما عليه الجمهور، مستندين إلى قوله تعالى: ﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾، وقوله: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾؛ وقوله: ﴿ويحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون﴾. فذمهم الله على معتقدهم وتوعدهم بالعقاب عليه ولو كانوا معذورين لما كان كذلك إلى ما علم من النبي ﷺ، من تكليفه للكفار، بتصديقه واعتقاد رسالته، وذمهم على معتقداتهم وقتله لمن ظفر بهم، وتعذيبه على ذلك منهم وقد أجمعت الأمة على قتال الكفار وذمهم ومهاجرتهم على اعتقاداتهم ولو كانوا معذورين لما ساغ ذلك من الأمة المعصومة عن الخطأ. (الآمدي رابع ص ٢٣٩).

يكن له مطلوب معين كيف يصح منه الطلب على هذا الوجه، فعلى هذا المذهب المصيب واحد المجتهدين في الحكم المطلوب، وإن كان الثاني معذوراً نوع عذر، إذ لم يقصر في الاجتهاد، ثم هل يتعين المصيب أم لا، فأكثرهم على أنه يتعين فالمصيب واحد لا بعينه.

ومن الأصوليين من فصل الأمر فيه، فقال ينظر في المجتهد فيه إن كان مخالفة النص ظاهرة في أحد المجتهدين، فهو المخطىء بعينه خطأ لا يبلغ تضليلاً، والمتمسك بالخبر الصحيح والنص الظاهر مصيب بعينه، وإن لم يكن مخالفة النص ظاهرة فلم يكن مخطئاً بعينه، بل كل واحد منهما مصيب في الحكم لا بعينه [1]، هذه جملة كافية في أحكام المجتهدين في الأصول والفروع، والمسألة والقضية معضلة.

---

(١) الراجح من هذه الآراء أن لله حكماً معيناً في كل واقعة نصب عليه الدليل فمن ظفر به فهو المصيب، ومن أخطأ بعد إفراغ وسعه، وبذل منته وجهده، فهو مخطىء، إلا أنه يثاب من أجل اجتهاده، مرفوع عنه وزر خطئه فالمصيب في الشريعة واحد، وذلك لأن أدلة هذه الشريعة، إما نصوص وإما أقيسة ترجع إلى تلك النصوص، والنصوص قد يكون الخلاف من أجل تأويلها، وقد يكون في صحة نسبتها إن كانت من أخبار الآحاد، فأما التأويل والخلاف فيه، فإنا نعلم بالبداهة أن الشارع ما نص إلا نصاً وهو يريد به معنى معيناً، وهذا المعنى قد يظفر به بعض المجتهدين فهو مصيب، ومن أضله كان مخطئاً، وأما الخلاف في أسانيد الأخبار فإنا نعلم أن الحقيقة في ذلك واحدة لا تتعدد فالخبر إما أن يكون قد قيل، وإما لا ولا يجوز الأمران معاً في حادثة واحدة، فمن وفق لهذه الحقيقة فهو مصيب، فإذا روى بعض الرواة أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال ورواه آخرون وهو محرم، فليس من الجائز أن يكون قد تزوجها وهو حلال محرم، وأما الأقيسة فمعناها العلل التي قصدها الشارع بأحكام الأصول، وليس من الجائز إلا أن يكون الشارع أراد بتشريع الحكم مصلحة عرفها ووجه صلاحيتها ما دمنا نقول أن التشريع إنما هو لمصالح العباد فمن وفق لاستخراج هذه العلة وإلحاق ما وجدت فيه بالأصل كان مصيباً وقد ورد في الأخبار والآثار ما يفيد أن من المجتهدين من يصيب، ومنهم من يخطىء، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر»، فدل ذلك على أن من الاجتهاد صواباً وخطأ، والذي استحق به المخطىء الأجر هو الاجتهاد لا الخطأ، وورد عن أبي بكر أنه قال: أقول في الكلالة برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمن الشيطان وقال علي لعمر: إن لم يجتهدوا فقد غشوا وإن اجتهدوا فقد أخطأوا، أما الإثم فأرجو أن يكون عنك زائلاً وأما الدية فعليك، ولما كتب أبو موسى كتاباً عن عمر كتب فيه، هذا ما أرى الله عمر. قال: انسخه واكتب هذا ما رأى عمر فإن يك خطأ فمن عمر، وقال في المرأة التي ردت عليه في النهي عن المبالغة في المهر، حيث ذكرت: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً﴾ أصابت امرأة وأخطأ عمر، وقال ابن مسعود: إن كان خطأ فمني ومن الشيطان بعد أن اجتهد شهراً، إلى غير أولئك من الأخبار التي تدل بمجموعها على أن الصحابة كانوا يرون منهم المصيب والمخطىء، وإن كانوا لا يرون على المخطىء إثماً. أما القائلون بأن الكل مصيب، فإن أرادوا إن كلاً لا يكلف إلا ما أوصله إليه اجتهاده كما يدل عليه كلامهم فهو صحيح، =

ثم الاجتهاد من فروض الكفايات، لا من فروض الأعيان، حتى إذا استقل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع، وإن قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه، وأشرفوا على خطر عظيم، فان الأحكام الاجتهادية إذا كانت مرتبة عَلَى الاجتهاد ترتيب المسبب على السبب، ولم يوجد السبب كانت الأحكام عاطلة، والآراء كلها فائلة فلا بد إذاً من مجتهد، وإذا اجتهد المجتهدان وأدى اجتهاد كل واحد منهما إلى خلاف، ما أدى إليه اجتهاد الآخر، فلا يجوز لأحدهما تقليد الآخر وكذلك إذا اجتهد واحد في حادثة، وأدى اجتهاده إلى جواز، أو حظر، ثم حدثت تلك الحادثة بعينها في وقت آخر، فلا يجوز له أن يأخذ باجتهاده الأول، إذ يجوز أن يبدو له في الاجتهاد الثاني ما أغفله في الأول، وأما العامي فيجب عليه تقليد المجتهد، وإنما مذهبه فيما يسأله مذهب من يسأله عنه، هذا هو الأصل، إلا أن علماء الفريقين، لم يجوزوا أن يأخذ العامي الحنفي إلا بمذهب أبي حنيفة، والعامي الشفعوي إلا بمذهب الشافعي، لأن الحكم بأن لا مذهب للعامي، وأن مذهبه مذهب المفتي يؤدي إلى خلط وخبط، فلهذا لم يجوزوا ذلك، وإذا كان مجتهدان في بلد اجتهد العامي فيهما، حتى يختار الأفضل والأورع، ويأخذ بفتواه، وإذا أفتى المفتي على مذهبه وحكم به قاض من القضاة، على مقتضى فتواه، ثبت الحكم على المذاهب كلها، وكان القضاء إذا اتصل بالفتوى، ألزم الحكم، كالقبض مثلاً إذا اتصل بالعقد، ثم العامي بأي شيء يعرف أن العالم قد وصل إلى حد الاجتهاد، وكذلك المجتهد نفسه متى أنه قد استكمل شرائط الاجتهاد ففيه نظر.

ومن أصحاب الظاهر، مثل داود الأصفهاني وغيره، ممن لم يجوز القياس [1]

= ولا يخالف في هذا أحد إلا من شذّ أما إذا أرادوا ما يدل عليه ظاهر ألفاظهم من أنه ليس لله في الواقعة حكم معين بل الحكم ما وصل إليه ظن المجتهد، فهو قول مردود، بما ذكرناه آنفاً، بله أن هذا الخلاف، هو نظري محض، لأن فقهاء الجمهور كلهم متفقون على أن الإنسان مكلف أن يبذل جهده في الوصول إلى الحكم، ثم ما وصل إليه بعد اجتهاده هو الذي يكلف به فالحق في المسائل الاجتهادية شائع بين المجتهدين، وكلهم مأجور إن شاء الله تعالى.

(١) قال ابن حزم في الأحكام: ذهبت طوائف من المتأخرين من أهل الفتيا إلى القول بالقياس في الدين، وذكروا أن مسائل ونوازل ترد لا ذكر لها في نص كلام الله تعالى ولا في صنّة رسول الله ﷺ ولا أجمع الناس عليها، فننظر إلى مايشبهها مما ذكر في القرآن، أو في سنّة رسول الله ﷺ فنحكم فيما لا نص فيه ولا إجماع بمثل الحكم فيما يه نص أو إجماع لاتفاقهما في العلة التي هي علامة الحكم، مع أن أبا حنيفة قال: الخبر المرسل والضعيف عن رسول الله ﷺ أولى من القياس ولا يحل القياس مع وجوده والرواية عن الصاحب الذي لا يعرف له مخالف منهم، أولى من القياس ولا يجوز الحكم بالقياس في الكفارات ولا في الحدود =

والاجتهاد في الأحكام، وقال الأصول هو الكتاب والسنة والاجماع فقط، ومنع أن يكون القياس أصلاً من الأصول، وقال أول من قاس إبليس ، وظن أن القياس أمر خارج عن مضمون الكتاب والسنة، ولم يدر أنه طلب حكم الشرع من مناهج الشرع، ولم ينضبط قط في شريعة من الشرائع إلا باقتران الاجتهاد به لأن من ضرورة الانتشار في

= ولا في المقدرات. وقال الشافعي: لا يجوز القياس مع نص قرآن أو خبر صحيح مسند وأما عند عدمهما فإن القياس واجب في كل حكم، قال ابن حزم: وذهب أصحاب الظاهر إلى إبطال القياس، بالقياس في الدين جملة، ولا يجوز الحكم البتة في شيء من الأشياء كلها إلا بنص كلام الله تعالى أو نص كلام النبي ﷺ أو بما صح عنه ﷺ من فعل أو إقرار، أو إجماع من جميع علماء الأمة كلها، متيقن أنه قال: كل واحد منهم دون مخالفة من أحد منهم أو بدليل من النص أو من الإجماع المذكور الذي لا يحتمل إلا وجهاً واحداً والإجماع عند هؤلاء راجع إلى توقيف من رسول الله ﷺ وهذا قولنا الذين ندين الله تعلى به ثم قال: ولم يصح قط عن أحد من الصحابة القول بالقياس، والقياس بدعة حدثت في القرن الثاني، ثم فشا وظهر في القرن الثالث كما ابتدأ التقليد والتعليل للقياس في القرن الرابع وفشا وظهر في القرن الخامس، فليتق الله امرؤ على نفسه، فحجة الله تعالى قد قامت بإتباع القرآن والسنّة وترك ما عدا ذلك من القياس والرأي والتقليد، وقد كان من بعض الصحابة نزعات إلى القياس أبطلها رسول الله ﷺ، وكل ما لم ينص عليه فهو شرع لم يأذن به الله تعالى وهذه صفة القياس وقد قال تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مل لم يأذن به الله﴾، وقال: ﴿وأن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب﴾، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله فكل ما ليس في القرآن والسنّة منصوصاً باسمه واجباً مأمورا به ومنهياً عنه، فمن أوجبه أو حرمه أو خالف ما جاء به النص فهو من عند غير الله تعالى، والقياس غير منصوص على الأمر به فيهما ومن حرم أو أحلّ أو أوجب أو أسقط قياساً على ما حرمه الله أو أحله أو أوجبه أو أسقطه فقد تعدّى حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه والله تعالى لم يكل بيان شريعته إلى أحد من الناس ولا إلى رأي ولا إلى قياس، لكن إلى نص القرآن وإلى رسوله ﷺ فقط؛ فالله يقول يصف كتابه: ﴿تبياناً لكل شيء﴾، وقال: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾؛ وقال تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾، وقال: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾؛ فلم يبح الله عند التنازع والاختلاف أن يتحاكم أو يرد إلا إلى القرآن وكلام الرسول ﷺ فقط، لا إلى أحد دون النبي ﷺ ولا إلى رأي ولا قياس إلى غير ذلك مما أورد من الأخبار والآثار، مدللاً على أن القياس ليس من الدلائل الشرعية، وإني أقول: إن الاجتهاد بالقياس ثابت عن أصحاب رسول الله ﷺ، إذ أجمعوا على الحكم بالرأي والاجتهاد في كل واقعة وقعت لهم ولم يجدوا فيها نصاً، وهذا مما تواتر عنهم تواتراً لا شك فيه، كحكمهم بإمامة أبي بكر، قياساً على إمامة الصلاة، التي اختصه بها رسول الله ﷺ ورجوعهم إلى اجتهاد أبي بكر ورأيه في قتال ما نعي الزكاة وقد كان بنو حنيفة يتمسكون بظاهر الآية: ﴿خذ من أموالهم﴾؛ بأنها خاصة بالرسول ولكن الصحابة قاسوا خليفة الرسول على الرسول، في عهد عمر إلى أبي موسى الأشعري: أعرف الأشياء والأمثال ثم قس الأمور برأيك، ومنه قول معاذ للنبي ﷺ: اجتهد برأيي عند فقد الكتاب والسنّة فزكاة النبي ﷺ إلى ما رووه عنه عليه الصلاة والسلام من الأحاديث التي بلغت مبلغ التواتر المعنوي وقد إتفق على القول بالقياس كبار الأئمة وجلّة مجتهديها، ورأوه دليلاً موصلاً إلى حكم الله عز وجل.

العالم الحكم بأن الاجتهاد معتبر، وقد رأينا الصحابة كيف اجتهدوا ، وكم قاسوا خصوصاً في مسائل الميراث من توريث [1] الأخوة مع الجد، وكيفية توريث الكلالة [2] وذلك مما لا يخفى على المتدبر لأحوالهم.

ثم المجتهدون من أئمة الأمة محصورون في صنفين لا يعدوان إلى ثالث، أصحاب الحديث، وأصحاب الرأي، أصحاب الحديث ، وهم أهل الحجاز هم أصحاب مالك بن أنس، وأصحاب محمد بن ادريس [3] الشافعي، وأصحاب سفيان الثوري، وأصحاب أحمد بن حنبل، وأصحاب داود بن علي بن محمد الأصفهاني، وإنما سموا أصحاب الحديث لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث ونقل الأخبار، وبناء الأحكام على النصوص، ولا يرجعون إلى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبراً أو أثراً،

---

(١) قال زيد بن ثابت: إن عمر بن الخطاب لما استشار في ميراث الجد والأخوة. قال زيد: وكان رأيي يومئذ أن الأخوة أحق بميراث أخيهم من الجد، وعمر يرى يومئذ أن الجد أولى بميراث ابن إبنه من أخوته، فتحاورت أنا وعمر محاورة شديدة فضربت له في ذلك مثلاً فقلت: لو أن شجرة تشعب من أصلها غصن، ثم تشعب في ذلك الغصن خوطان، ذلك الغصن يجمع الخوطين دون الأصل ويغذوهما ألا ترى يا أمير المؤمنين أن أحد الخوطين أقرب إلى أخيه منه إلى الأصل قال زيد فأنا أعذله وأضرب له هذه الأمثال وهو يأبى إلا أن الجد أولى من الأخوة ويقول والله لو أني قضيت اليوم لبعضهم لقضيت به للجد كله ولكن لعلي لا أجيب منهم أحداً ولعلهم أن يكونوا كلهم ذوي حق ولكن زيد بن ثابت كان يجعل الجد أخاً حتى يبلغ ثلاثة هو ثالثهم فإن زادوا على ذلك أعذاه الثلث وكان علي يجعله أخاً ما بينه وبين ستة وهو سادسهم ويعطيه السدس فإن زادوا على ستة أعطاه السدس وصار ما بقي بينهم (أعلام الموقعين أول ص ٢٥٦).

(٢) فإن أبا بكر لما سئل عن الكلالة قال: أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان، الكلالة ما عدا الوالد والولد وقد اجتهد بعض الصحابة فورثوا الأخوة لأم واعتبروهم من الكلالة. قياس للأصل مع الفارق

(٣) الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي كان كثير المناقب جمّ المفاخر منقطع القرين اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وكلام الصحابة وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر حتى أن الأصمعي مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين ما لم يجتمع في غيره. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت لأبي أي رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض وقد قال له مسلم بن خالد الزنجي: أفت يا عبد الله فقد والله آن لك أن تفتي، وهو ابن خمس عشرة سنة وقد اتفق العلماء على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه، وكان سفيان بن عيينة إذا جاء شيء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعي فقال: سلوا هذا الغلام. ولد بغزة سنة خمسين ومائة، نشأ بمكة وذهب إلى بغداد ثم رجع إلى مكة ثم عاد إلى بغداد يقرأ، ويدارس؛ ثم خرج إلى مصر سنة ١٩٨ ولم يزل بها إلى أن توفي، في سلخ رجب سنة أربع ومائتين، ورجع القوم من جنازته وقد رأوا هلال شعبان. (ابن خلكان أول ص ٥٦٥).

وقد قال الشافعي رضي الله عنه: إذا ما وجدتم لي مذهباً ووجدتم خبراً على خلاف مذهبي فاعلموا أن مذهبي ذلك الخبر، ومن أصحابه أبو إبراهيم إسماعيل [١] بن يحيى المزني والربيع بن سليمان الجيزي [٢]، وحرملة [٣] بن يحيى التجيبي، والربيع [٤] المرادي، وأبو يعقوب [٥] البويطي، .....

---

(١) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني من أهل مصر، كان زاهداً عالماً مجتهداً محجاجاً غواصاً على المعاني الدقيقة وهو إمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه صنف كتباً كثيرة في مذهب الإمام الشافعي منها الجامع الكبير، وقد قال الشافعي في حقه: المزني ناصر مذهبي؛ وكان إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصره، قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكراً لله تعالى، وقال ابن سريج: يخرج مختصر المزني من الدنيا عذراء لم يفتض، وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي، وقد كانت له عبادة وفضل وثقة في الحديث لا يختلف فيه حاذق من أهل الفقه وكان أحد الزهاد في الدنيا، وكان من خير خلق الله عز وجل ومناقبه كثيرة توفي سنة أربع وستين ومائتين. (ابن خلكان أول ص ٨٨).

(٢) أبو محمد الربيع بن سليمان الأزدي بالولاء المصري الجيزي صاحب الإمام الشافعي، لكنه كان قليل الرواية عنه وإنما روى عن عبد الله بن الحكم كثيراً وكان ثقة، قيل إنه إختار يوماً بمصر فطرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفضه عن ثيابه ولم يقل شيئاً، فقيل له: ألا تزجرهم؟ فقال: من استحق النار وصولح بالرماد فقد ربح، توفي سنة ست وخمسين ومائتين بالجيزة، ودفن بها. (ابن خلكان أول ص ٢٣٠).

(٣) أبو عبد الله حرملة بن يحيى التجيبي الزميلي المصري، كان أكثر أصحاب الشافعي اختلافاً إليه، واقتباساً منه وكان حافظاً للحديث، وصنف المبسوط والمختصر، وروى عنه مسلم فأكثر في صحيحه من ذكره توفي بمصر سنة ثلاث وأربعين ومائتين. (ابن خلكان أول ص ٥٩).

(٤) أبو محمد الربيع بن سليمان المرادي بالولاء؛ المؤذن المصري، وهو الذي روى أكثر كتب الشافعي، وقال الشافعي: في حقه الربيع روايتي وما خدمني أحد ما خدمني الربيع، وكان يقول له: يا ربيع لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك وقال: دخلت على الإمام الشافعي عند وفاته وعنده البويطي والمزني وابن عبد الحكم فنظر إلينا ثم قال: أما أنت يا أبا يعقوب يعني البويطي فتموت في حديدك، وأما أنت يا مزني فستكون لك في مصر هنات وهنات ولتذكرن زماناً تكون فيه أقيس أهل زمانك وأما أنت يا محمد يعني ابن عبد الحكم فسترجع إلى مذهب مالك وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب. قم يا أبا يعقوب فتسلم الحلقة، قال الربيع: فلما مات الشافعي صار كل واحد منهم إلى ما قال حتى كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، وكان الربيع آخر من روى عن الشافعي بمصر، وتوفي سنة سبعين ومائتين. (ابن خلكان أول ص ٢٢٩).

(٥) أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي صاحب الشافعي، وكان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة اختص به في حياته وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته، وقد حمل في أيام الواثق بالله من مصر إلى بغداد في مدة المحنة وأريد على القول بخلق القرآن فامتنع من الاجابة إلى ذلك فحبس ببغداد ولم يزل في السجن والقيد حتى مات وكان صالحاً متنسكاً عابداً زاهداً. كتب إلى الربيع من السجن أنه ليأتي عليّ أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي فإذا قرأت كتابي هذا فاحسن خلقك مع أهل حلقتك واستوص بالغرباء خاصة خيراً فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي يتمثل بهذا البيت:

والحسن[1] بن محمد بن الصباح الزعفراني ومحمد بن عبد الله[2] بن عبد الحكم المصري، وأبو ثور[3] إبراهيم بن خالد الكلبي، وهم لا يزيدون على اجتهاده اجتهاداً، بل يتصرفون فيما نقل عنه توجيهاً واستنباطاً، ويصدرون عن رأيه جملة ولا يخالفونه بتة.

أصحاب الرأي وهم أهل العراق، أصحاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومن أصحابه محمد بن الحسن [4] .....

= أهين لهم نفسي لأكرمهم بها ولن تكرم النفس التي لا تهينها

وأخباره كثيرة. توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين. (ابن خلكان ثان ص ٤٥٧).

(١) أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني برع في الفقه والحديث وصنف فيهما كتباً، وسار ذكره في الآفاق، ولزم الشافعي حتى تبحر، وكان يتولى قراءة كتب الشافعي عليه، وهو أحد رواة الأقوال القديمة عن الشافعي ورواتها أربعة هو وأبو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيسي ورواة الأقوال الجديدة ستة: المزني والربيع الجيزي والربيع المرادي والبويطي وحرملة ويونس بن عبد الأعلى، وقد توفي الزعفراني في سلخ شعبان سنة ستين ومائتين. (ابن خلكان أول ص ١٦١).

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحكم المصري، سمع من ابن وهب وأشهب المالكيين، فلما قدم الشافعي مصر صحبه وتفقه به وحمل في المحنة إلى بغداد، فلم يجب إلى ما طلب منه فردّ إلى مصر وانتهت إليه الرئاسة بمصر، وكان الشافعي معجباً به، وبفقهه، ولقد كان عند الشافعي، ثم قرب إليه دابته فركبها واتبعه الشافعي بصره فلما غاب شخصه قال: وددت لو أن لي ولداً مثله وعليّ ألف دينار لا أجد لها قضاء، ومحد هذا هو الذي أحضره ابن طولون في الليل إلى حيث سقايته بالمعافر لما توقف الناس عن شرب الماء منها والوضوء به فشرب منه وتوضأ فأعجب ذلك ابن طولون وصرفه لوقته ووجه إليه بصلة، وقد توفي سنة ثمان وستين ومائتين ودفن بجانب قبر الشافعي. (ابن خلكان أول ص ٥٧٨).

(٣) إبراهيم بن خالد أبو ثور الكلبي الفقيه البغدادي، كان أحد الفقهاء الأعلام والثقات المأمونين في الدين، له الكتب المصنفة في الأحكام جمع فيها بين الحديث والفقه، وكان أبو ثور أولاً يتفقه بالرأي حتى قدم الشافعي ببغداد فاختلف إليه، ورجع عن مذهبه. قال الحاكم: كان فقيه أهل بغداد ومفتيهم في عصره وأحد أعيان المحدثين المتقنين بها، وقال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً وديانة وخيراً ممن صنف الكتب وفرع على السنن توفي سنة أربعين ومائتين. (ابن خلكان أول ص ٣ تهذيب التهذيب أول ص ١١٨).

(٤) أبو عبد الله؛ محمد بن الحسن الشيباني، بالولاء الفقيه الحنفي، ولد بواسط ونشأ بالكوفة فطلب الحديث، ولقي جماعة من أعلام الأئمة؛ وحضر مجلس أبي حنيفة، سنين ثم تفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة وصنف الكتب الكثيرة النادرة، منها الجامع الكبير، وله في مصنفاته المسائل المشكلة، خصوصاً المتعلقة بالعربية ونشر علم أبي حنيفة وكان من أفصح الناس وكان إذا تكلم خيل إلى سامعه أن القرآن نزل بلغته وقد نزل عليه الشافعي واستفاد منه كثيراً، وقال الشافعي: ما رأيت سميناً ذكياً إلا محمد بن الحسن، وكان الرشيد قد ولاه الرقة ثم عزله عنها، وقدم بغداد، ولم يزل ملازماً للرشيد، حتى خرج إلى الري ومات برنبويه، سنة تسع وثمانين ومائة وقيل إن محمد بن الحسن والكسائي ماتا في يوم واحد فقال الرشيد: دفنت الفقه والعربية بالري. (ابن خلكان أول ص ٥٧٤).

وأبو يوسف[1] يعقوب بن محمد القاضي وزفر بن هذيل[2] والحسن بن زياد[3] اللؤلؤي، وابن سماعة[4] .....

(١) القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري كان فقيهاً عالماً حافظاً وقد جالس أبا حنيفة وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة، وخالفه في مواضع كثيرة، وقد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدي وابنه الهادي ثم هارون الرشيد، وكان الرشيد يكرمه ويجله وكان عنده حظياً مكيناً، وهو أول من دعي بقاضي القضاة وأول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً لا يتميز أحد عن أحد بلباسه، وقد كان حافظاً وأنه كان يحضر المحدث، ويحفظ خمسين أو ستين حديثاً ثم يقوم فيمليها على الناس وكان كثير الحديث ولكن تحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأي عليه، وتفريعه الفروع والأحكام مع صحبة السلطان وتقلده القضاء وكان أفقه أهل عصره، ولم يتقدمه أحد في زمانه وكان النهاية في العلم والحكم والرئاسة والقدر، وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، وأملى المسائل ونشرها وبث علم أبي حنيفة في أقطار الأرض وكان يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. (ابن خلكان ثان ص ٤٠٠).

(٢) زفر بن الهذيل، العنبري البصري، الفقيه الحنفي جمع بين العلم والعبادة وكان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي، وصاحب أبا حنيفة وكان يفضله ويقول: هو أقيس أصحابي وتزوج فحضره أبو حنيفة فقال له زفر: تكلم. فقال أبو حنيفة في خطبته: هذا زفر بن الهذيل إمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلامهم في شرفه وحسبه وعلمه وكان زفر يجلس إلى إسطوانة وأبو يوسف بحذائه، وكان زفر يلبس قلنسوة فكانا يتناظران في الفقه وكان زفر جيد اللسان وكان أبو يوسف مضطرباً في مناظرته فربما قال له زفر ابن تفر هذه أبواب كثيرة مفتحة خذ في أيها شئت، وكان يقول لا تأخذ بالرأي مادام أثر وإذا جاء الأثر تركنا الرأي، وقال للفضل بن دكين أخرج إلى حديثك حتى أغربله لك وقد تولى قضاء البصرة، إذ كان ذا عقل ودين وفهم وورع وكان ثقة في الحديث، توفي بالبصرة سنة ثمان وخمسين ومائة. (ابن خلكان أول ص ٢٢٧ الجواهر المضية أول ص ٢٤٣).

(٣) الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي، صاحب أبي حنيفة، قال يحيى بن ادم: ما رأيت أفقه من الحسن بن زياد ولي القضاء بالكوفة ثم استعفى عنه، وكان محباً للسنّة وأتباعها حتى لقد كان يكسو مماليكه كما كان يكسو نفسه إتباعاً لقول رسول الله ﷺ: «البسوهم مما تلبسون» وكان يختلف إلى زفر وأبي يوسف في الفقه، قال الحسن: وكان أبو يوسف أوسع صدراً إلى التعليم من زفر، قال علي بن صالح: كنا عند أبي يوسف فأقبل الحسن بن زياد فقال أبو يوسف: بادروه فأسألوه وإلا لم تقووا عليه، وقال الحسن: كتبت عن ابن جريج اثني عشر ألف حديث كلها يحتاج إليها الفقهاء. وقال السمعاني: كان عالماً بروايات أبي حنيفة وكان حسن الخلق وقال السرخسي: الحسن بن زياد المقدم في السؤال والتفريع توفي سنة أربع ومائتين. (الجواهر المضية أول ص ١٩٤).

(٤) القاضي أبو عبد الله محمد بن سماعة التميمي الكوفي، تفقه على أبي يوسف ومحمد، وروى عن الليث بن سعد وله مصنفات واختيارات في المذهب وهو من الحفاظ الثقات كتب النوادر وروى الكتب والأمالي وولي القضاء ببغداد للمأمون، فلم يزل حتى ضعف بصره في أيام المعتصم فاستعفى. قال ابن معين: لو كان أصحاب الحديث يصدقون كما يصدق محمد بن سماعة في الرأي لكانوا على نهاية وكان ورده في اليوم والليلة مائتي ركعة، وقال: مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوماً واحداً ماتت فيه أمي =

وعافية[1] القاضي وأبو مطيع البلخي[2] وبشر المريسي، وإنما سموا أصحاب الرأي، لأن عنايتهم بتحصيل وجه من القياس، والمعنى المستنبط من الأحكام، وبناء الحوادث عليها، وربما يقدمون القياس الجلي على آحاد الأخبار، وقد قال أبو حنيفة رحمه الله علمنا هذا رأي، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن قدر عَلَى غير ذلك، فله ما رأى، ولنا ما رأيناه، وهؤلاء ربما يزيدون علَى اجتهاده اجتهاداً ويخالفونه في الحكم الاجتهادي، والمسائل التي خالفوه فيها معروفة، وبين الفريقين اختلافات كثيرة في الفروع، ولهم فيها تصانيف، وعليها مناظرات وقد بلغت النهاية في مناهج الظنون، حتى كأنهم أشرفوا عَلَى القطع واليقين، وليس يلزم بذلك تكفير ولا تضليل، بل كل مجتهد مصيب كما ذكرنا.

انتهى بتوفيقه تعالى الجزء الأول ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني مفتتحاً بذكر الخارجين عن الملة الحنيفية، والله المعين على إكماله، وهو على كل شيء قدير.

= ففاتني صلاة في واحدة جماعة فقمت فصليت خمساً وعشرين صلاة أريد بذلك التضعيف فغلبتني عيناي، فأتاني آت فقال: يا محمد قد صليت خمساً وعشرين صلاة لكن كيف لك بتأمين الملائكة. توفي سنة ثلاثين ومائتين. (تهذيب التهذيب تاسع ص ٢٠٤ شذرات ثان ص ٧٨).

(١) عافية بن يزيد بن قيس الأودي ولاه المهدي القضاء ببغداد وكان من أصحاب أبي حنيفة الذين يذاكرونه وكانوا يخوضون في المسائل فإن لم يحضر عافية قال أبو حنيفة: لا ترفعوا المسألة حتى يحضر عافية فإن حضر ووافقهم أثبتوها وإن لم يوافقهم قال أبو حنيفة: لا تثبتوها، وقد ولي القضاء للرشيد وكان من خيار القضاة. (تاريخ بغداد جزء ١٢ ص ٣٠٧).

(٢) أبو مطيع البلخي الحكم بن عبد الله بن مسلمة صاحب الإمام والقاضي الفقيه روى كتاب الفقه الأكبر عن الإمام أبي حنيفة كان ابن المبارك يعظمه ويبجله لدينه وعلمه وكان قاضياً ببلخ مات سنة سبع وتسعين ومائة. (الجواهر المضية ثان ص ٢٦٥).

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
خطبة الكتاب	٣
المقدمة الأولى، في بيان تقسيم أهل العالم	٤
المقدمة الثانية في تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الاسلامية	٥
كبار الفرق الإسلامية	٦
المقدمة الثالثة في بيان أول شبهة في الخليقة	١٠
المقدمة الرابعة في بيان أول شبهة في الملة الإسلامية	١٠
المقدمة الخامسة في السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب	٢٩
مذاهب أهل العالم	٣٢
المعتزلة	٣٨
الواصلية	٤٠
الهذيلية	٤٤
النظامية	٤٧
الحابطية	٥٣
البشرية	٥٦
المعمرية	٥٨
المردارية	٦٠
الثمامية	٦١
الهشامية	٦٣
الجاحظية	٦٥
الخياطية	٦٦
الجبائية والبهشمية	٦٧
الجبرية	٧٢
الجهمية	٧٣

الموضوع	الصفحة
النجارية	٧٥
الضرارية	٧٧
الصفاتية	٧٩
الأشعرية	٨١
المشبهة	٩٢
الكرامية	٩٩
الخوارج	١٠٦
المحكمة الأولى	١٠٧
الأزارقة	١١١
النجدات العاذرية	١١٦
البيهسية	١٢١
العجاردة	١٢٤
الصلتية	١٢٤
الحمزية	١٢٥
الخلفية	١٢٥
الشعيبية	١٢٦
الميمونية	١٢٦
الأطرافية	١٢٦
الجازمية	١٢٧
الثعالبة	١٢٧
الرشيدية	١٢٨
الشيبانية	١٢٨
المكرمية	١٣٠
المعلومية والمجهولية	١٣٠
الأباضية	١٣١
الحفصية	١٣٢

الموضوع	الصفحة
الحارثية	١٣٣
اليزيدية	١٣٣
الصفرية	١٣٤
رجال الخوارج	١٣٥
المرجئة	١٣٧
اليونسية	١٣٨
العبيدية	١٣٨
الغسانية	١٣٩
الثوبانية	١٣٩
التومنية	١٤١
الصالحية	١٤٢
تتمة رجال المرجئة	١٤٣
الشيعة	١٤٤
الكيسانية	١٤٥
المختارية	١٤٥
الهاشمية	١٤٩
الحارثية	١٥١
البيانية	١٥١
الرزامية	١٥٢
الزيدية	١٥٣
الجارودية	١٥٧
السليمانية	١٥٩
الصالحية	١٦١
رجال الزيدية	١٦٢
الامامية	١٦٣
الباقرية والجعفرية	١٦٦
الناوسية	١٦٧
الأفطحية	١٦٨
الشميطية	١٦٨
الموسوية والمفضلية	١٦٨
الإسماعيلية	١٧٠
الاثنا عشرية	١٧١
الغالية	١٧٦
السبئية	١٧٧
الكاملية	١٧٨
العلبائية	١٧٩
المغيرية	١٨٠
المنصورية	١٨١
الخطابية	١٨٣
الكيالية	١٨٥
الهشامية	١٨٧
النعمانية	١٩٠
اليونسية	١٩١
النصيرية والإسحاقية	١٩٢
رجال الشيعة ومصنفو كتبهم	١٩٣
الإسماعيلية	١٩٩
الباطنية	٢٠١
أهل الفروع	٢٠٨
المجتهدون	٢١٧
أصحاب الرأي	٢١٩